

مَوْسُوعَةُ النَّابُلْسِيِّ لِلْعُلُومِ وَالْإِسْلَامِيَّةِ

أسباب الرزق



خطبة الجمعة - الخطبة ١٠٦١ : خ ١ - أسباب زيادة الرزق ١ (أنواع الرزق) ، خ ٢ - توزيع الحظوظ في الدنيا .

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠٨-٠١-٠٤

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الأولى :

الرزق أوسع بكثير من أن يقيد بالمال :

أيها الأخوة الكرام، القضية الاقتصادية يهتم لها كل الناس في هذه الأيام، فالإنسان حريص على شيئين اثنين، حريص على حياته وصحته، وحريص على رزقه، لو أخذنا الجانب الآخر الحرص على الرزق، يتوهم معظم الناس أن كلمة رزق تعني المال والحقيقة خلاف ذلك، لأن الله عز وجل حينما قال في مطلع سورة البقرة:

﴿الم (١) ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ (٢) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣)﴾

(سورة البقرة)

الرزق أوسع بكثير من أن يقيد بالمال، إن آتاك الله وجاهة، إن آتاك الله طلاقة، إن آتاك الله حكمة، إن آتاك الله مالاً، إن آتاك الله منصباً، إن آتاك الله علماً.

﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣)﴾

(سورة البقرة)

﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ (٥٨)﴾

(سورة الذاريات)

الرزق و الكسب :

لذلك قال بعض العلماء: الرزق هو ما يقدره الله تعالى لخلقه من مقومات حياته، من مأكّل، ومشرب، وملبس، ومأوى، ومن دابة، ونحو ذلك من الحاجات الأصلية للمخلوقات، كما يدخل في الرزق النعم المعنوية مثل الأمن والاستقرار والحرية والعقل، كلها أرزاق. والله سبحانه وتعالى خصّ نفسه بملك أرزاق العباد وكل ما على الأرض، حتى من أسمائه الحسنی الرزاق قال تعالى:

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (٥٦) مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونَ
(٥٧) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ (٥٨) ﴾

(سورة الذاريات)

لكن العلماء فرقوا بين الكسب وبين الرزق، الرزق هو ما انتفعت به، الطعام الذي تأكله، الكساء الذي ترتديه، البيت الذي تسكنه، الزوجة التي تسكن إليها، الأولاد الذين حولك، أي شيء انتفعت به هو من الرزق وأي شيء كسبته ولم تنتفع منه هو الكسب، وشتان بين الرزق وبين الكسب.

الرزق نوعان ظاهر و باطن :

أيها الأخوة، الرزق نوعان ظاهر هو الأقوات والأطعمة وكل ما ينتفع به الجسم المأوى، المركبة، أما الرزق الباطن هو أن تعرف الله، هو أن تتصل به، هو أن تتقرب إليه، هو أن تقبل عليه، هو أن يلقي في قلبك نوراً، لو أن أحدكم قال لي ما الدليل ؟ هو قوله تعالى:

﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ (٨٢) ﴾

(سورة الواقعة)

معرفة الله رزق، طاعته رزق، التوكل عليه رزق، الثقة به رزق، الإقبال عليه رزق. أيها الأخوة الكرام، الرزق الأول متعلق بالجسد وموقت بالدنيا، فإذا مات الإنسان انتهت الأرزاق الظاهرة، أما الأرزاق الباطنة ينتفع بها في حياته وفي البرزخ وفي جنة عرضها السماوات والأرض.

أحب الأشياء إلى الله أن تكون سبباً في رزق القلوب و رزق الأبدان :

أيها الأخوة الكرام، أن يرزق الإنسان علماً هادياً، ولساناً مرشداً معلماً، ويداً منفقةً متصدقةً، ويكون سبباً لوصول الأرزاق الشريفة إلى القلوب بالأقوال والأعمال، ووصول الأرزاق إلى الأبدان بأفعاله وأعماله، هذا من أحب الأشياء إلى الله، أن تكون سبباً في رزق القلوب وأن تكون سبباً في رزق الأبدان، هو في مجموعه العمل الصالح، لذلك قال عليه الصلاة والسلام:

((الْخَازِنُ الْأَمِينُ الَّذِي يُؤَدِّي مَا أُمِرَ بِهِ طَيِّبَةً نَفْسُهُ أَحَدُ الْمُتَصَدِّقِينَ))

[متفق عليه عن أبي موسى الأشعري]

اختلاف مفهوم الرزق بين المؤمن و غير المؤمن :

أيها الأخوة، يقول الله عز وجل:

﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا ﴾

(سورة هود الآية: ٦)

هذه من تفيد استغراق أفراد النوع، أي شيء يدبّ على وجه الأرض حتى النملة السمراء التي تدب على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء رزقها على الله، أحياناً في قمم الجبال تجد ينابيع المياه وليس لها تفسير دقيق إلا أن يكون مستودع هذه الينابيع في جبل أعلى من أجل بضعة وعول تعيش في قمم الجبال.

أيها الأخوة، مفهوم الرزق فيه اختلاف بين مؤمن وبين غير مؤمن، فالمؤمن يعلم علماً يقيناً بحسب درجة إيمانه أن الرزق من الله وأن عليه أن يأخذ بالأسباب ثم يتوكل على الله بينما غير المؤمن يعتمد في يقينه أن الرزق من عمله:

﴿ إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي ﴾

(سورة القصص الآية: ٧٨)

قارون، هذا هو الفرق، المؤمن يعلم علم اليقين أن رزقه من الله وعليه أن يأخذ بالأسباب بينما غير المؤمن يعتقد أنه صانع رزقه.

أيها الأخوة، أهل الإيمان يفهمون الرزق أن يكون مالاً، أو قوتاً، أو ملبساً، أو مسكناً، وفي درجاتهم العليا يرونه العافية في الدين والدنيا، والعافية في النفس والأهل والولد، ويرون الرزق في سعادة الدارين، أما أهل اليقين يرون أن الرزق أن يصرفك الله عن كل ما سواه، وأن تكون قريباً من الله، وأهلاً لجنة الله في ملكوت الله.

المال قوم الحياة :

أيها الأخوة الكرام، لا شك أن الرزق يزيد ويقل، هذه الزيادة إن شاء الله في خطبة أتحدث عن بضعة عشرات بل قريب من خمسين بنداً من الكتاب والسنة يسهم في زيادة الرزق، ألا يتمنى كل واحد منا أن يكون رزقه وفيراً؟ لأن المال قوام الحياة ولأن الصحابي الجليل له مقولة رائعة قال: حبذا المال أصون به عرضي وأتقرب به إلى ربي. إلى الموضوعات الحساسة، الوسائل القرآنية والنبوية في زيادة الرزق هذا في الخطبة بعد القادمة إن شاء الله عز وجل.

أيها الأخوة، من هذه الأسباب مثلاً بشكل سريع صلة الرحم تكون سبباً في زيادة الرزق، هذه بعض الأسباب وهناك أسباب كثيرة سوف آتي إليها إن شاء الله عز وجل.

المال رزق ولكنه ليس كل الرزق بل أحد أنواعه :

أيها الأخوة الكرام، أنواع الرزق أولاً المال أحد أنواع الرزق، الصحة رزق والعلم رزق، وطاعة الله رزق، والحكمة رزق، والزوجة الصالحة رزق، والزوجة العفيفة رزق، والأولاد الأبرار رزق، والمأوى رزق، والسمعة العطرة رزق، فإذا توهمنا أن الرزق هو المال الذي يأتينا فهذا وهم خطير، فالمال رزق ولكنه ليس كل الرزق بل أحد أنواعه وهو وسيلة وليس بغاية، هناك آلاف النعم تتمتع بها وقد نغفل عنها ونتوهم أن الرزق هو المال.

الحقيقة الثانية هو ما انتفعت به أما الذي لم تنتفع به ليس رزقاً بل هو كسب، والكسب تحاسب عنه أشد الحساب كيف كسبته من طريق مشروع أو من طريق غير مشروع؟ كسبته بالصدق أم بالكذب؟ بالأمانة أم بالخيانة؟ بالحقيقة أم بالوهم؟ كسبته بقوتك وضغوطك واحتياكك أم كسبته بعرقك وكذك؟ هذا هو مناط الموضوع.

أيها الأخوة الكرام، الرزق ما انتفعت به، الآن حلالاً أو حراماً، طيباً أو خبيثاً، مشروعاً أو غير مشروع.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾

(سورة البقرة الآية: ١٧٢)

ألصق شيء بحياة الإنسان عمله وحرفته فعليه أن يتحرى الحلال فيها :

الحقيقة أن بعض الرزق الذي انتفعت به ليس مشروعاً أضرب مثلاً أضربه كثيراً، تفاحة رابعة على غصن خامس من فرع سادس من شجرة تفاح في بستان بمكان في بلدة هذه التفاحة لك، قسمت لك، أنت باختيارك تأخذها شراءً مشروع، ضيافة مشروع، تأكلها هدية مشروع، تأكلها سرقة غير مشروع، تأكلها احتيالياً غير مشروع، هي لك ولكن طريقة وصولها إليك باختيارك.

إن روح القدس نفثت في روعي أن نفساً لن تموت حتى تستوفي رزقها، فاتقوا الله عباد الحق، وأجملوا في الطلب، وفي زيادة لهذا الحديث واستجملوا مهنكم.

لأن ألصق شيء في حياة الإنسان عمله وحرفته، فإن كانت مشروعة عاش مرتاحاً، وعاش ناعماً، وعاش طيب النفس، أما إذا كان كسب المال من طريق غير مشروع، من حرفة لا ترضي الله، من بضاعة محرمة، أو إذا كان طريق كسب الرزق من ابتزاز الناس، أو إيهامهم، أو إلقاء الرعب في قلوبهم، فهذا رزق خبيث ابتعد عنه.

إن روح القدس نفثت في روعي أن نفساً لن تموت حتى تستوفي رزقها فاتقوا الله عباد الله وأجملوا في الطلب واستجملوا مهنكم.

الحكمة من جعل الكسب الحلال صعباً و الكسب الحرام سهلاً :

أيها الأخوة الكرام، ليس كل رزق حلالاً، هناك شبهات من دخل السوق من دون فقه أكل الربا شاء أو أبي:

((أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة))

[رواه الطبراني عن ابن عباس]

معنى أطب مطعمك أي اشترط طعاماً بمال كسبته حلالاً، لا فيه كذب ولا تدليس ولا إيهام ولا احتكار ولا ابتزاز ولا من أي طريق لا يرضي الله عز وجل.

أيها الأخوة، لحكمة بالغة بالغة بالغة جعل الكسب الحلال أقل من الكسب الحرام لذلك قيل: قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تؤدي شكره، وقليل يكفيك خير من كثير يطغيك.

((بادروا إلى الأعمال الصالحة ما ينتظر أحدكم من الدنيا إلا غنىً مُطغياً، أو فقراً مُنسياً، أو مرضاً مُفسداً، أو هرماً مُقيداً، أو موتاً مُجهزاً ؛ أو الدجال، فالدجال شرٌّ غائبٍ يُنتظر ؛ أو السَّاعةُ، والسَّاعةُ أدهى وأمر))

[أخرجه الترمذي عن أبي هريرة]

لو أن الرزق الحلال سهل جداً وكثير جداً لأقبل الناس على الحلال ؛ لا طاعة لله، ولا حياءً به، ولا طمعاً بجنته، أقبلوا عليه لأنه سهل يسير وكثير وفير، لكن لحكمة بالغة بالغة جعل الكسب الحلال صعباً، وأحياناً الكسب الحرام سهل جداً، يعني أن تغض البصر عن مستودع قد تأخذ الملايين المملينة، أما حينما تكسب هذا المال من تجارة مشروعة يعني هناك جهد لا يعلمه إلا الله كي تكسب المال من التجارة، فالكسب الحلال يبدو للمتوهم أنه صعب لكن الذي يؤمن بالله واليوم الآخر لا يقبل إلا رزقاً حلالاً ولو كان قليلاً.

﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ (٧)

(سورة الكهف)

من لوازم الإيمان أن تختار عملاً يرضي الله :

أيها الأخوة الكرام، من لوازم الإيمان أن تختار عملاً يرضي الله، اختيار الحرفة شيء مهم جداً بل كنت أقول دائماً: إن اختيار الزوجة والحرفة أخطر شيئين في حياة الإنسان لأنهما ألصق شيئين بنفسك، البيت يبذل والمركبة تبدل لكن الحرفة بعد أن تستقر بها سنوات وسنوات وتشكل فيها خبرات وخبرات يصعب تركها، وكذلك الزواج لك منها أولاد، فلذلك أنا أحاطب الشباب بطولة الشاب أن يحسن شيئين مصيريين أن يحسن اختيار زوجته وأن يحسن اختيار حرفته.

الرزق الأعظم الذي يناله الإنسان هو رزق القيم :

مرة ثانية أيها الأخوة، هناك رزق مادي هو الطعام، والشراب، والمسكن، والمركبة، والمأوى، هو ماء الأمطار، الصحة صحة الأجهزة، الأعضاء، الحواس، المأوى، الثياب، هذا كله رزق مادي، ولكن الرزق الأعظم هو رزق القيم دقق:

﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾

(سورة النساء)

هؤلاء الذين أعطاهم الله الملك ؛ منهم من لا يحبهم الله عز وجل، أعطى الملك لفرعون وهو لا يحبه، أعطاه لنبي كريم سيدنا سليمان وهو يحبه، هؤلاء الذين أعطاهم الله المال منهم من لا يحبهم الله عز وجل، أعطاه لقارون وهو لا يحبه، أعطاه لسيدنا عبد الرحمن بن عوف وسيدنا عثمان بن عفان وهو يحبهما، لكن الذي يحبه الله ماذا يعطيه ؟ حصراً:

﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا (١٤) ﴾

(سورة القصص)

﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا (١١٣) ﴾

(سورة النساء)

يعني أعظم فضل تتاله منه أن تعرفه، إنك إن عرفته عرفت كل شيء، وإنك إذا لم تجده لم تجد شيئاً، يا رب، ماذا فقد من وجدك ؟ وماذا وجد من فقدك ؟ وإذا كان الله معك فمن عليك ؟ وإذا كان عليك فمن معك ؟ أما رزق القيم هذا بين يديك، هذا متاح لكل الناس، هذا يحتاج إلى محاكمة صحيحة، وتوبة نصوحة، وإقبال على الله، وصلاح معه.

الرزق الروحي رزق تبدأ ثماره في الدنيا وتستمر إلى الآخرة :

الرزق الروحي، رزق المعرفة، رزق الطاعة، رزق الاتصال، رزق التألق الروحي، رزق الدعوة إلى الله، هذه أرزاق لا يعلمها إلا الله، وهذه تبدأ ثمارها في الدنيا وتستمر إلى أبد الأبد، يقول الإنسان مالي مالي وهل لك يا بن آدم من مالك إلا ما أكلت فأفانيت، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأبقيت، الدنيا لها سقف لو معك مئة مليار كم تأكل صباحاً ؟ كم تأكل ظهراً ؟ كم تأكل مساءً ؟ على كم سرير تنام ؟ كم ثياب ترتدي ؟ كم مركبة تركب ؟ لو معك ألف مليار فالدنيا لها سقف ومحدودة وتنتهي بالموت لكن الآخرة ليس لها سقف:

﴿ لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٤) ﴾

(سورة الأنفال)

﴿ وَ لِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِمَّا عَمِلُوا ﴾

(سورة الأنعام الآية: ١٣٢)

((أَعَدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَأَ عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبٍ بَشَرٍ))

[متفق عليه عن أبي هريرة]

الرزق هو العمل الصالح :

صدقتك من رزقك، حضور هذه الخطبة من الرزق، أن تتنطق بالحق هذا من الرزق، أن تحفظ بعض آيات القرآن الكريم هذا من الرزق، أن تطلع على سيرة النبي عليه الصلاة والسلام هذا من الرزق، ماذا قال سيدنا موسى حينما سقى للفتاتين ؟

﴿ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾ (٢٤)

(سورة القصص)

استنبط علماء التفسير أن الرزق هو العمل الصالح، وأن الغنى هو غنى العمل الصالح، وأن الفقر هو فقر العمل الصالح، الغنى والفقر بعد العرض على الله.

﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ (٩٩) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ (١٠٠)

(سورة المؤمنون)

الغنى والفقر بعد العرض على الله.

المال قوة حيادية :

أيها الأخوة الكرام، المال قوام الحياة، المال ليس نعمة وليس نقمة، شيء موقوف على طريقة استخدامه، المال ربما كان درجات ترقى بها إلى أعلى علبين، وربما كان دركات يهوي بها الإنسان إلى أسفل سافلين، هو قوة ولكنها قوة حيادية قال تعالى:

﴿ فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴾ (١٥)

(سورة الفجر)

هو يقول:

﴿ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ ﴾ (١٦)

(سورة الفجر)

جاء الجواب الإلهي جواب ردع:

كلا ليس عطائي إكراماً ولا منعي حرماناً، عطائي ابتلاء وحرمانى دواء، المال مادة امتحانك قد تتجح في امتحان المال وقد لا تتجح، الفقر مادة امتحانك وقد تتجح في هذا الامتحان

الصعب وقد لا تتجح، فالمال ليس خيراً مطلقاً ولا شراً مطلقاً موقوف على طريقة كسبه وإنفاقه، وقد يكون المال فتنة.

﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ (٢٨)﴾

(سورة الأنفال)

تقنين الله على العبد تقنين تأديب و ليس تقنين عجز :

أيها الأخوة الكرام، إذا قنن الله على العبد رزقه فليعلم علم اليقين أن التقنين ليس تقنين عجز ولكنه تقنين تأديب والدليل:

﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ

بَصِيرٌ﴾ (٢٧)

(سورة الشورى)

﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾

(سورة الحجر)

((يا عبادي، لو أن أولكم وآخركم، وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد، فسألوني، فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر، يا عبادي، إنما هي أعمالكم أحصيها لكم، ثم أوفيتكم إياها، فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه))

[مسلم عن أبي ذر]

وبعد الحديث إن شاء الله في الخطبة بعد القادمة سيكون الحديث عن أسباب زيادة الرزق، وكلها مدللة بالكتاب والسنة.

الحكمة الإلهية من تفضيل بعض الناس على بعض في الرزق :

هناك حقيقة لا بد من وضعها بين أيديكم، عن أنس رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما أخبر عن ربه يقول الله عز وجل:

((إن من عبادي من لا يصلح إيمانه إلا بالغنى، ولو أفقرته لكفر))

[الجامع الصغير للسيوطي عن عمر، والفردوس بمأثور الخطاب عن أنس]

هذا موضوع ثان:

((إن من عبادي من لا يصلح إيمانه إلا بالفقر، ولو أغنيته لكفر))

[الجامع الصغير للسيوطي عن عمر، والفردوس بمأثور الخطاب عن أنس]

يوجد إنسان مقاومته ضعيفة على المال يفكر بالعصيان، على دخل محدود يبقى مستقيماً فرحمة الله به أن يكون ذا دخل محدود، في إنسان على الدخل الوفير ينفق يميناً وشمالاً ينفق لإطعام الفقراء والمساكين، لذلك:

((وإن من عبادي من لا يصلح إيمانه إلا بالسقم، ولو أصححته لكفر، وإن من عبادي من لا يصلح إيمانه إلا بالصحة، ولو أسقمته لكفر))

[الجامع الصغير للسيوطي عن عمر، والفردوس بمأثور الخطاب عن أنس]

أحياناً المؤمن الكامل يستسلم لقضاء الله وقدره، يبذل قصارى جهده في أن يرفع مستوى معيشته، فإذا بذل قصارى جهده وبلغ به التعب والجهد إلى مكان ما، هذا الذي أراده الله لا يستسلم إلا بعد الأخذ بالأسباب أما قبل أن يأخذ بها هو مؤاخذ عند الله عز وجل.

من حرص على المال ذهب شرفه و دينه و أصبح خادماً لهما :

أيها الأخوة الكرام، الناس في كسب المال ثلاثة أطباق، رجل شغله معاشه عن معاده فهو من الهالكين، ومن شغله معاده عن معاشه فهو من الفائزين، ورجل شغله معاشه لمعاده فهو من المقتصدين.

والنبي عليه الصلاة والسلام يقول: ما يسرني أن عندي مثل أحد هذا ذهباً تمضي عليّ ثلاثة أيام وعندي منه دينار واحد. حُبب إلينا إنفاق المال وقال أيضاً:

((ما ذنبان جائعان أرسلا في غم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه))

[أخرجه الترمذي عن كعب بن مالك]

حرصه على المال قد يذهب بشرفه ودينه و يصبح خادماً لهما.

المال قوة إذا استخدم وفق ما يرضي الله عز وجل :

أيها الأخوة الكرام، مرة ثانية حبذا المال أصون به عرضي وأتقرب به إلى ربي، هذان الهدفان الكبيران المشروعان وراء كسب المال، لكن الذي أتمنى أن أقوله لكم ختاماً لهذا الموضوع إذا كان طريق كسب المال سالكاً وفق منهج الله ينبغي أن تكون غنياً، لأنك بهذا المال تستطيع أن تفعل من الأعمال الصالحة الكثير مالا يستطيع أن يفعلها إنسان آخر، المال قوة يمكن أن تفتح بهذا المال ميماً، معهداً شرعياً، أن تطعم الجياع، أن تزوج الشباب، المال قوة كبيرة جداً بل إن النبي عليه الصلاة والسلام يقول:

((لا حَسَدَ إِلا عَلَى اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْقُرْآنَ فَقَامَ بِهِ آتَاءَ اللَّيْلِ وَآتَاءَ النَّهَارِ، وَرَجُلٌ أُعْطَاهُ اللَّهُ مَالًا، فَهُوَ يُنْفِقُهُ آتَاءَ اللَّيْلِ وَآتَاءَ النَّهَارِ))

[متفق عليه عن عبد الله بن عمر]

فالمال قوة وأنت بالمال أمام خيارات للعمل الصالح لا يعلمها إلا الله، فإذا كان طريق كسب المال سالكاً وفق منهج الله ينبغي أن تكون غنياً كي تتفقه في سبيل الله، أما إذا كان طريق كسب المال على حساب دينك واستقامتك ورضوان ربك فاعلم علم اليقين أن الفقر وسام شرف لك، وقل معاذ الله إني أخاف الله رب العالمين.

يوجد حرف الآن لها دخل فلكي لكن أساسها إفساد أخلاق الشباب أو أساسها بث الرعب في قلوب الناس، ابحث عن حرفة ترضي الله.

المال أحد أدوات التقرب إلى الله عز وجل :

أيها الأخوة، بقي موضوع أخير يقول عليه الصلاة والسلام:
((إِنَّ الْأَشْعَرِيِّينَ إِذَا أَرْمَلُوا فِي الْعَزْوِ، وَقَلَّ طَعَامُ عِيَالِهِمْ بِالْمَدِينَةِ: جَمَعُوا مَا كَانَ عَنْدهُمْ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ، ثُمَّ اقْتَسَمُوا بَيْنَهُمْ فِي إِنْاءٍ وَاحِدٍ بِالسَّوِيَّةِ، فَهَمَّ مِنْي وَأَنَا مِنْهُمْ))

[أخرجه البخاري ومسلم عن أبي موسى الأشعري]

والله ما آمن، والله ما آمن، والله ما آمن، من بات شبعان وجاره إلى جانبه جائع وهو يعلم، الفكرة الأخيرة إذا كان معك فضل مال أعطي من هذا الفضل على من لا مال له. فالمال أحد أدوات التقرب إلى الله عز وجل، لذلك ورد في بعض الآثار أن الله عز وجل يسأل عبدين من عباده يقول للأول

((أن عبدي أعطيتك مالاً فماذا صنعت فيه ؟ يقول: يا رب لم أنفق منه شيئاً مخافة الفقر على أولادي من بعدي، فيقول الله له: ألم تعلم بأني الرزاق ذو القوة المتين ؟ إن الذي خشيته على أولادك من بعدك قد أنزلته بهم، ويقول للثاني: أعطيتك مالاً فماذا صنعت في ؟ يقول: يا رب أنفقته على كل محتاج ومسكين، لتقتي بأنك خير حافظاً، وأنت أرحم الراحمين، فيقول الله له:
أنا الحافظ لأولادك من بعدك))

[ورد في الأثر]

أيها الأخوة الكرام:

﴿ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ (٦٤)

(سورة يوسف)

الأب الصالح الذي كسب المال الحلال وأنفقه على أولاده يجب أن يوقن يقيناً قطعياً أن الله يحفظ أولاده من بعده، أما الأب الذي كسب المال الحرام من أجل أن يرفه أولاده من بعده قد تكون المعاصي والآثام الذين يقترفونها في صحيفة الأب.

أيها الإخوة الكرام، حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم، واعلموا أن ملك الموت قد تخطانا إلى غيرنا، وسيخطى غيرنا إلينا، فلنتخذ حذرنا، الكيس من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله الأمانى، والحمد لله رب العالمين.

* * *

الخطبة الثانية :

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله صاحب الخلق العظيم، اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

الحظوظ موزعة في الدنيا توزيع ابتلاء وفي الآخرة توزيع جزاء :

أيها الأخوة الكرام، من تتمات الموضوع أن الحظوظ (المال حظ، الوسامة حظ، الذكاء حظ، القوة حظ، الصحة حظ) موزعة في الدنيا توزيع ابتلاء، الغني مبتلى بالمال أي ممتحن، والفقير ممتحن بالفقر، الحظوظ موزعة في الدنيا توزيع ابتلاء وسوف توزع في الآخرة توزيع جزاء، الدنيا محدودة:

﴿ انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴾ (٢١)

(سورة الإسراء)

أما الآخرة أبدية، فالبطولة أن تتجح في أي امتحان امتحنت به في الدنيا، قد تمتحن بالغنى، وقد تمتحن بالفقر، البطولة أن تتجح في امتحان الغنى، أن تتفقه في سبيل الله، وامتحان الفقر أن ترضى عن الله، وأن تتجمل، وأن تكون عفيفاً.

بطولة الإنسان أن ينجح في أي امتحان يمتحنه الله به في الدنيا :

البطولة أن تتجح في مادة المال إيتاءً أو حرماناً، إن نجحت دخلت إلى جنة ربك إلى أبد الأبد، للتوضيح رجلان عاشا ستين عاماً بالتمام والكمال الأول امتحن بامتحان الغنى فلم ينجح والثاني امتحن بامتحان الفقر فنجح ماتاً، يوم القيامة استحق الذي نجح في امتحان الفقر جنة

عرضها السماوات والأرض، والذي لم ينجح في امتحان الغنى دخل النار من هو الرابع؟ على الشبكية الغني في الدنيا، أما بعد إدراك الحقائق الذي نجح في الآخرة هو الذي نجح في امتحانه في الدنيا، فعدّ مادة المال أهم مواد الامتحان، قد تمتحن بالمال وفرة، وقد تمتحن بالمال تفتيراً، فأنت بطولتك أن تتجح في أي امتحان، النبي عليه الصلاة والسلام أصابه الفقر لو لم يكن فقيراً لما صدقه الفقراء، كان إذا دخل بيته يقول أعندكم شيء؟ يقولون: لا، يقول فإني صائم، فالبطولة أن تتجح في امتحان المال وفرة أو تفتيراً إن نجحت فزت ورب الكعبة.

الفقر ثلاثة أنواع : فقر الإنفاق وفقر الكسل وفقر القدر :

لكن أن تكون فقيراً فقراً كسل هذا فقر مذموم وليس قضاء وقدر، الفقر المذموم فقر الكسل، عملك غير متقن، ترجى الأعمال، لا تهتم لا بالمواعيد ولا بالدوام ولا بالإنفاق، إذاً تكون متخلفاً في دنياك، والمتخلف يكون فقيراً بالأعم الأغلب، هذا فقر الكسل مرفوض هذا ليس من أخلاق المؤمن، هناك فقر الكسل صاحبه مذموم، ولا يقول هكذا الله رتب لي هذا كلام فيه دجل اسع، من أنتم؟ قالوا: نحن المتوكلون، قال: كذبتم، المتوكل من ألقى حبة في الأرض ثم توكل على الله، اسع هذا فقر الكسل مذموم أما فقر القدر هذا معذور إنسان معه عاهة من لوازم هذه العاهة أنه فقير هذا فقر معذور صاحبه، أما الفقر المحمود فقر الإنفاق يا أبا بكر ماذا أبقيت لنفسك؟ قال: الله ورسوله، أنفق كل ماله.

هناك فقر الإنفاق وفقر الكسل وفقر القدر صاحبه معذور، الإنفاق محمود، الكسل مذموم.

والحمد لله رب العالمين

خطبة الجمعة - الخطبة ١٠٦٤ : خ ١ - أسباب زيادة الرزق ٢ (الرزق في القرآن والسنة) ، خ
٢ - التقوى سبب من أسباب زيادة الرزق.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠٨-٠١-٢٥

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الأولى :

مقدمة لموضوع الرزق :

أيها الإخوة الكرام، حرص الإنسان على حياته، وعلى صحته، وعلى رزقه، هذه الموضوعات تقع في الدرجة الأولى. وقد بدأت قبل أسبوعين موضوعاً يتعلق بالرزق، ووعدتكم أن أعالج هذا الموضوع بإسهاب، ولأسيما الأسباب التي وردت في القرآن الكريم وفي السنة الصحيحة حول زيادة الرزق، وما منا واحد إلا ويتمنى أن يكون رزقه وفيراً، لكن لا بد من موضوع تمهيدي لهذا الموضوع متعلق بالحلال والحرام.

١ - وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا

أيها الأخوة، الحقيقة الأولى:
﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى
اللَّهِ رِزْقُهَا ﴾

(سورة هود الآية: ٦)

إن جاءت كلمة (على) مع لفظ
الجلالة فتعني أن الله ألزم ذاته العلية
برزق كل المخلوقات.

﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ ﴾

(سورة هود الآية: ٦)

(من) تفيد استغراق أفراد النوع، فإن نملة سمراء على صخرة صماء في ليلة ظلماء رزقها على
الله، وإن وعلاً في قمة جبل رزقه على الله.



﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا ﴾

﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ ﴾

(سورة هود الآية: ٦)

(من) تفيد استغراق أفراد النوع.

(ما من) تفيد الحصر والقصر.

و(دابة)، نكرة تنكير شمول.

(على الله) أي أن الله سبحانه وتعالى ألزم نفسه برزق العباد، هذا قرآن، لو أن الآية: ما من دابة إلا الله يرزقها، فالمعنى: يرزقها أو لا يرزقها، لكن:

﴿ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا ﴾

قد ينصرف الذهن إلى أنواع من دواب معينة، وما من دابة، النفي والاستثناء والتنكير والحصر والقصر، هذه في آية واحدة تؤكد أن الله تكفل برزق العباد.

٢ - فقراء الكسل:

ولكن هناك إشكالية تقفز إلى الذهن، أليس هناك مجاعات ؟
الحقيقة المكملة لهذه الآية:

﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴾

(سورة الملك)

لذلك لا ينال رزق الله جل جلاله، أو لا ينال الرزق الذي ضمنه الله عز وجل إلا بسعي وعمل،
قال تعالى:

﴿ وَقُلْ اعْمَلُوا (١٠٥) ﴾

(سورة التوبة)

لذلك أوسع شريحة من الفقراء فقراء الكسل، لكن قد يبتلئ الإنسان بعاهة تمنعه أن يكسب رزقه، هذا الفقر الذي قَدِّر على الإنسان صاحبه معذور، وهو فقر القدر، و إنسان كسيدنا الصديق أنفق كل ماله ولم يبق لنفسه شيئاً، هذا سماه العلماء فقر الإنفاق، الأول صاحبه معذور والثاني صاحبه مشكور، أما الفقر الذي صاحبه مذموم فهو فقر الكسل، فقر عدم الإلتقان، فقر التأجيل، فقر الخلود إلى الراحة، فقر كراهية العمل، هذه أشياء تسبب الفقر.

الرزق المضمون في الآية الأولى:

﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا ﴾

(سورة هود الآية: ٦)

هذا الرزق المضمون لا ينال إلا بسعي وعمل، ومشى في مناكب الأرض، وابتغاء فضل الله فيها:

﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ (١٥) ﴾

(سورة الملك)

قم البشر الأنبياء كانوا يأكلون الطعام، لأنهم بشر، لأنهم مفتقرون في وجودهم إلى تناول الطعام، لكنهم يمشون في الأسواق، ومفتقرون إلى ثمن الطعام، وثنمن الطعام يحصل بالسعي والكسب المشروع.

أيها الإخوة الكرام، الآية:

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ ﴾

(سور الفرقان: ٢٠)

أيها الإخوة، في المشى في السوق يمتحن الإنسان، يصدق أو يكذب، يتقن أو يهمل، ينصح أو يعش، علة وجودنا في الدنيا الامتحان، والله عز وجل خلق فينا حاجة إلى الطعام والشراب، وحاجة إلى الزواج، ومن أجل هاتين الحاجتين الأساسيتين نتحرك، وفي أثناء التحرك نمتحن. أيها الإخوة الكرام، يقول بعض العلماء: " علينا أن نجتهد في طلب الحلال لنأكل منه، ونلبس منه، وننفق على عيالنا وإخواننا منه، فإنه موجود ما دام المكلفون في الدنيا "

﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ (٤٠) ﴾

(سورة الروم)

في الماضي، الرزق منته، وإذا قنن الله عز وجل فتقنينه تقنين تأديب لا تقنين عجز:

﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ ﴾

(سورة الحجر)

أحياناً غلة القمح في بلدنا الطيب تزيد على ستة ملايين طن، وحاجتنا إلى مليون طن، ستة أضعاف، وأحياناً لا تزيد غلة القمح عندنا على ستمئة ألف طن، من ستة ملايين إلى ستمئة ألف طن، بحسب الأمطار، فالتقنين الإلهي تقنين تأديب لا تقنين عجز.

أيها الإخوة، يقول بعض العلماء: " إذا صدق الإنسان في طلب الحلال استخرجه الله من بين الحرام والشبهات ".

﴿ مِنْ بَيْنِ فَرْتٍ وَدَمٍ (٦٦) ﴾

(سور النحل)

كيف أن الأرض تعج بالدخل الحرام وبالمصادر الحرام، فأَيُّ عبد صدق في أن يكون رزقه حلالاً يسوقه الله عز وجل إلى الحلال.

أيها الإخوة، ورد في بعض الأحاديث أنه:

((من أصاب مالاً في نهاوش من حرام أذهب الله في نهاير))

[الجامع الصغير عن أبي سلمة الحمصي بسند فيه ضعف]

فإما أن يصادر، أو أن يحترق، أو أن يسرق،

((من أصاب مالاً في نهاوش من حرام أذهب الله في نهاير))

٤ - طلب الحلال فريضة على كل مسلم:

لكن الذي ينبغي أن يكون واضحاً أيها الإخوة أن طلب الحلال فريضة على كل مسلم، بل طلب الحلال فريضة بعد الفريضة، الصلاة فريضة، والصوم فريضة، والحج فريضة، وأداء الزكاة فريضة، بعد هذه الفرائض الفريضة التي تلي أركان الإسلام الكسب الحلال.



وذكرت في لقاء سابق أن حرفتك التي تحترفها، ومهنتك التي تتمتعها، ووظيفتك التي تعيش منها إن كانت في الأصل مشروعة، وسلكت بها الطرق المشروعة، وابتغيت منها كفاية نفسك وأهلك وخدمة المسلمين والناس عامة، وما شغلتك عن واجب ديني، ولا عن فريضة، ولا عن طلب علم، ولا عن عمل صالح انقلبت الحرفة إلى عبادة،

فأنت في دكانك تعبد الله، وأنت في عيادتك تعبد الله، وأنت في مكتبك الهندسي تعبد الله، وأن في صفك تعلم تعبد الله، وأنت في حقلك تزرعه لخدمة الناس تعبد الله، وعادات المؤمن عبادات،

وعبادات المنافق سيئات، فطلبُ الحلال واجب على كل مسلم، وطلبُ الحلال فريضة بعد الفريضة.

أيها الإخوة، لا يعجبك كما قال عليه الصلاة والسلام امرأ كسب مالاً من حرام، لا تعجب به لا تقل هنيئاً له، لا تقل: ما أكثرَ دخله، إذا كان الدخل حراماً إن أنفقه أو تصدق به لم يقبل منه، وإن تركه لم يبارك له فيه، وإن بقي منه شيء كان زاده إلى النار.

دقق، عن ابن عباس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

((لا يعجبك ربحَ الذراعين بالدم، ولا جامع المال من غير حله، فإنه إن تصدق لم يقبل منه،

وما بقي كان زاده إلى النار))

[البيهقي عن ابن عباس]

٥ - كسبُ الحلال صعباً، وكسبُ الحرام سهلاً:

لكن لحكمة بالغة جعل كسب الحلال صعباً، وجعل كسب الحرام سهلاً، لأنه لو كان كسب الحلال سهلاً لأقبل الناس على الحلال لا خوفاً من الله، ولا طمعاً في الجنة، ولكن لأنه سهل، لكن الحلال يحتاج إلى جهد، بينما الحرام يكفي أن تغض بصرك عن مستودع لتأخذ الملايين مملينة. أيها الإخوة، يقول عليه الصلاة والسلام في هذا المعنى:

((من بات كالأمن عمله، تعبان، بات مغفوراً له))

[الجامع الصغير عن أنس بسند ضعيف]

لأن كسب الحلال أصل في الورع.

٦ - تحريم السؤال لغير حاجة:

شيء آخر، لقد حرم الله السؤال من غير حاجة، ولكن النبي صلى الله عليه وسلم رخص لحالات ثلاث، وسوف تأتي هذه الحالات بعد قليل، لكن رجلاً من الأنصار أتى النبي عليه الصلاة والسلام يسأله، فعن أنس بن مالك أن رجلاً من الأنصار أتى النبي صلى الله عليه وسلم يسأله فقال:



حَرَّمَ الْإِسْلَامُ السُّؤَالَ لِغَيْرِ حَاجَةٍ

((أَمَا فِي بَيْتِكَ شَيْءٌ ؟ قَالَ: بَلَى، حَلَسٌ - يعني كساء يجلل ظهر الدابة - نَلْبَسُ بَعْضَهُ، وَنَبْسُطُ بَعْضَهُ، وَقَعْبٌ - إناء - نَشْرَبُ فِيهِ مِنَ الْمَاءِ، قَالَ: أَنْتَنِي بِهِمَا، قَالَ: فَأَتَاهُ بِهِمَا، فَأَخَذَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَدِهِ، وَقَالَ: مَنْ يَشْتَرِي هَذَيْنِ ؟ قَالَ رَجُلٌ: أَنَا أَخَذُهُمَا بِدَرَاهِمٍ، قَالَ: مَنْ يَزِيدُ عَلَيَّ دَرَاهِمٍ - هذه المزايدة - مَرَّتَيْنِ، أَوْ ثَلَاثًا، قَالَ رَجُلٌ: أَنَا أَخَذُهُمَا بِدَرَاهِمَيْنِ، فَأَعْطَاهُمَا إِيَّاهُ، وَأَخَذَ الدَّرَاهِمَيْنِ، وَأَعْطَاهُمَا الْأَنْصَارِيَّ، وَقَالَ: اشْتَرِ بِأَحَدِهِمَا طَعَامًا فَاتْبِذْهُ إِلَى أَهْلِكَ، وَاشْتَرِ بِالْآخَرِ قَدُومًا فَاتْنِي بِهِ، فَأَتَاهُ بِهِ، فَشَدَّ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَوْدًا بِيَدِهِ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: اذْهَبْ فَاحْتَطِبْ وَبِعْ وَكُلْ أَرِيكَ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا، فَذَهَبَ الرَّجُلُ يَحْتَطِبُ، وَيَبِيعُ، فَجَاءَ وَقَدْ أَصَابَ عَشْرَةَ دَرَاهِمٍ، فَاشْتَرَى بِبَعْضِهَا ثَوْبًا، وَبِبَعْضِهَا طَعَامًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هَذَا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تَجِيءَ الْمَسْأَلَةَ نَكْتَةً فِي وَجْهِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، إِنَّ الْمَسْأَلَةَ لَا تَصْلُحُ إِلَّا لثَلَاثَةٍ، لِذِي فَقْرٍ مُدْقِعٍ، أَوْ لِذِي غَرَمٍ مُفْطَعٍ، أَوْ لِذِي دَمٍ مُوجِعٍ))

[أبو داود]

٧ - مدحُ الله المتعفين:

أيها الإخوة، لقد مدح الله المتعفين فقال:

﴿ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِحْفَافًا ﴾ (٢٧٣)

(سورة البقرة)

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((لَيْسَ الْمَسْكِينُ الَّذِي تَرُدُّهُ التَّمْرَةُ وَالتَّمْرَتَانِ، وَلَا اللَّقْمَةُ وَلَا اللَّقْمَتَانِ، إِنَّمَا الْمَسْكِينُ الَّذِي

يَتَعَفَّفُ، وَأَفْرَعُوا إِنْ شِئْتُمْ يَعْنِي قَوْلُهُ: ﴿ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِحْفَافًا ﴾))

[متفق عليه]

﴿ يَحْسِبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ ﴾ (٢٧٣)

(سورة البقرة)

لقد أثنى النبي على المتعفين، لذلك ورد في بعض الروايات أن المسكين الذي لا يجد غنى يغنيه، ولا يظن به، فيتصدق عليه، ولا يسأل الناس، لا ينتبه إليه، وهو لا يسأل، بينما هو لا يجد حاجته، هذا هو المسكين هذا الذي أمرنا أن نعينه، وأن نبحت عنه.

أيها الإخوة، بل إن الإمام النووي رحمه الله تعالى يرى أن الإنسان إذا كان غنياً ليس بالمعنى المألوف، إذا كان عنده ما يكفيه، وسأل فسؤاله حرام، وما أخذه محرم عليه، إذا كان غنياً بمعنى أنه عنده ما يكفيه، وسأل كان سؤاله حراماً، وما أخذه سحت يحاسب عليه، أما سؤال المحتاج العاجز فليس بحرام، ولا بمكروه، وإذا سأل ينبغي ألا يذل نفسه، ولا يؤذي المسؤول، ولا يلح في السؤال.

أيها الإخوة، الموضوع دقيق جداً، ونحن في أمس الحاجة إليه، عن أبي كبشة الأنماري أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:

((ثَلَاثَةٌ أَقْسِمُ عَلَيْهِنَّ، وَأُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا فَاحْفَظُوهُ، قَالَ: مَا نَقَصَ مَالُ عَبْدٍ مِنْ صَدَقَةٍ، وَلَا ظَلَمَ عَبْدٌ مَظْلَمَةً فَصَبَرَ عَلَيْهَا إِلَّا زَادَهُ اللَّهُ عِزًّا - أخطر شيء الثالثة - وَلَا فَتَحَ عَبْدٌ بَابَ مَسْأَلَةٍ إِلَّا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ بَابَ فَقْرٍ))

[الترمذي]

المؤمن متعفف، ويصبر، إلى أن يتخذ قراراً أن يمد يده للناس، وأن يسأل، وأن يتضعضع، عندئذ في هذا الحديث الخطير يفتح الله عليه باب فقر.

أيها الإخوة، عن عبد الله بن مسعود قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((مَنْ نَزَلَتْ بِهِ فَاقَةٌ فَأَنْزَلَهَا بِالنَّاسِ لَمْ تُسَدَّ فَاقَتُهُ، وَمَنْ نَزَلَتْ بِهِ فَاقَةٌ فَأَنْزَلَهَا بِاللَّهِ فَيُوشِكُ اللَّهُ لَهُ بَرِزْقٍ عَاجِلٍ أَوْ آجِلٍ))

[الترمذي، أبو داود، أحمد]

يعاب من يشكو الرحيم إلى الذي لا يرحم، إن نزلت بك فاقة فقم قبل الفجر، وصل ركعتين، لأن الله عز وجل فيما أعلمنا النبي عليه الصلاة والسلام ينزل إلى السماء الدنيا، عن أبي سعيد وأبي هريرة قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((إِنْ اللَّهُ يُمَهِّلُ حَتَّى إِذَا ذَهَبَ ثُلُثُ اللَّيْلِ الْأَوَّلِ نَزَلَ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيَقُولُ: هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ؟ هَلْ مِنْ تَائِبٍ؟ هَلْ مِنْ سَائِلٍ؟ هَلْ مِنْ دَاعٍ؟ حَتَّى يَنْفَجِرَ الْفَجْرُ))

[مسلم]

إن نزلت بأحدنا فاقة فليضعها في باب الله، ولا يضعها في باب إنسان.

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((مَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَسْأَلُ النَّاسَ حَتَّى يَأْتِيَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَيْسَ فِي وَجْهِهِ مِزْعَةٌ لَحْمٍ))

[متفق عليه]

سقط لحم وجهه من كثرة السؤال، لذلك عن الزبير بن العوام رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

((لَأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ فَيَأْتِيَ بِحُرْمَةِ الْحَطَبِ عَلَى ظَهْرِهِ، فَيَبِيعَهَا، فَيَكْفَ اللَّهُ بِهَا وَجْهَهُ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ النَّاسَ، أَعْطَوْهُ أَوْ مَنَعُوهُ))

[البخاري]

أيها الإخوة، من أوليات العمل أن تسعى لرزق عيالك ؛ أنت أب، وفي عنقك مسؤولية، وأن هؤلاء الصغار أنت متكفل بتأمين حاجاتهم، طعامهم وشرابهم، وكسوتهم وتعليمهم، حينما تسعى من أجل تأمين رزق أسرتك فأنت في عبادة، الدليل: عن كعب بن عجرة رضي الله عنه قال: مر النبي عليه الصلاة والسلام برجل فرأى أصحاب النبي من جلده ونشاطه فقالوا: يا رسول الله شاب في ريعان الشباب جلد نشيط، يا رسول الله لو كان هذا في سبيل الله؟ فقال عليه الصلاة والسلام، دققوا جيداً:

((إن كان خرج يسعى على ولده صغاراً فهو في سبيل الله - عنده أولاد يحتاجون إلى طعام وشراب، وكساء وأدوية وحليب، فبكر إلى عمله وتعب، أو عنده أب وأم متقدمين في السن - وإن كان خرج يسعى على أبوين شيخين كبيرين فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى على نفسه ليغفها - يتزوج، ويغض بصره - فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى رياءً ومفخرة فهو في سبيل الشيطان))

[الطبراني، ورجاله رجال الصحيح]

دقق، حينما تقوم إلى عملك، وقد يكون العمل شاقاً، ويحتاج إلى دوام طويل، وإلى خضوع إلى مدير العمل، وإلى الإخلاص، والتفاني والإتقان، وتأتي مساءً متعباً منهكاً فأنت في سبيل الله، أنت في عبادة.

حينما يلبي الأب حاجات أسرته يملكهم، يملك قلوبهم، يرشدهم، يوجههم، أما الأب الكسول الذي لا يعمل كلما طلب منه شيء يقول ليس معي، ينصرفون عنه إلى رفقاء السوء، وحينما تكسب المال الحلال من دون إسراف، وتنفق على أهلك وأولادك ووالديك من دون إسراف، من دون تبذير، من دون زهو، هذا العمل في سبيل الله.

أيها الإخوة الكرام، يقول سيدنا عمر: >> لا يقعدن أحدكم عن طلب الرزق، ويقول: اللهم ارزقني <<.

ليس لديك عمل، فتحت الصحف التي فيها طلبات أعمال، درستها كلها، خرجت من البيت، سألت زيداً، رجوت عبيداً، تحرك يا أخي، >> لا يقعدن أحدكم عن طلب الرزق، ويقول: اللهم ارزقني، فقد علمتم أن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة <<.

وقال سيدنا عمر أيضاً: >> إني لأرى الرجل يعجبني فأقول: أله حرفة؟ يعني عملاً، فإن قالوا: لا، سقط من عيني <<.

وفي قول آخر لعبد الله بن مسعود: >> إني لأمقت الرجل فارغاً ليس في شيء من عمل الدنيا، ولا عمل الآخرة.

وأمسك النبي عليه الصلاة والسلام يد عبد الله بن مسعود، وكانت خشنة من العمل، رفعها أمام أصحابه، وقال:

((إن هذه اليد يحبها الله ورسوله))

[ورد في الأثر]

دقق أيها الأخ، إذا خرجت إلى عملك، وأتقنته، وكسبت المال الحلال، لكن أخطر ما في هذه الخطبة الرزق الذي ضمنه الله لك في قوله تعالى:

﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا ﴾

(سورة هود الآية: ٦)

هذا الرزق لا ينال إلا بسعي وعمل، لا سعي، لا عمل، لا إتقان، لا تطوير لا التزام، لا أداء، تصبح فقيراً، وأنت بهذه الحالة ففرك فقر كسل لا فقر قدر.

٩ - العمل واجب في الإسلام:

لذلك أيها الإخوة، يستنبط من هذا أن العمل في الإسلام واجب، سيدنا عمر سأل أحد الولاة قال له: >> ماذا تفعل إذا جاءك الناس بسارق أو ناهب؟ قال له: أقطع يده، قال للوالي: إذا إن جاءني من رعيك من هو جائع أو عاطل فسأقطع يدك، إن الله قد استخلفنا عن خلقه لنسد جوعتهم، ونستر عورتهم، ونوفر له حرفتهم، فإن وفرنا لهم ذلك تقاضيناهم شكرها، إن هذه الأيدي خلقت لتعمل، فإن لم تجد في الطاعة عملاً التمسست في المعصية أعمالاً، فاشغلها بالطاعة قبل أن تشغلك بالمعصية <<.

حينما قاطعنا الدانمرك، لأن بعض رساميه أساءوا إلى النبي عليه الصلاة والسلام، نشرت أبحاث كثيرة عن الدانمرك، لفت نظري أن هذا الشعب الذي لا يزيد على خمسة ملايين إنسان يطعم خمسين مليون إنسان في العالم، لفت نظري أيضاً أن شركة سيارات واحدة في اليابان موظفوها أربعون ألفاً، دخلها يزيد على دخل دولة عربية تعد سبعين مليون إنسان، شركة واحدة موظفوها أربعون ألفاً أرباحاً، هذه الشركة تزيد على الدخل القومي لدولة يعد سكانها سبعين مليوناً، هل تصدقون أن هناك معايير دقيقة جداً، المواطن في بعض البلاد النامية لا يزيد وقت عمله على سبع عشر دقيقة، ومواطن في بلد آخر وقت عمله سبع وعشرون دقيقة، وفي بلاد متقدمة وقوية، وتملك زمام أهل الأرض يعمل المواطن ثماني ساعات كاملة، لا تصدق، كن واقعياً أن أمة يعمل

أفرادها ثماني ساعات، وتأتي أمة يعمل أفرادها سبعة عشر دقيقة في اليوم، كيف تنتصر هذه على تلك ؟ هذا كلام علمي مزعج، لكن الحقيقة المرة أفضل ألف مرة من الوهم المريح، يا أخي، كن شيئاً مذكوراً، هذه الدنيا من أجل التفوق، ابحث عن عمل، طور عملك، فكر بشيء مبدع في عملك.

أيها الإخوة الكرام، لذلك العمل حتم واجب على كل مسلم، هو فريضة بعد الفريضة، طلب الحلال فريضة، لا تحل الصدقة لغني ولا ذي مرة قوي، فالشباب القوي لا تحل له الصدقة، والغني أيضاً لا تحل له الصدقة.

أبلغ ما قرأت أن النبي عليه الصلاة والسلام رأى شاباً يقرأ القرآن في وقت العمل، سأله:

((من يطعمك ؟ قال: أخي، قال: أخوك أعبد منك))

[ورد في الأثر]

الله عز وجل يحب اليد العليا، ولا يحب اليد السفلى، لا يحبك أن تتضعض أمام غني، لا يحب أن تذلل نفسك، اعمل، وابحث عن عمل، واكسب الرزق الحلال، وأنفق.

١٠ - أهمية التجارة والزراعة:



مرة ثالثة ورابعة وخامسة الرزق المضمون، لذلك التاجر الصدوق الأمين مع النبيين و الصديقين والشهداء، ومن منكم يصدق أن أكبر بلد إسلامي الآن إندونيسيا فيها مئتان وخمسون مليوناً من هؤلاء الذين نقلوا لهم الإسلام ؟ تسعة تجار فقط، التاجر الصدوق الأمين مع النبيين، هو داعية إلى الله، قدم لك سلعة جيدة متقنة بسعر معتدل،

وعاملك معاملة طيبة، أحببته، وأحببت دينه، فأسلمت على يديه.

التاجر الصدوق الأمين المسلم مع الشهداء يوم القيامة، التاجر الصدوق في ظل العرش يوم القيامة، إن أطيب الكسب كسب التجار، الذين إذا حدثوا لم يكذبوا، وإذا وعدوا لم يخلفوا، وإذا ائتمنوا لم يخونوا، وإذا اشتروا لم يذموا، وإذا باعوا لم يظروا، وإذا كان لهم لم يعسروا، وإذا كان عليهم لم يملطوا، وإذا كان لم يعسروا، أما إذا حدثوا فكذبوا، ائتمنوا فخانوا، ووعدوا فأخلفوا،

واشترؤوا فذمؤوا، ببؤس لك ببؤعتك، وإذا باعؤا مذبؤا، وإذا كان عببهم أمطلؤا، وإذا كان لهم ضبؤؤا، هؤلؤ التجار هم الفجار، بالكلمة الصربؤة.

هذه التجارة والزراعة، ما من مسلم بزرع زرعاً، أو بغيرس غرساً، فبأكل منه طبر أو إنسان أو بهبمة إلا كان له به صدقة.

أثنى النبى على التجارة وعلى الزراعة، فعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال:

((ما بعث الله نبياً إلا رعى الغنم، فقال أصحابه: وأنت؟ فقال: نعم، كنت أرها على قرارىط لأهل مكة))

[البخارى]

١١ - العمل شرفٌ مهما كان وضعاً في أعين الناس:

والله سمعت من عالم في مصر أنه كان يمشى فرأى شاباً ببيع الناس كؤوس الشاي في الطريق، في طريق نزهة، ويعرفه جامعياً، قال له: ست سنوات وأنا بلا عمل، وأنا أبيع وأكسب رزقاً حلالاً، وأنا به سعيد، نزل وشكره، وأثنى عليه، ودعاه إلى بيته، العمل ليس عيباً، العيب أن تسرق، أن تكذب، أن تغش، يحمل ليسانس، اضطر أن يعمل في بيع الشاي والقهوة، طبعاً العمل أشرف ألف مرة من ذل السؤال.

والله، والله، مرتين، لحفر بئرين بإبرتين، وكنس أرض الحجاز بريشتين، ونقل بحرين زاخرين بمنخلين، وغسل عبدين أسودين حتى يصيرا أبيضين أهون علي من طلب حاجة من لئيم لوفاء دين.

أيها الإخوة الكرام، كنت مرة في مكان لإصلاح السيارة، صاحب المرآب أراد أن يصغر أحد موظفيه، قال: هذا معه ليسانس يعمل في الميكانيكا، فذكرت له هذا الحديث، قلت له:

((ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده))

[البخارى عن المقدم]

نبى عظيم يأكل من عمل يده، هو أراد أن يصغره، لا، وسام شرف له أن يعمل، وأن يأكل الطعام الحلال من كسبه.

يأتي وقت تبقى الثقافة للثقافة فقط، الكسب يحتاج إلى عمل، إلى حرفة تحترفها، لا مانع إذا تعذر التعيين بالوظائف، أصلاً هي ضيقة، إذاً نعمل بأي عمل، لقد سئل عليه الصلاة والسلام عن هذا، فعن جُمع بن عمير عن خاله قال: سئل النبى صلى الله عليه وسلم عن أفضل الكسب فقال:

((بَيْعٌ مَبْرُورٌ وَعَمَلُ الرَّجُلِ بِيَدِهِ))

[أحمد]

هؤلاء الذين يصنعون، لكن يقول عليه الصلاة والسلام:

((إِنَّمَا أَهْلَكَ الصَّنْعَةَ قَوْلًا: غَدٌ وَبَعْدَ غَدٍ))

[ورد في الأثر]

المماطلة.

لكن سئل أي الكسب أطيب أو أفضل، قال:

((بَيْعٌ مَبْرُورٌ وَعَمَلُ الرَّجُلِ بِيَدِهِ))

وخير الكسب كسب يد إذا نصح صاحبها.

١٢ - المال الحلال سبب الدعوة المستجابة والعيش الهنيء والصحة الجيدة:

أيها الإخوة الكرام، قيل لسعد بن أبي وقاص: تستجاب دعوتك من بين أصحاب رسول الله ما السبب؟ قال: << ما رفعت إلى فمي لقمة إلا أنا عالم من أين مجيئها، ومن أين خرجت؟ >>.

((أَطْبَاطُ مَطْعَمِكَ تَكُنُ مَسْتَجَابَ الدَّعْوَةِ))

[الترغيب والترهيب عن ابن عباس بسند فيه ضعف]

لذلك قال بعضهم: لو قمت مقام هذه السارية - صلاة طوال الليل - لم ينفك شيء حتى تنظر ما يدخل بطنك حلالاً أم حراماً.

هذا الذي أكلته من أين؟ و الله زرت صديقاً لي استقبلني والده، قال لي: أنا عمري ست وتسعون سنة، وأجريت البارحة فحوص دم كاملة، جميع النتائج طبيعية، والله شيء غريب، قال لي: ولكن والله ما أكلت قرشاً حراماً في حياتي، ولا أعرف الحرام، بالمعنى التالي: (حرام النساء)، لا هذه ولا تلك، من عاش نقياً عاش قوياً.

أحد العلماء يقول: " رَدُّ دَرَاهِمٍ مِنْ شِبْهِهِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَتَصَدَّقَ بِمِئَةِ أَلْفِ دَرَاهِمٍ، وَتَرَكَ دَانِقًا مِنْ حَرَامٍ خَيْرٌ مِنْ ثَمَانِينَ حِجَّةً بَعْدَ الْإِسْلَامِ، قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ:

((كُلُّ جَسَدٍ نَبَتَ مِنْ سَحْتٍ فَالْأَنْارِ أَوْلَى بِهِ))

[الجامع الصغير عن أبي بكر بسند صحيح]

و من جمع مالاً من حرام ثم تصدق به لم يكن له فيه أجر و كان إثم عليه.

أيها الإخوة الكرام،

((الْحَلَالُ بَيْنَ، وَالْحَرَامُ بَيْنَ، وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنْ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعَرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ، كَالرَّاعِي يَرعى حَوْلَ الْحِمَى يوشك أن يرتع فيه...))

[متفق عليه]

أيها الإخوة الكرام، حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم، واعلموا أن ملك الموت قد تخطانا إلى غيرنا، وسيخطى غيرنا إلينا، فلنتخذ حذرنا، الكيس من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله الأماني، والحمد لله رب العالمين.

* * *

الخطبة الثانية :

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله صاحب الخلق العظيم، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

آية عظيمة مفتاح الرزق : وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا

أيها الإخوة، أشعر أحياناً أن الحاجة ملحة لكسب الرزق الحلال، وقد تضيق الأمور بالناس، وقد تعم البطالة، أقسم لكم بالله إن آية في كتاب الله زوال الكون أهون على الله من ألا تُحَقَّقَ.

﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴾

(سورة الطلاق)

في الرزق:

((وما ترك عبد شيئاً لله إلا عوضه الله خيراً منه في دينه ودنياه))

[الجامع الصغير عن ابن عمر]

لذلك أيها الإخوة، تقول: هناك ظروف صعبة، تقول: الأعمال قليلة، المكاسب نادرة، هناك بطالة، قل ما شئت، ولكن هذه الآية تلغي كل هذه الأشياء، بأي ظرف، بأي وضع، بأي معطيات، بأي ضائقة.

﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ (٣) ﴾

(سورة الطلاق)

تعامل مع الله مباشرة، استقم على أمره، وارفع رأسك، وكن عزيزاً، وقل: يا رب، أنت الذي قلت:

﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا ﴾

(سورة هود الآية: ٦)

وأنا أسألك رزقاً حلالاً يا رب، بالدعاء والعمل والحركة والسعي، وأنا أخاطب الشباب، الشاب يحتاج إلى ثمن بيت، يحتاج إلى دخل مستقر، يحتاج إلى زوجة، ليس له إلا الله.

﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴾

(سورة الطلاق)

اكتب هذه الآية في صدر غرفتك، وتذكرها كل يوم.

﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴾

(سورة الطلاق)

وزوال الكون أهون على الله من ألا يحقق وعوده للمؤمنين.

والحمد لله رب العالمين

خطبة الجمعة - الخطبة ١٠٦٥ : خ ١ - أسباب زيادة الرزق ٣ (التقوى) - خ ٢: الإنفاق من مال حلال من أعظم القربات عند الله .

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠٨-٠٢-٠٨

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الأولى :

أسباب سعة الرزق :

تقوى الله عز وجل:

أيها الأخوة الكرام، لازلنا في سلسلة خطب تتحدث عن الرزق، وصلنا اليوم إلى أسباب سعة الرزق، ولا أعتقد واحداً منا لا يحرص على سعة رزقه، لأن الرزق قوام الحياة، ولكن هذا الرزق له أسباب ذكرها القرآن الكريم، وأوردتها بعض الأحاديث في السنة المطهرة، وهناك أسباب تمنع الرزق، ففي هذا اللقاء وهذه الخطبة الحديث عن أول سبب من أسباب زيادة الرزق وهي تقوى الله عز وجل.

تعريف التقوى :

أيها الأخوة، التقوى أن تتقي غضب الله، وأن تتقي عقابه، بأن تجعل بينك وبينه سترًا يحول دون أن تعاقب أو دون أن تدمر، هذا الستر هو التقوى، وفي القرآن الكريم ما يزيد عن ثلاثمئة آية تتحدث عن التقوى، لذلك بتعريف جامع مانع هي القيام بأمر الله وترك ما نهى الله. التقوى ليست هيئة معينة، لباس معين، حركات معينة، إيماءات، كلمات، إichاءات، إنما هي تطبيق لأوامر الله وترك لما حرم الله. ليس الولي الذي يطير في الهواء، ولا الذي يمشي على وجه الماء، ولكن الولي كل الولي الذي تجده عند الحلال والحرام، أن يراك حيث أمرك، وأن يفتقدك حيث نهاك. من أدق تعريفات الولي القرآنية:

﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٦٣) ﴾

(سورة يونس)

أن تعرف الله، وأن تحمل نفسك على طاعته، وأن تتقرب إليه بالعمل الصالح، والتقوى لا يمكن أن تكون دعوى، إنما هي حقيقة مع البرهان عليها، البرهان عليها الطاعة، أما ادعاؤها لا يقدم ولا يؤخر.

كل يدعي وصلاً بليلي وليلى لا تقر لهم بذاكا

* * *

عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: يفسر قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ﴾. في قوله تعالى: ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ﴾. قال: أن يطاع فلا يعصى وأن يشكر فلا يكفر وأن يذكر فلا ينسى.

[الحديث موقوف رواه الطبراني بإسنادين رجال أحدهما رجال الصحيح والآخر ضعيف]

من كمال التقوى البعد عن الشهوات :

أيها الأخوة، لو دخلنا في التفاصيل، من كمال التقوى البعد عن الشهوات لأن النبي عليه الصلاة والسلام يقول:

((إن الحلال بين، والحرام بين، وبينهما شبهات، من توقاهن كن وقاءً لدينه، ومن توقع فيهن يوشك أو يواقع الكبائر، كالمرتع حول الحمى يوشك أن يواقع، لكل ملك حمى))

[رواه أبو يعلى وفيه موسى بن عبيدة وهو متروك]

وفي رواية أن يرتع فيه.

أيها الأخوة، ولا زلنا في التفاصيل يدخل في تعريف التقوى الكاملة فعل الواجبات، وترك المحرمات والشبهات، بل ربما دخل فيها أيضاً فعل المندوبات، وترك المكروهات، وهي أعلى درجات التقوى، لذلك العبد التقي ينتزه عن كثير من المباحات التي يخشى أن تنقله إلى بعض الشبهات.

((إن الرجل لا يكون من المتقين حتى يدع ما لا بأس به حذراً لما به بأس))

[هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، قال فيه الذهبي: صحيح عن عطية السعدي]

لا يسلم للرجل الحلال حتى يجعل بينه وبين الحرام حاجزاً من الحلال :

من صفات المتقين أنهم يدعون ما لا بأس به حذراً مما به بأس، من تمام التقوى أن يتقي العبد الله حتى يتقيه في متقال ذرة حتى يترك بعض ما يرى أنه حلال خشية أن يكون حراماً حجاباً بينه وبين الحرام.

وقال بعض العلماء إنما سمي المتقون متقين لأنهم اتقوا ما لا يتقى عادة. الشيء الذي لا شيء عليه عند معظم الناس يدعه ورعاً.

((ورعتان من رجل ورع أفضل من ألف ركعة من مخلط))

[أخرجه الشيرازي و البيهقي عن أنس]

إني لأحب أن أدع بيني وبين الحرام سترة لا أخرقها، يعني ترك ما لا بأس به حذراً مما به بأس، وقال بعضهم: لا يسلم للرجل الحلال حتى يجعل بينه وبين الحرام حاجزاً من الحلال. يعني في حلال يجعله بين الحلال وبين الحرام هذا الحلال هو هامش الأمان.

من يتق الله يجعل له من كل ضيق فرجاً :

أيها الأخوة، كيف يتقي الإنسان ربه ؟ ببساطة ما بعدها بساطة كيف تعالج نفسك لا سمح الله ولا قدر من ارتفاع الضغط ؟ حينما تعلم أن ضغطك مرتفع فلا بد للتقوى من العلم، كيف تقع في الشبهات ؟ توهماً من أنها مباحات، كيف تقع في المحرمات ؟ جهلاً بحرمتها، فلذلك الطريق الوحيد إلى التقوى أن تطلب العلم الشرعي وأنت بالكون تعرفه و بالشرع تعبدته وطلب الحلال فريضة بعد الفريضة، وطلب الحلال حتم واجب على كل مسلم.

أيها الأخوة، الآية الأولى في هذه الخطبة والتي ذكرت لكم من قبل أن زوال الكون أهون على الله من ألا تحقق نتائجها مع أي مؤمن من دون استثناء:

﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴾

(سورة الطلاق)

ضَاقَتْ فَلَمَّا اسْتَحْكَمَتْ حَلَقَاتِهَا فُرِجَتْ وَكُنْتُ أَظُنُّهَا لَا تُفْرَجُ

أحياناً تسد عليك كل سبل الرزق، لا في سفر، ولا في وظيفة، ولا في تعيين، ولا في شراكة، ولا في استثمار، كل السبل مغلقة، إذا اتق الله حتى يجعل لك من هذا الضيق فرجاً.

من علامة أنك تتقي الله أن تأتيك الأرزاق من حيث لا تحسب :

أيها الأخوة، المخرج النجاة من الفقر، وكاد الفقر أن يكون كفراً، وإذا كان بالإمكان أن أتوسع بهذه المقولة التي تعزى للإمام علي رضي الله عنه وكاد الفقر أن يكون إرهاباً أحياناً، وكاد الفقر أن يكون نهباً وسلباً، وكاد الفقر أن يكون وقوعاً في الشبهات، من هنا يقول الإمام علي رضي الله عنه: قوام الدين والدنيا أربعة رجال: عالم مستعمل علمه، وجاهل لا يستتفك أن يتعلم، وغني لا يبخل بماله، وفقير لا يبيع آخرته بدنياه، فإذا ضيع العالم علمه استتفك الجاهل أن يتعلم، وإذا بخل الغني بماله باع الفقير آخرته بدنياه غيره.

ومن علامة أنك تتقي الله أن تأتيك الأرزاق من حيث لا تحتسب، من جهة غير متوقعة من جهة ما كانت تخطر في بالك.

أيها الأخوة، الآيات الداعمة، الآية الأصل:

﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴾

(سورة الطلاق)

أنا أخطب الشباب، المستقبل يقول لك مجهول يا ترى أتمكن من دخول الجامعة؟ أتمكن من دخول اختصاص نادر أعيش منه؟ أتمكن أن أشتري بيتاً؟ أتمكن أن أتزوج؟ إله الكون، خالق السماوات والأرض الذي بيده كل شيء كن فيكون زل فيزول.

((يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمَخِيطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ))

[مسلم عن أبي ذر]

أي اذهب إلى البحر، واركب قارباً، وامسك بإبرة، واغمسها في ماء البحر، واكتب لي نسبة هذا المال الذي حملته الإبرة إلى ماء البحر كله، هذا من وصف النبي عليه الصلاة والسلام، قال:

((فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمِدِ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يُلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ))

[رواه مسلم عن أبي ذر]

مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا :

أنا أخطب الشباب، أخطب من سدّت أمامه سبل الرزق، من كان رزقه قليلاً، من شكّا من قلة الرزق، من شكّا من التعسير.

﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴾

(سورة الطلاق)

لكنك لا تقنعني أنك تتقي الله، أفنع نفسك، بإمكانك أن تقنعني فتخرجني، أنا أتقي الله، دقق هل أنت على ما ينبغي أن تكون؟ هل توجهت لله عز وجل؟ هل تركت كل شبهة؟

﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴾

(سورة الطلاق)

زوال الكون أهون على الله من ألا يحقق وعود هذه الآية لكل شاب مؤمن :

مرة ثانية زوال الكون أهون على الله من ألا يحقق وعود هذه الآية لكل شاب مؤمن في أي مكان وفي أي زمان، طبعاً أحياناً الله عز وجل يعقب على قصة تعقيباً يجعلها قانوناً:

﴿فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ (٨٧) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الغَمِّ﴾

(سورة الأنبياء)

التعقيب:

﴿وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ (٨٨)﴾

(سورة الأنبياء)

في أي عصر، في أي مصر، إله أصحاب محمد عليه الصلاة والسلام هو إلهنا، وهذا الإله العظيم الذين تصلون له بيده كل شيء، بيده الأقوياء، بيده ماء السماء، بيده رزق الأرض، بيده أعداؤنا، بيده أصدقائنا، بيده من فوقنا، بيده من تحتنا.

الله عز وجل ثبت ملايين الأشياء و حرك الرزق و الصحة لتربية الإنسان :

﴿فَكَيِّدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَّا تُنظَرُونَ (٥٥) إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٥٦)﴾

(سورة هود)

من الآيات الداعمة:

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾

(سورة الأعراف الآية: ٩٦)

الله عز وجل ثبت ملايين الأشياء، ملايين القوانين، ثبت حركة الأفلاك، ثبت خصائص المواد، ثبت قوانين الفيزياء، قوانين الكيمياء، قوانين الحركة، ثبت مليارات القوانين لكنه حرك الرزق وحرك الصحة، أنت لا تملك صحتك، لا تدري ماذا يكون غداً ولا تملك رزقك، كأن الله عز وجل أراد حينما حرك الرزق والصحة معاً أن يكونا سببين لتربيتنا.

الرزق المحدود مع بركة الله عز وجل يكفي الإنسان و يغطي نفقاته :

أيها الأخوة الكرام، سيدنا معاذ بن جبل رضي الله عنه: قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:

((يا أيها الناس اتخذوا تقوى الله تجارة يأتكم الرزق بلا بضاعة ولا تجارة. ثم قرأ: { وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ }))

(رواه الطبراني وفيه إسماعيل بن عمرو البجلي وهو ضعيف عن معاذ بن جبل)

أقول لكم مرة ثانية أيها الشباب أنتم مُقدمون على حياة، أنت بحاجة إلى زواج مع هذا الفساد العريض، أنت بحاجة إلى بيت مع ارتفاع أسعار البيوت، أنت بحاجة إلى حرفة تدر عليك رزقاً يحفظ لك ماء وجهك، أنا أعلم علم اليقين ما من شاب إلا ويطمح إلى عمل وزواج وحرفة وبيت، اتق الله.

أيها الأخوة الكرام، نحن ما أدخلنا بحساباتنا ما يسمى بالبركة، أحياناً يأتيك رزق محدود مع بركة الله عز وجل، يكفيك ويغطي كل نفقاتك، وأنت في راحة، وفي بجموحة، وقد ينطبق عليك قول: أحدهم الاقتصاد في المعيشة خير من بعض التجارة، التي فيها أخطار، فيها إثم، فيها قهر.

﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾

(سورة الأعراف الآية: ٩٦)

مرة في بعض بلاد الخليج نزل مطراً ما ينزل على دمشق في عام بأكمله، وفي مدينة في إفريقيا كنت فيها نزل في ليلة واحدة ما ينزل من أمطار على دمشق في عامين، إذا أعطى أدهش، ولا يمكن أن يكون تقنين الله تقنين عجز بل تقنين تأديب.

﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴾

(سورة الحجر)

الله عز وجل إذا أعطى أدهش :

أيها الأخوة الكرام، آية ثالثة داعمة للآية الأصل:

﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴾

(سورة الطلاق)

﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْهِمْ مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ

أَرْجُلِهِمْ ﴾

(سورة المائدة الآية: ٦٦)

وما أنزل إليهم من ربهم، القرآن، الله عز وجل أحياناً يعطينا مثلاً في بعض السنوات نحني من القمح ما يساوي ستة ملايين طن، وحاجة بلدنا كله إلى مليون طن ست أضعاف حاجتنا، في سنوات لا يكون مجموع القمح فوق الخمسمئة ألف فقط، إذا أعطى أدهش.

من آثر طاعة الله على هوى نفسه قلل الله همومه و نزع الفقر من قلبه :

آية رابعة:

﴿ وَالْوِاسْتِقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقِيَنَّهُمْ مَاءً غَدَقًا ﴾

(سورة الجن)

قال بعض العارفين: إذا ضاق على فقير أمر معيشته فليسأل الله تعالى في تيسير رزق حلال مما قسمه الله عز وجل.

وقال سفيان الثوري: اتق الله فما رأيت فقيراً محتاجاً. كلام رائع.

﴿ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَأَمْتُمْ (١٤٧) ﴾

(سورة النساء)

ورد في بعض الآثار القدسية: وعزتي وجلالي وعظمتي ما من عبد أثر هواي على هواه، أي أثر طاعة الله على هوى نفسه، إلا أقلت همومه، وجمعت عليه ضيعته، ونزعت الفقر من قلبه، وجعلت الغنى بين عينيه.

وحديث آخر:

((من أصبح وأكبر همه الآخرة جعل الله غناه في قلبه، وجمع عليه شمله وأنته الدنيا وهي راغمة، ومن أصبح وأكبر همه الدنيا جعل الله فقره بين عينيه، وشتت عليه شمله ولم يؤتیه من الدنيا إلا ما قدر له))

[أخرجه ابن ماجة عن أنس بن مالك]

طاعة الله عز وجل خير من الدنيا و ما عليها :

أيها الأخوة الكرام، عن الإمام علي رضي الله عنه أنه سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم: من نقله الله عز وجل من ذل المعاصي إلى عز التقوى أغناه بلا مال، وأعزه بلا عشيرة، وآنسه بلا أنيس، ومن خاف الله أخاف الله تعالى منه كل شيء، ومن لم يخف الله أخافه الله تعالى من كل شيء، ومن رضي من الله باليسير من الرزق رضي الله تعالى منه باليسير من العمل. أيها الأخوة الكرام:

((جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله أوصني. قال: ' عليك بتقوى الله فإنه جماع كل خير))

[رواه أحمد عن أبي سعيد الخدري]

يعني عليك بطاعة الله.

أطع أمرنا نرفع لأجلك حجبنا
و نذ بحمانا واحتم بجانبا
نا فإننا منحنا بالرضا من أحبنا
لنحميك مما فيه أشرار خلقنا

و عن ذكرنا لا يشغلنا شغل و أخلص لنا تلق المسرة والهناء
و سلم إلينا الأمر في كل ما يكن فما القرب والإبعاد إلا بأمرنا

* * *

من أوتي رزقاً مادياً و حرم رزقاً روحياً فهذا استدراج من الله تعالى :

أيها الأخوة الكرام، الإنسان أحياناً يوتي رزقاً مادياً ويحرم رزقاً روحياً، علق الأمل على كل أنواع الأرزاق، معرفة الله رزق عظيم، طاعته رزق عظيم، أن تشعر بالخشوع في الصلاة رزق عظيم، أن تقرأ القرآن فيخشع قلبك رزق عظيم، وأن يعطيك الله مالاً تغطي به حاجاتك هذا أيضاً رزق، لذلك قال تعالى :

﴿الم (١) ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ (٢) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣)﴾

(سورة البقرة)

ومما رزقناهم من علم، أو من جاه، أو من قوة، أو من خبرة، أو من مال.

((إن الله لا يظلم مؤمناً حسنة، يُعطي بها في الدنيا، ويُجزئ بها في الآخرة))

[أخرجه مسلم عن أنس بن مالك]

عطاء الله ابتلاء وحرمانه دواء :

لكن والعياذ بالله إذا رأيت الله يعطي العبد من الدنيا على معاصيه مما يحب فإنما هو استدراج، إذا كانت الدنيا تأتي من أوسع أبوابها والإنسان ليس على طاعة الله فهذا استدراج يعقبه قصم شديد.

﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ (٤٤)﴾

(سورة الأنعام الآية: ٤٤)

﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَّالٍ وَبَيْنَ (٥٥) نَسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ (٥٦)﴾

(سورة المؤمنون)

﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَن * وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ﴾

(سورة الفجر)

الرد الإلهي :

﴿كَلَّا﴾

(سورة الفجر الآية: ١٧)

ليس كذلك، ليس عطائي إكراماً، ولا منعي حرماناً، عطائي ابتلاء، وحرمانني دواء.

من اتقى الله عز وجل رزقه الله من حيث لا يعلم :

أيها الأخوة الكرام، الرزق قوام الحياة، وما من إنسان إلا بحاجة إلى مال يغطي به نفقاته، فإذا اتقى الله عز وجل هياً له رزقاً وقد يكون كفافاً، فإذا كان الرزق كفافاً لا تحزن بل استبشر لهذا الحديث الشريف: اللهم من أحبني فاجعل رزقه كفافاً.

فإذا سألت أخاً كريماً عن رزقه قال لي مستورة، أقول له إذا أصابتك دعوة النبي عليه الصلاة والسلام، قلة المال أمر صعب جداً وكثرة أمر صعب جداً.

((بادروا إلى الأعمال الصالحة ما ينتظر أحدكم من الدنيا إلا غنىً مطغياً، أو فقراً منسياً، أو مرضاً مفسداً، أو هراماً مقيداً، أو موتاً مجهزاً ؛ أو الدجال، فالدجال شرٌّ غائبٍ يُنتظر ؛ أو السّاعةُ، والسّاعةُ أدهى وأمرّ))

[أخرجه الترمذي عن أبي هريرة]

كاد الفقر أن يكون كفراً، الغنى الذي يملكك إلى المعصية من أكبر المصائب لذلك الله عز وجل كما قال بعض العلماء: علم ما كان، وعلم ما يكون، وعلم ما سيكون، وعلم ما لم يكن لو كان كيف كان يكون.

ليس في الإمكان أبدع مما كان، وإذا كشف الله لك الحكمة فيما ساقه إليك، وما أقامك فيه من بحبوحة، أو من ضيق يوم القيامة، ينبغي أن تدوب شكراً لله على ما ساقه إليك من أشياء قد تكون في الدنيا قد كرهتها.

﴿ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٢١٦) ﴾

(سورة البقرة)

المعاصي أحد أكبر أسباب قلة الرزق :

أيها الأخوة الكرام، في الخطبة القادمة إن شاء الله الحديث عن المعاصي التي تمنع الرزق، قد يحرم المرء بعض الرزق بالمعصية، تقوى الله أحد أكبر أسباب زيادة الرزق.

﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً ﴾

(سورة الطلاق)

وهناك مجموعة معاصي أحد أكبر أسباب قلة الرزق، هذا موضوع الخطبة القادمة إن شاء الله تعالى.

أيها الإخوة الكرام، حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم، واعلموا أن ملك الموت قد تخطانا إلى غيرنا، وسيخطى غيرنا إلينا، فلنتخذ حذرنا، الكيس من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله الأماني، والحمد لله رب العالمين.

* * *

الخطبة الثانية :

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله صاحب الخلق العظيم، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الله عز وجل يرزق العبد على قدر نيته :

أيها الأخوة الكرام، من مسلمات الإيمان أنك إذا سألت الله عملاً صالحاً يحتاج إلى مال فإن الله عز وجل يرزقك رزقاً يعينك على هذا العمل الصالح، أما حينما تقول اللهم هب لنا عملاً صالحاً يقربنا إليك، هناك أعمال صالحة تحتاج إلى مال، فلذلك ينطوون على نوايا حسنة، وعلى رغبة في خدمة الخلق، لعل الله يرزقهم رزقاً يكافئ نواياهم، يعني الشيء الذي ينبغي أن يقال أخرج من نفسك إلى خدمة الخلق، عندئذ يمكنك الله من خدمتهم ولو أن خدمتهم كانت تحتاج إلى أموال، الله عز وجل يرزق العبد على قدر نيته، فالذي ينوي خدمة أمته، وحل مشكلات فقرائها، ومعاونة المرضى، ومعاونة من هو بحاجة إلى زواج، الله سبحانه وتعالى يرزقه من حيث لا يحتسب، ما في قاعدة للرزق.

ولو كانت الأرزاق تجري مع الحجي هلكن إن من جهلن البهائم

* * *

أحياناً الله عز وجل يفتح لك باب رزق واسع، المؤمن يسأل الله رزقاً حلالاً طيباً يعينه على عمل صالح يقربه إليه، يعني: ((لا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ آثَاءَ اللَّيْلِ وَآثَاءَ النَّهَارِ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْقُرْآنَ فَهُوَ يَقُومُ بِهِ آثَاءَ اللَّيْلِ وَآثَاءَ النَّهَارِ)) .

[البخاري عن أبي هريرة]

حجم كل إنسان عند ربه بحجم عمله الصالح :

هناك أعمال صالحة يصعب العقل تصورها ممكن أن تنشئ ميثماً، مؤسسة تعليمية تعلم الدين، مستشفى، أن تبني بيوتاً للشباب، أن تغدق مالك على الفقراء والمساكين، أن تقيم مشاريع

حضارية تعزز هذه الأمة، الطرائق إلى الخالق بعدد أنفاس الخلائق، وأنت في الدنيا حجمك عند الله بحجم عملك الصالح، والإنسان حينما يأتيه ملك الموت لا يندم إلا على شيء واحد ؛ على عمل صالح:

﴿ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا ﴾

(سورة المؤمنون الآية: ١٠٠)

((صاحب هذا القبر إلى ركعتين مما تحقرون من تنفلكم خير له من كل دنياكم))

[ورد في الأثر]

والإنسان حينما يموت بثانية واحدة يفقد كل شيء، الذي جمعه في عمر مديد يخسره في ثانية واحدة، لمجرد أن يقف قلبه انتهى، كل أمواله لغيره، لمجرد أن يقف قلبه انتهى، كل أمواله لغيره، وأندم الناس من عاش فقيراً ليموت غنياً، وأندم الناس من دخل وورثته بماله الجنة، ودخل هو بماله النار.

أعظم الأعمال الصالحة أن تتفق مالاً حلالاً لحلّ مشكلات المسلمين :

أيها الأخوة الكرام، تُسأل عن حياتك، وعن عمرك، وعن شبابك، وعن علمك، إلا عن مالك تُسأل سؤالين من أين اكتسبته وفيما أنفقته ؟ والمال قوام الحياة، وبطولة المؤمن أن يعرف كيف يكسب المال الحلال وكيف ينفقه في وجوهه الصحيحة، لبعض الصحابة الكرام كلمة رائعة: حبذا المال أصون به عرضي وأتقرب به إلى ربي.

يعني خيارات الإنسان الذي جمع مالاً حلالاً في العمل الصالح لا تعد ولا تحصى، من هنا إذا كان طريق كسب المال الحلال سالكاً وفق منهج الله ينبغي أن تسلك هذا الطريق، لأنك إن أصبحت غنياً من مال حلال، من طريق مشروع، خيارات العمل الصالح أمامك لا تعد ولا تحصى، أما إذا كان كسب المال على حساب دينك، وعلى حساب مبادئك وقيمك، فاعتقد اعتقاداً جازماً أن الفقر وسام شرف لك، لذلك قالوا: هناك فقر الإنفاق، يا أبا بكر ماذا أبقيت لنفسك ؟ قال: الله ورسوله، ومن أعظم الأعمال الصالحة أن تتفق مالاً حلالاً جمعه من كدٍ حلال ومن كسب حلال لحلّ مشكلات المسلمين، ورب درهم سبق ألف درهم.

والحمد لله رب العالمين

خطبة الجمعة - الخطبة ١٠٦٦ : ١ - أسباب زيادة الرزق ٤ (الأسباب التي تقلل من الرزق)
- ٢ : بركة المال الحلال .

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠٨-٠٢-٢٩

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الأولى :

زيادة الرزق مطب كل إنسان :

أيها الإخوة الكرام، في سلسلة من الخطب نتحدث فيها عن الرزق، ومحور هذه الخطب أسباب زيادة الرزق، ذلك لأن أي إنسان كائناً من كان حريص على شيئين، حريص على وجوده وعلى رزقه، الشيطان الأساسي في حياة أي إنسان على وجه الأرض ؛ أن يبقى حياً، وأن يكون رزقه وفيراً.

الآن مع الكتاب العزيز، وما صح من السنة في حقائق وقواعد وأسباب زيادة الرزق، هذه أمور تحدثنا عنها في خطبة سابقة.
تقوى الله عز وجل:

﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ (٣)﴾

(سورة الطلاق)

الأسباب المانعة للرزق :

لكن لا بد من فرع من فروع هذا الموضوع الكبير، ما هي الأسباب التي تمنع الرزق ؟ ما هي الأسباب التي تقرب من الفقر، ما هي الأسباب التي تقلل من الرزق ؟ هذا الموضوع مهم جداً إن تلافيها كانت النتائج طيبة

أيها الإخوة الكرام، ليس في الدين رأي شخصي، إنه دين الله، ولولا الدليل لقال من شاء ما شاء، ولا يجرؤ إنسان على وجه الأرض أن يقول في الدين برأيه، الآن نحن أمام نصوص من كتاب الله، ومما صح من كلام رسول الله

ما الأسباب التي تقلل الرزق ؟ تقرب إلى الفقر ؟

١ - الزنا:

أولاً الزنا:

﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّانَةَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا (٣٢)﴾

(سورة الإسراء)

الزنا له عقابان :

هناك عقابان للزنا، عقاب سببي، إذ يصاب الإنسان بأمراض خطيرة جداً، منها فيروس الإيدز الذي قضى على عشرات الملايين من أهل الأرض، والآن تقريباً ستون مليون إنسان مصابون بهذا المرض، وهم في طريقهم إلى الموت، فأحد أسباب انعدام الرزق أو قلته هو الزنا، وللزنا عقابان، عقاب علمي، هو نفسه سبب لعاهة أو مرض خبيث أو فيروس، أو ما شاكل ذلك، وعقاب وضعي، يقول عليه الصلاة والسلام :

((إياكم والزنا، فإن فيه أربع خصال: يذهب البهاء من الوجه، ويقطع الرزق، ويسخط الرحمن، ثم الخلود في النار))

[ورد في الأثر]

عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه نقل عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله:

((في الزنا ست خصال، ثلاث في الدنيا وثلاث في الآخرة، أما اللواتي في الدنيا فيذهب ببهاء لوجه، ويورث الفقر، وينقص العمر، وأما اللاتي في الآخرة فيورث السخط وسوء الحساب والخلود في النار))

(الطبراني في الأوسط عن ابن عباس، وفي إسناده مقال كبير)

صدقوا أيها الإخوة، وقع تحت سمعي قصة رجلين ممن يعملان في طلاء السيارات في هذا البلد، ذهبا إلى ألمانية ليستوردا سيارتين، القصة قديمة، وعادا بالسيارتين براً، نزلا في فندق في بلدة من بلدان أوربة الشرقية، يقول لي أحدهما: بعد الساعة الثانية عشرة طُرق باب الرجلين من قبل امرأتين، الأول فتح الباب، والثاني قال: إني أخاف الله رب العالمين، ثم وصلا إلى الشام، الأول في صعود، والثاني في هبوط، الثاني ضاقت الأحوال به، فباع محله، وطلق زوجته، والله وأعرفهما تماماً، الأول في صعود مستمر.

أنا مؤمن إيماناً قطعياً أن أحد أسباب الفقر الزنا، يقول عليه الصلاة والسلام فيما رواه ابن عمر رضي الله عنهما:

((الزنا يورث الفقر))

[الجامع الصغير عن ابن عمر وسنده منكر]

هذا عقاب وضعي، الله بفعله يجعله فقيراً، أما الزنا فسبب علمي لأمراض خبيثة، منها فيروس الإيدز.

أيها الإخوة الكرام، طبعاً الفقير فقر ذات اليد، وفقر القلب، الزاني محبوب عن الله عز وجل، لأنه وقع في فاحشة.

﴿وَلَا تَقْرُبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا (٣٢)﴾

(سورة الإسراء)

كل وسيلة إلى الزنا محرمة :

ما قال: ولا تزنوا، قال :

﴿وَلَا تَقْرُبُوا الزِّنَا﴾

فأي شيء يفضي إلى الزنا فهو محرم، فالخلوة بالأجنبية محرم، صحبة الأراذل شيء محرم، إطلاق البصر شيء محرم، متابعة أشياء إباحية في الإنترنت وفي الفضائيات شيء محرم، لأن هذا طريق إلى الزنا، هذه الشهوة تشبه صخرة في قمة جبل متمكنة في مكانها، فإذا دفعتها، وظننت أنك تريد أن تدفعها مترا واحدا في المنحدر فلن تستقر إلا في قعر الوادي، الأمر ليس بيدك.

﴿وَلَا تَقْرُبُوا الزِّنَا (٣٢)﴾

(سورة الإسراء)

النهي ليس عن الزنا، بل النهي عن أسباب الزنا، كالخلوة، وإطلاق البصر، والاختلاط، وصحبة الأراذل، والإثارة المستمرة، هذه تنتهي إلى الزنا.

٢ - نقص المكيال والميزان:

أيها الإخوة، السبب الثاني للفقير نقص المكيال والميزان، استمعوا إلى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وكأنه بيننا:

((يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ، خَمْسٌ إِذَا ابْتُلِيتُمْ بِهِنَّ، وَأَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ، لَمْ تَظْهَرَ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا إِلَّا فَشًا فِيهِمُ الطَّاعُونَ وَالْأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَصَّتْ فِي أَسْلَافِهِمُ الَّذِينَ مَضَوْا))

هل هناك أوضح من هذا الكلام في موضوع فيروس الإيدز ؟

((وَكَمْ يَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِلَّا أَخَذُوا بِالسِّنِينَ - وهي القحط والجفاف - وَشِدَّةِ الْمُنُونَةِ، وَجَوْرِ السُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ، وَكَمْ يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ إِلَّا مَنَعُوا الْقَطْرَ مِنَ السَّمَاءِ، وَلَوْ لَأَ الْبَهَائِمُ لَمْ

يُمْطَرُوا، وَلَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَ اللَّهِ وَعَهْدَ رَسُولِهِ إِلَّا سَلَطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ، فَأَخَذُوا
بَعْضَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ))

في كل حرب في الشرق الأوسط تنتقل مئات مليارات من العملة الصعبة من الشرق إلى الغرب.

٣ - الحكم بغير ما أنزل الله:

((وَمَا لَمْ تَحْكَمْ أَنْتُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ، وَيَتَخَيَّرُوا مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَّا جَعَلَ اللَّهُ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ))

[ابن ماجه عن ابن عمر]

حروب أهلية، هذه المعصية الثانية، نقص المكيال والميزان، والحكم بغير ما أنزل الله أحد أسباب الفقر.

نحن مع حديث رسول الله الذي لا ينطق عن الهوى، ومع القرآن الكريم كلام رب العالمين.

٤ - منع الزكاة:

المعصية الرابعة منع الزكاة، قال عليه الصلاة والسلام:

((ما نقض قوم العهد قط إلا كان القتل بينهم))

[أخرجه الحاكم عن بريده، وقال: صحيح على شرط مسلم]

بالمناسبة آية دقيقة جداً:

﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبَسَكُمْ شِيْعًا وَيُذِيقَ
بَعْضَكُمْ بِأْسِ بَعْضٍ (٦٥)﴾

(سورة الأنعام: ٦٥)

هذه الصواعق والآن الصواريخ، هذه الزلازل، والآن الألغام، والحروب الأهلية.

((ما نقض قوم العهد قط إلا كان القتل بينهم، ولا ظهرت الفاحشة في قوم قط إلا سلط الله

عليهم الموت، وما منع قوم الزكاة إلا حبس الله عنهم القطر))

[أخرجه الحاكم عن بريده، وقال: صحيح على شرط مسلم]

هناك إحصاءات ربما لا تصدقونها، خمسة بالمئة فقط من أغنياء المسلمين يدفعون زكاة أموالهم،
وفي حديث آخر:

((ما منع قوم الزكاة إلا ابتلاهم الله بالسنين))

[الطبراني في الأوسط عن بريده بسند صحيح]

أول سبب الزنا، الثاني نقص المكيال والميزان، و الثالث الحكم بغير ما أنزل الله، الرابع منع الزكاة.

٥ - الربا:

والخامس الربا، يقول عليه الصلاة والسلام:

((ما من قوم يظهر فيهم الربا إلا أخذوا بالسنة - أي بالفقر - وما من قوم يظهر فيهم الرشا إلا أخذوا بالرعب))

[الحاكم عن عمرو بن العاص، وفي سنده ضعف]

الربا يؤدي إلى الفقر، والرشا تؤدي إلى الرعب.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٢٧٨) فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَّا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ (٢٧٩) ﴾
(سورة البقرة)

وقد روى ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال:

((إذا ظهر الزنا والربا في قرية فقد أحلوا بأنفسهم عذاب الله))

[الحاكم عن ابن عباس، وسنده صحيح]

الزنا والربا.

٦ - اليمين الكاذبة:

المعصية السادسة التي تؤدي إلى الفقر اليمين الكاذبة، قال عليه الصلاة والسلام:

((اليمين الفاجرة تذهب المال، أو تذهب بالمال))

[البزار عن عبد الرحمن بن عوف، وسنده حسن]

أن تحلف يمينا كاذبة، هذه اليمين الكاذبة سبب عند الله للفقر،

((و اليمين الفاجرة تذر الديار بلاقع))

[البيهقي عن أبي هريرة بسند صحيح]

بلاقع أي: خربة.

وبعض التابعين قال لأحد التجار: " يا عبد الله، اتق الله، ولا تكثر الحلف، فإنه لا يزيد في رزقك إن حلفت، ولا ينقص من رزقك إن لم تحلف"، فلا داعي أن تحلف أن هذه الحاجة سعرها كذا، الله عز وجل هو الرزاق، ويقول عليه الصلاة والسلام:

((إياكم وكثرة الحلف في البيع، فإنه ينفق ثم يمحق))

[مسلم عن أبي قتادة]

الشاري قد يخجل منك فيشتري البضاعة بأيمان مغلظة، يشتريها، لكن الله يمحق هذا المال. وفي حديث آخر:

((الحلف منفقة للسعلة ممحقة للبركة))

[متفق عليه عن أبي هريرة]

لا تحلف.

كان الإمام أبو حنيفة رضي الله عنه يتصدق بدينار عن كل يمين حلفها صادقاً، فكيف إذا كان كاذباً، بل إن النبي صلى الله عليه وسلم يقول:

((ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ، قَالَ: فَقَرَأَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَلَاثَ مَرَارٍ، قَالَ أَبُو ذَرٍّ: خَابُوا وَخَسِرُوا، مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: الْمُسْبِلُ، وَالْمَنَّانُ، وَالْمُنْفِقُ سَلْعَتَهُ بِالْحَلْفِ الْكَاذِبِ))

[مسلم عن أبي ذر]

٧ - الكذب:

المعصية السابعة الكذب، الكذب من صفات الكافرين والمنافقين:

﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكُذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ (١٠٥)

(سورة النحل)

المؤمن لا يكذب، قد يقع في معاص، لضعف في نفسه، قد تغلبه شهوته، لكن الكذب ليس شهوة، بل هو خُبثٌ، المؤمن لا يكذب، لذلك ورد في بعض الأحاديث:

((يطبع المؤمن على الخلال كلها))

[رواه أحمد عن أبي أمامة الباهلي]

هناك مؤمن عصبي المزاج، على العين والرأس، ومؤمن يحب البقاء في البيت، ومؤمن يعتني بهندامه كثيراً، ومؤمن هندامه أقل من غيره، ومؤمن يحب الاختلاط مع الناس، ومؤمن يؤثر العزلة، هذه طباع:

((يطبع المؤمن على الخلال كلها إلا الخيانة والكذب))

[رواه أحمد عن أبي أمامة الباهلي]

فإذا كذب و خان فليس مؤمناً، المؤمن لا يكذب.

أيها الإخوة، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

((ثَلَاثَةٌ لَا يَكْلِمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ: رَجُلٌ حَلَفَ عَلَى سَلْعَةٍ لَقَدْ أُعْطِيَ بِهَا أَكْثَرَ مِمَّا أُعْطِيَ، وَهُوَ كَاذِبٌ، وَرَجُلٌ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ كَاذِبَةٍ بَعْدَ الْعَصْرِ لِيَقْتَطِعَ بِهَا مَالَ رَجُلٍ مُسْلِمٍ، وَرَجُلٌ مَنَعَ فَضْلَ مَاءٍ، فَيَقُولُ اللَّهُ الْيَوْمَ: أَمْنَعُكَ فَضْلِي كَمَا مَنَعْتَ فَضْلَ مَا لَمْ تَعْمَلْ بِدَاكِ))

[أخرجه البخاري]

لذلك حتى في الإعلانات التي توهم بخصائص لبضاعة ليست فيها، التي توهم بأنها من مصدر معين، وهي من مصدر آخر، التي توهم أن فيها هذه الخصائص، وهي ليست فيها.

أيها الإخوة، أن تضع علامة تجارية لسلمة ليست من هذا المعمل قضية سهلة جداً، الآن هناك معامل بأعلى مستوى من التقنية، توضع العلامات التجارية الرائجة على سلم من مستوى منخفض جداً، وتباع هذه السلع بهذه الطريقة، لذلك قال عليه الصلاة والسلام:

((الكذب ينقص الرزق))

[الجامع الصغير عن أبي هريرة بسند موضوع]

هل هناك أوضح من هذا ؟ و:

((البيعان بالخيار...))

[أخرجه الجماعة عن حكيم بن حزام]

البيعان: المشتري والبائع:

((... ما لم يتفرقا، فإن صدقا وبينا بورك لهما في بيعهما))

أنت حينما تخفي عيباً في بضاعة الله عز وجل يتولى معاقبتك.

والله إن إنسانا أعرفه عنده مركبة فيها عيب خطير في المحرك فباعها، وتمكن أن يخفي هذا العيب، وقال لي بالحرف الواحد: لبستها لشخص، ظن نفسه ذكياً، فيها عيب خطير في المحرك،

لكنه كتم هذا العيب، و أوهم الشاري أن هذا المحرك طبيعي جداً، وباعها، واشترى مركبة على الصفر، هذا مصطلح عند من يشتري المركبات، جميلة جداً، لون طحيني، الفرش بلون كحلي، وهو مسرور بها، في ثالث يوم في أحد أحياء دمشق ارتكب حادثاً فتحطمت تحطماً بالغاً، فلما جاءني شاكياً قلت له: ألم تقل لي قبل أيام: أنت بعت هذه السيارة التي كانت عندك لإنسان، وأخفيت عنه العيب، إخفاء العيب حرام:

((النَّبِيَّانِ بِالْخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا، أَوْ قَالَ: حَتَّى يَتَفَرَّقَا، فَإِنْ صَدَقَا، وَبَيْنَا بُورِكٌ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا، وَإِنْ كَتَمَا، وَكَذَبَا مُحِقَّتْ بَرَكَةٌ بَيْنَهُمَا))

[متفق عليه]

إخواننا الكرام، من أروع الأحاديث الشريفة:

((إِنْ الصِّدْقُ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدْقًا، وَإِنَّ الْكُذْبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَابًا))

[أخرجه البخاري عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه]

المؤمن لا يكذب، و بعض الآباء دون أن يشعروا يعلمون أولادهم الكذب، يقول لابنه: قل لهم: إنني لست هنا، هذا الكلام العملي يلغي ألف محاضرة في الصدق، الناس يتعلمون بعيونهم لا بأذانهم، ولغة العمل أبلغ من لغة القول.

أحد إخوتنا الكرام والده فتح له معملاً بمصر، وهو يمشي بمركبته مست مركبته مركبة أخرى، في المركبة إنسان فوق التسعين، مات، هو شاب، فاتصل بمدير المعمل، هو موظف عنده، قال له هذا ما صار، قال له: اطمئن، تعال بعد ساعة إلى المركز الشرطة الفلاني، جاء بعد ساعة، كان كل شيء منتهياً، الضبط بخلاف الواقع، تلك السيارة التي فيها من مات هي التي ضربته، قال له المسؤول: وقّع، قال له: حصل خلاف ذلك، قال له: وقّع، قال له: لا أوقّع، قال له: عجيب، أول مرة إنسان أنا أخلّصه، وهو يوقّع بنفسه، قال له: أنا لا أريد أن أنجو منك، أريد أن أنجو من الله، لا أوقّع إلا على الذي حدث، فوقع أنه هو الذي تسبب، و دفع الدية، وعين أولاده موظفين في المعمل.

أريد إنساناً كهذا الإنسان، أريد مؤمناً إيمانه صارخ موظفين إيمانه يلفت النظر، لا نرقى إلا بهذا، لا أوقع هذا كلام فيه زور، أنا الذي صدمته، ما دمنا صادقين، ما دمنا نتحرى العدل فإله ينصرنا، فإذا ظلم بعضنا بعضاً فإله يخذلنا.

والله أنا أعتز بهذا الإنسان الذي أتاحت له فرصة أن ينجو من كل مسؤولية لكنه تربي تربية إيمانية عالية، قال: أنا لا أوقع إلا على الذي حدث، ويدفع الثمن.

٨ - الاحتكار:

أيها الإخوة، معصية أخرى هي الاحتكار، عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:

((مَنْ احْتَكَرَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ طَعَامًا ضَرَبَهُ اللَّهُ بِالْجُدَامِ وَالْإِفْلَاسِ))

(رواه ابن ماجه عن عمر مرفوعا)

هو أراد أن يمتع جسمه بهذا المال الوفير، أراد أن يزداد ماله فأصابه مرض عضال، وماله أصابه الإفلاس.

((مَنْ احْتَكَرَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ طَعَامًا ضَرَبَهُ اللَّهُ بِالْجُدَامِ وَالْإِفْلَاسِ))

أيها الإخوة، الاحتكار أن تحبس بيع البضاعة، ولا سيما البضاعة الغذائية التي يحتاجها الناس، أن تحبسها من أجل أن يرتفع ثمنها، هل تصدقون أنه كما يكون البائع محتكراً يكون الشاري محتكراً، كيف؟

أنت تحتاج في الشهر إلى عبوة من غذاء معين، فشعرت بأزمة، فاشتريت خمس عبوات، هذا المستهلك الذي يشتري فوق حاجته، ويسبب نقص هذه البضاعة محتكر أيضاً، خذ حاجتك، لذلك قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((مَنْ احْتَكَرَ فَهُوَ خَاطِيٌّ))

(أخرجه مسلم والترمذي وأبو داود)

خاطي ليس مشكلة، اسمع:

﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِينَ﴾ (٨)

(سورة القصص)

كلمة خاطي في القرآن تعني أنه إلى جهنم، ويئس المصير، **((مَنْ احْتَكَرَ فَهُوَ خَاطِيٌّ))**.
عَنْ ابْنِ عُمَرَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((مَنْ احْتَكَرَ طَعَامًا أَرْبَعِينَ لَيْلَةً فَقَدْ بَرَّئَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، وَبَرَّئَ اللَّهُ تَعَالَى مِنْهُ، وَأَيُّمَا أَهْلٍ

عَرَصَةٍ أَصْبَحَ فِيهِمْ امْرُؤٌ جَائِعٌ فَقَدْ بَرَّئَتْ مِنْهُمْ ذِمَّةُ اللَّهِ تَعَالَى))

(رواه أحمد وأبو يعلى والبخاري والطبراني في الأوسط)

عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((الْجَالِبُ مَرْزُوقٌ، وَالْمُحْتَكِرُ مُلْعُونٌ))

[ابن ماجه]

لا تحتكر طعاماً، ويقول عليه الصلاة والسلام:

((مَنْ دَخَلَ فِي شَيْءٍ مِنْ أَسْعَارِ الْمُسْلِمِينَ لِيُغْلِبَهُ عَلَيْهِمْ فَإِنَّ حَقًّا عَلَى اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنْ

يُقْعِدَهُ بِعُظْمٍ مِنَ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ))

[أحمد]

الموظف له دخل محدود عشرة آلاف، رفعت عليه السعر، أنت أرباحك زادت، أما هذا صاحب الدخل المحدود سحقته، عنده أولاد، عنده زوجة، وهو شريف ومستقيم، لا يأكل الحرام، لكنك أوقعته في حرج كبير، أنت ضاعفت أموالك أضعافاً كثيرة، لكنك أوقعته في حرج شديد، إياك أن تبني مجدك على أنقاض الآخرين، إياك أن تبني غناك على إفقار الآخرين، إياك أن تبني أمناك على إخافة الآخرين، إياك أن تبني عزك على إذلال الآخرين إياك، الله كبير الله بالمرصاد، الله عنده أورام خبيثة، عنده فشل كلوي، تشمع كبد، خثرة بالدماغ، عنده أمراض تدع الحليم حيران، عنده عقاب يشيب لهوله الولدان، إياك أن تبني مجدك على أنقاض الآخرين، إياك أن تبتز أموالهم، إياك أن تلقي الرعب في قلوبهم، إياك أن تأخذ ما ليس لك، هناك إله عظيم.

((مَنْ دَخَلَ فِي شَيْءٍ مِنْ أَسْعَارِ الْمُسْلِمِينَ لِيُغْلِبَهُ عَلَيْهِمْ فَإِنَّ حَقًّا عَلَى اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنْ

يُقْعِدَهُ بِعُظْمٍ مِنَ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ))

[أحمد]

٩ - الغش:

المعصية التاسعة الغش، أيها الإخوة، أنواع الغش تحتاج إلى خطب، تغيير صفات البضاعة، تغيير منشأ البضاعة، اللعب بالوزن، بالكيل، بالمساحة، بالإيهام، هذا كله يؤدي إلى فقر، الغش أحد أسباب الفقر، يقول عليه الصلاة والسلام:

((غِبْنِ الْمُسْتَرْسِلَ رَبًّا))

[البيهقي عن أنس بسند فيه ضعف]

المسترسل الجاهل بخصائص البضاعة، والباعه عندهم حاسة سادسة، يشعرون أن هذا المشتري جاهل بخصائص البضاعة فيبييعونه أسوأ بضاعة بأعلى ثمن، ويتوهمون أنهم أذكىاء. حدثني أخ من إخواننا عن إنسان اشترى مركبة جديدة، وهو لا يفهم ما فيها، فيها مشكلة، جاء إلى

أحد المصلحين، أعطاه وصفاً خطيراً لعله فيها، وطلب مبلغاً كبيراً، والمدة ثلاثة أيام، وإصلاح المركبة يحتاج إلى دقيقة واحدة، ولا يكلف شيئاً، فأول يوم أخذ أهله بهذه المركبة إلى الزبداني، وثاني يوم إلى الغوطة، وثالث يوم إلى طريق المطار، فقال له جاره: يا رجل، اتق الله، القضية تكلفك ربع ساعة وأنت جعلتها ثلاثة أيام، وبمبلغ كبير جداً، قال له: هكذا العمل، أنا الذي أعمل الصواب، له ابن يعمل في مخرطة، دخلت نثرة فولاذ في عينه، كلفته العملية تقريباً خمسين ألف ليرة، والقصة واقعية، الله كبير.

من هو الغبي؟ هو الذي يتوهم أن الله لا يعاقب، قال أحدهم: يا رب، لقد عصيتك، ولم تعاقبني، قال: عبدي، قد عاقبتك ولم تدر، مليون مصيبة يسوقها الله لك، أن تغش المسترسل فهذا ربا.

١٠ - التجارة في المحرمات:

آخر معصية: التجارة في المحرمات، هناك مواد محرمة، ومشروبات محرمة، ولحوم محرمة، وبضاعة محرمة، أشياء لا تعد ولا تحصى، لمجرد أن تتاجر في المحرمات فقد وقعت في إثم كبير.

والله سبحانه وتعالى يريدنا أن نتعلم، فمن دخل السوق من دون فقه أكل الربا، شاء أم أبي، فمعرفة الأحكام الشرعية فرض عين على كل مسلم، ما الحلال وما الحرام. أيها الإخوة الكرام، حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم، واعلموا أن ملك الموت قد تخطانا إلى غيرنا، وسيخطى غيرنا إلينا، فلنخذ حذرنا، الكيس من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله الأمانى، والحمد لله رب العالمين.

* * *

الخطبة الثانية :

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله صاحب الخلق العظيم، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المال الحلال فيه البركة :

أيها الأخوة الكرام، المال الحلال فيه بركة.

والله زرت إنساناً قال لي: والله أنا عمري ست وتسعون سنة، وأجريت فحوصاً كاملة، فكانت النتائج طبيعية كلها، ثم أقسم لي بالله إنه ما أكل قرشاً حراماً، ولا يعرف الحرام النسائي، فمن عاش تقياً عاش قوياً، حفظناها في الصغر فحفظها الله علينا في الكبر، الله رزاق، رزاق صيغة مبالغة.

((وما ترك عبد شيئاً لله إلا عوضه الله خيراً منه في دينه ودنياه))

[الجامع الصغير عن ابن عمر]

هذه حقائق، لماذا نحن نأتي على المسجد ؟ كي نتعرف على الحقائق، نتعرف على منهج الله، إلى أمر الله، إلى نهيه، إلى القوانين، إلى الخصائص، فلذلك مهمة المسجد أن تأخذ تعليمات الصانع، تعليمات الصانع ليست من عند أحد من عند الخالق.

﴿إِنْ أَتَّبِعْ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ (٥٠)﴾

(سورة الأنعام)

لا تقبلوا كلمة من دون دليل، لا تقبل كلمة واحدة.

هذه عشرة أسباب للفقر، كل أدلتها آيات أو أحاديث صحيحة، فإذا أراد الإنسان أن يكون رزقه وفيراً فليبتعد عن هذه الأسباب العشرة، والتعامل مع العباد وفق منهج، وليس هناك تعامل مزاجي، وأحياناً التعامل مع إنسان مزاجي صعب، ليس له قاعدة، أما ربنا عز وجل فجعل التعامل معه مقنناً بقوانين، النبي صلى الله عليه وسلم بين للناس ما نزل إليهم، فأنا أتمنى هذه القواعد العشر أن تحفظ، كل إنسان يعمل في البيع والشراء، يكسب رزقه من التجارة عليه التقيد بهذه التعليمات التي أراها الله أن تكون منهجاً لنا.

والحمد لله رب العالمين

خطبة الجمعة - الخطبة ١٠٦٧ : خ ١ - أسباب زيادة الرزق ٥ (التقوى - التوحيد - الصدق - الاقتصاد) - خ ٢ : الاقتصاد في المعيشة .

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠٨-٠٣-١٤

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الأولى :

مقدمة لأسباب زيادة الرزق :

أيها الإخوة الكرام، لازلنا في سلسلة خطب تتمحور حول الرزق، ولأنَّ حرص الإنسان على حياته وعلى رزقه حرص لا حدود له لذلك أردت - والله الموفق - أن أربط بين طاعة الله واتباع سنة نبيه وبين تطبيق منهجه وتحقيق حاجات الإنسان الأساسية، فحينما يتوجه الدين إلى معالجة مشكلات الإنسان، والإنسان بحسب حرصه على وجوده، وعلى سلامة وجوده، وعلى كمال وجوده، وعلى استمرار وجوده عندئذ يصغي.

أسباب زيادة الرزق :

١ - الاستقامة والتقوى :

أيها الإخوة، تقوى الله عز وجل أحد أكبر الأسباب التي تزيد في الرزق:

﴿ وَالْوَالُوا اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا ﴾

(سورة الجن)

﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴾

(سورة المائدة الآية: ٦٦)

ويقاس على هذه الآية ولو أنهم أقاموا القرآن:

﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْهِمْ مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكْلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ ﴾

(سورة المائدة الآية: ٦٦)

وفي خطبة سابقة تحدثت عن موانع الرزق، وهي عشرة.

واليوم مع سبب آخر يضاف إلى تقوى الله، وهو صدق التوكل عليه وحسن التسليم له.

علاقة التوحيد بالرزق :

الحقيقة الأولى في هذا الموضوع: علاقة التوحيد بالرزق، كلكم يعلم أن الله جل جلاله لحكمة بالغة جعل نظام الكون وفق مبدأ السببية، فجعل لكل نتيجة سبباً، ولكل سبب نتيجة، إلا أن الناس أحياناً بدافع من ضعف توحيدهم يتوهمون أن السبب وحده هو الذي يخلق النتيجة، هذا نوع من أنواع الشرك، لذلك هناك من يأخذ بالأسباب ويعتمد عليها، وينسى مسبب الأسباب، بل يؤلّه الأسباب كحال أهل الغرب، وهناك من لا يأخذ بها أصلاً كحال أهل الشرق، الغرب حينما أخذ بالأسباب، واعتمد عليها، واكتفى بها، وألّوها، ونسى الله عز وجل وقع في الشرك الأكبر، والشرق حينما لم يأخذ بالأسباب وقع في المعصية، دائماً وأبداً التطرف سهل، كإنسان وقع ابنه في ذنب، أن يضربه ضرباً مبرحاً يتشفى منه القضية سهلة جداً، أيّ أب بعيد عن الدين بعيد عن الحكمة وعن الفهم يفعل هذا، أو يتساهل فلا يحاسبه أبداً، لكن البطولة أن يحبك ابنك بقدر ما يخاف منك، هذا الوضع الوسطي الحكيم يحتاج إلى جهد كبير، فأن تأخذ بالأسباب، وأن تؤلّوها، وأن ننسى الله قضية سهلة جداً، كالعالم الغربي، وألا تأخذ بها، ونتوكل على الله بسداجة ما بعدها سداجة أيضاً القضية سهلة، لكن الموقف الكامل أن تأخذ بالأسباب، وكأنها كل شيء، ثم تتوكل على الله، وكأنها ليست بشيء، هذا الموقف الكامل في طلب الرزق، في النجاح بالعمل، في العناية بالصحة، في تربية الأولاد، أن تأخذ بالأسباب، وكأنها كل شيء، وأن تتوكل على الله، وكأنها ليست بشيء.

الصدقة بمنطق الحساب الرياضي والحقيقة الشرعية :

أيها الإخوة، على الإنسان أن يسعى في طلب الرزق، لكن بالتأكيد لو توهم أن هناك أسباباً تجلب له الرزق، ولو أنها تتناقض مع منهج الله وقع في الشرك الأكبر، ووقع في خطأ لا يتصور، لذلك من ابتغى أمراً بمعصية كان أبعد مما رجا، وأقرب مما اتقى، وأوضح مثل أنك إذا أقرضت قرصاً ربوياً بالحسابات بالآلة الحاسبة وبمنطق الرياضيات يزداد مالك، أقرضت مئة ألف عادت هذه المئة ألف مئة ألف وزيادة بالفائدة، لكن الله عز وجل يقول:

﴿يَمْحُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُكَفِّرُ بَأْسَهُ وَيُثَبِّتُ الْقَائِمَ وَيَنْزِلُ بِهِ الْغُيُوبَ﴾ (٢٧٦)

(سورة البقرة)

وأنتك إذا تصدقت قل مالك بالحساب والآلة الحاسبة، ومنطق الرياضيات، صدقة تُتَقَصُّ المال، والربا يزيد، أما الواقع فعكس ذلك، الله عز وجل ينمي المال الذي تصدق منه، بل إن الزكاة سميت زكاة من معنى النمو، فالمال ينمو بالزكاة.

((مَا نَقَصَ مَالَ عَبْدٍ صَدَقَةٌ))

[أحمد عن أبي كبشة الأنماري]

((يَا عَبْدِي، أَنْفِقْ أَنْفِقْ عَلَيْكَ))

[الترغيب والترهيب بسند صحيح]

((أَنْفِقْ بِلَالٍ، وَلَا تَخْشَ مِنْ ذِي الْعَرْشِ إِقْلَالًا))

[الطبراني في الكبير والبخاري عن أبي هريرة بسند صحيح]

الحسنة بعشرة أمثالها.

والله في هذا المسجد مرة حدثني أخ كريم ميسور توفي ابن عمه الأستاذ الجامعي، فزار أولاده، وقال لهم: دِينٌ أْبِيكُمْ عَلِيٌّ، لكنه لا يعلم كم الدين، تصور الديون عشرة آلاف إلى عشرين ألفاً، فوجئ أنها ثلاثمئة وثمانون ألفاً فدفعتها، لأن وعد الحر دين، وحدثني عن قصته في صحن المسجد، وبكى، قال: والله بعد أيام جاني مبلغ من صفقة لبضاعة كاسدة من سنوات طويلة جاء من يشتريها، وكنت آيساً من بيعها، ونصيبي من هذه الصفقة المبلغ الذي دفعته.

والله معي آلاف القصص، هذه واحدة، بمنطق الإيمان إن دفعت صدقة يزداد مالك، بعكس منطق الآلة الحاسبة والرياضيات، بمنطق الإيمان إن أكلت الربا يمحق مالك، بعكس الحساب والرياضيات والآلة الحاسبة، فلذلك من ابتغى أمراً بمعصية كان أبعد مما رجا، وأقرب مما اتقى.

دَعِ الْمَالَ الْحَرَامَ وَالْمَشْبُوهَ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْوِضُ عَلَيْكَ خَيْرًا مِنْهُ :

شيء آخر، لحكمة بالغة يعرض عليك مبلغ كبير تحل به كل مشكلاتك، لكن فيه شبهة، وأخذ الله يرضي الله، فالمؤمن الصادق قوي الإيمان يركل هذا العرض بقدمه، ويقول: معاذ الله، إني أخاف الله رب العالمين، والله الذي لا إله إلا هو هذا إيماني، أن زوال الكون أهون على الله من ألا يعوضك خيراً منه بالحلال.

والله أخ كريم حدثني عن قصة، ورجاني أن أنقلها لكم، وقد نقلتها لكم كثيراً، أنه جاءه عرضٌ أرباحه من هذا العرض حوالي مئتي ألف ليرة، لكن تبين أن هذا العرض من أجل صناعة الخمر، فرفضه، الذي طلب منه هذا العرض أغراه بأشياء كثيرة، يقسم بالله العظيم بعد اثنين وعشرين يوماً جاءه عرض أرباح الصفقة الثانية أكثر من مئة ضعف، احفظوا هذا الحديث:

((وما ترك عبد شيئاً لله إلا عوضه الله خيراً منه في دينه ودنياه))

[الجامع الصغير عن ابن عمر]

لذلك الأسباب وحدها لا تكفي، بل لا بد من أن يأذن مسبب الأسباب.

الإنسان أحياناً من ضعف توحيده يتوهم أن الرزق بيد فلان، فإذا أرضاه ولو بمعصية الله يزداد رزقه، وإن أغضبه ولو بطاعة الله ينقطع رزقه، الذي يحصل أنك إذا لم تعبأ بغضب زيد، ولا بغضب عبيد وقصدت إرضاء الله عز وجل عندئذ يخضعك الله عز وجل لقانون العناية الإلهية، فيزداد رزقك، مع أن القواعد المستتبطة من حركة الحياة تؤكد أنك ستخسر هذا الرزق، الله عز وجل موجود، وما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، هو الرزاق، ذو القوة المتين. أول حقيقة في هذا الموضوع ينبغي أن تكسب رزقك من طريق مشروع، لأن ما عند الله لا ينال بمعصية الله، وإذا توهمت أنك إذا أقمت منهج الله عز وجل سوف ينقطع رزقك، أو يقل فهذا وهم من الشيطان:

﴿ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا نِيَّكُمْ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (١٧٥) ﴾

(سورة آل عمران)

((وما ترك عبد شيئاً لله إلا عوضه الله خيراً منه في دينه ودنياه))

[الجامع الصغير عن ابن عمر]

الأخذ بالأسباب والتوكل على الله :

لكن هناك حقيقة، النبي صلى الله عليه وسلم يقول :

((إِنْ اللّٰهُ يَلُومُ عَلَى الْعَجْزِ))

[أبو داود]

ليس هناك عمل، ولا وظيفة، ماذا أفعل ؟ أنا محتاج إلى عمل، إلى دخل، إلى زواج، إلى بيت، لكنك جالس في البيت لا تتحرك، الله عز وجل أمرنا أن نأخذ بالأسباب، ثم نتوكل على رب الأرباب، فترك الأخذ بالأسباب معصية، وأن تأخذ بها وتنسى الله عز وجل شرك، لذلك أعيد وأقول: ينبغي أن تأخذ بالأسباب وكأنها كل شيء، وأن تتوكل على الله وكأنها ليست بشيء. الآن اقتربنا من لب الموضوع، معظم المسلمين يتوهمون التوكل ألا تأخذ بالأسباب، الحقيقة الخطيرة أنه لا تتناقض إطلاقاً بين الأخذ بالأسباب والتوكل على الله أبداً، تأخذ بالأسباب تعبدًا. هناك مثل صارخ، النبي صلى الله عليه وسلم ماذا فعل ؟ أخذ بالأسباب كلها، اتجه في الهجرة مساحلاً بخلاف الاتجاه نحو المدينة، وقبع في الغار أياماً ثلاثة ليخف عليه الطلب، هياً من

يأتيه بالزاد، هياً من يحمو الآثار، هياً من يأتي له بالأخبار، اختار دليلاً رجح فيه الخبرة على الولاء، وكان مشركاً، أخذ بالأسباب كلها، ومع ذلك وصلوا إليه، ما حكمة أنهم وصلوا إليه؟ ليبين الله لأمته من بعده أنه أخذ بالأسباب تعبداً، لكنه في حقيقته متوكل على الله، فلما وصلوا إليه، واضطرب سيدنا الصديق، قال له: يا رسول الله لو نظر أحدهم إلى موطئ قدمه لرآنا، قال النبي صلى الله عليه وسلم:

((يَا أَبَا بَكْرٍ مَا ظَنُّكَ بِأَتَيْنِ اللَّهَ تَالِثُهُمَا))

[متفق عليه]

انظر إلى الموقف المتوازن، أخذ بالأسباب وكأنها كل شيء، ووصلوا إليه فلم يضطرب، هو متوكل.

نحن بتطبيقاتنا العملية حينما تسافر تجري مراجعة لمركبتك، مراجعة تامة، العجلات، الزيوت، المكابح، مراجعة تامة، وأنت في أعماق أعماقك موقن أن الله هو المسلم، تقول: يا رب، أنا راجعت المركبة تنفيذاً لأمرك، لكنني متوكل عليك، مستسلم لك، وأنا موقن أنك أنت الحافظ، وأنت المسير، هذا هو الموقف الصحيح.

إذا مرض الابن، آخذه لأمهر طبيب، اشتري له الدواء الجيد، أشرف بنفسي على إعطاء الدواء، ومن أعماق أعماقي أقول: يا رب، أنت الشافي، ولا شفاء إلا شفاءك، أن تجمع بين الأخذ بالأسباب والتوكل على رب الأرباب، لذلك الكلمة الشائعة التي أصبحت مثلاً هي من كلام النبي صلى الله عليه وسلم أن أعرابياً دخل عليه، وترك ناقته بغير رباط، فعن أنس بن مالك يقول: قَالَ رَجُلٌ:

((يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَعْقَلُهَا وَتَوَكَّلْتُ، أَوْ أَطْنَقُهَا وَتَوَكَّلْتُ؟ قَالَ: أَعْقَلُهَا وَتَوَكَّلْتُ))

[الترمذي]

خذ بالأسباب وتوكل على الله.

أيها الإخوة، هذا الذي يقوله معظم الناس: اعقل وتوكل، خذ بالأسباب، ثم توكل على رب الأرباب.

هناك حديث يتوهمه بعض المسلمين أنه يريحهم من الأخذ بالأسباب.

((لَوْ أَنَّكُمْ تَوَكَّلْتُمْ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ - الطير ماذا فعلت ؟ - تَغْدُو خِمَاصًا، وَتَرُوحُ بِطَانًا))

[أحمد، النسائي، ابن ماجه، الحاكم، وقال الترمذي حسن صحيح]

الطير لم تقبع في عشها، بل تحركت، وتوجهت إلى السوق على أسباب الرزق، فالحديث حجة على من فهمه فهماً خاطئاً، يرزق الله الطير، ولكنها تحركت وطارت.

((لَوْ أَنَّكُمْ تَوَكَّلْتُمْ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ، تَغْدُو خِمَاصًا، وَتَرُوحُ بِطَانًا))

سيدنا عمر بن الخطاب لقي أناساً من أهل اليمن قال: من أنتم ؟ رأيهم يتكفون الناس ويتسولون، قال: من أنتم ؟ قالوا: نحن المتوكلون، وهذا النموذج موجود في كل زمان، ماذا تفعل؟ الأمر بيده، ترتيب سيدك، قاعد في البيت لا يتحرك ولا يسأل، ولا يبحث عن عمل، الله لم يأذن، حتى يأذن، فقال: كذبتم، المتوكل من ألقى حبة في الأرض، ثم توكل على الله.

أيها الإخوة الكرام، سئل الإمام أحمد عن رجل جلس في بيته أو في المسجد، وقال: لا أعمل شيئاً حتى يأتيني رزقي، فقال: هذا الرجل جهل العلم، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم:

((... وَجُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِي، وَجُعِلَ الذِّلَّةُ وَالصَّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي...))

[أحمد عن ابن عمر]

بين فقر الكسل وفقر الإفاق :

وأنا أقول لكم: هناك فقر الكسل، وهذا الفقر مذموم، صاحبه لا يتحرك، ولا ينطلق إلى عمله، ولا يضبط مواعيده، ولا يسجل على دفتره جدول أعماله، هكذا بلا تخطيط، بلا انضباط، بلا نشاط، بلا همة، هذا فقير، لكن هذا فقر مذموم، لا تقل لإنسان يهمل عمله، ولا يداوم، ويؤثر الراحة على العمل، ويقبع في بيته يتوكل، ويرجئ كل شيء، لا تقل له: أنت فقير مسكين، هذا فقره عقاب له، هذا فقر الكسل، ونعوذ بالله من فقر الكسل، لكن هناك فقر القدر، إنسان معه عاهة تمنعه من كسب المال، صاحبه معذور، أما الفقر الذي صاحبه ممدوح فهو فقر سيدنا الصديق، يا أبا بكر ماذا أبقيت لنفسك ؟ قال: الله ورسوله، أنفق كل ماله .

وفي بعض الروايات أن رجلاً قال:

((يا رسول الله إني أحبك، قال: انظر ما تقول، قال: والله إني أحبك قال: انظر ما تقول، قال:

والله إني أحبك، قال: إن كنت صادقاً فيما تقول للفقر أقرب إليك من شرك نعليك))

[ورد في الأثر]

إذا كان معك مال، وأخوك المسلم بحاجة إلى المال هل من المعقول ألا تساعده ؟ يكون قلبك قاسياً، أنت معك مال احتياطي، وعندك أموال طائلة، ومن حولك أناس يموتون من الجوع، لكنك

تبخل عليهم، إذا أنت لا تحب رسول الله، انظر ما تقول ؟ إن كنت صادقاً فيما تقول، هنا الفقر يعني أنه لا بد من أن تتفق من مالك، لكن الحقيقة الدقيقة حينما قال الله عز وجل:

﴿ وَأَنْفَقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ (١٩٥) ﴾

(سورة البقرة)

قال: إن لم تنفقوا، إن لم تنفقوا ألقيتم بأيديكم إلى التهلكة، وقال بعض العلماء: أما إذا أنفقتم كل أموالكم أيضاً باستثناء سيدنا الصديق فله خصوصية، ألقيتم بأيديكم إلى التهلكة.

الإنسان الذي لا يعمل، ويدّعي أنه متوكل فهو كاذب، والدليل أنه يخاف أن يعمل فيفتن، يخاف أن يعمل فيحب الدنيا، يخاف أن يعمل فتستهويه الدنيا، إذاً لا يعمل، فاقراً قوله تعالى:

﴿ رَجَالٌ لَا تُلْهِهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ ﴾

(سورة النور الآية: ٣٧)

يتاجرون، ويدهم عليا، وينفقون، ويعطون، وهم عند الله أبطال، وقد قال عليه الصلاة والسلام:

((التزموا الرزق في خبايا الأرض))

[الجامع الصغير عن عائشة بسند فيه ضعف]

إذا قامت الساعة والله هذا لحديث يلفت النظر، إذا قامت الساعة انتهى كل شيء.

((إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَبَيَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ فَإِنْ اسْتَطَاعَ أَنْ لَا يَقُومَ حَتَّى يَغْرَسَهَا فليَفْعَلْ))

[رواه أحمد في المسند]

في بعض الروايات أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى شاباً يصلي في أثناء النهار، قال له:

((من يطعمك ؟ قال: أخي، قال: أخوك أعبد منك))

[ورد في الأثر]

أمسك النبي عليه الصلاة والسلام يد عبد الله بن مسعود فرأها خشنة من العمل، رفعها، وقال:

((هذه اليد يحبها الله ورسوله))

[ورد في الأثر]

وسيدنا عمر يقول: << إني أرى الرجل لا حرفة له فيسقط من عيني >>.

أقسم لكم بالله ولا أبالغ الشاب الذي ينطلق إلى عمله باكراً، ويتقن عمله، وينمي خبرته، ويأتي بمال، ثم يتزوج، بالتعبير العامي جبر خاطر فتاة، الفتاة إذا تزوجت نجحت في حياتها،

أسس عشًا إسلامياً، جاءه بأولاد فرباهم تربية صالحة، نفعوا الناس من بعده، هل تصدقون أن عمله نوع من العبادة.

أنا أقول دائماً: عملك الذي ترتزق منه، حرفتك، مهنتك، إذا كانت في الأصل مشروعة، إصلاح كهرباء، إصلاح مركبات، لا شيء عليه، بيع أخشاب، بيع أقمشة، إذا كانت الحرفة مشروعة في الأصل، وسلكت بها الطرق المشروعة، لا فيها كذب، ولا غش، ولا تدليس، ولا احتيال، ولا بيع باطل، ولا بيع ربوي، وابتغيت منها كفاية نفسك وأهلك، وخدمة المسلمين، ولم تشغلك عن فريضة، ولا عن واجب، كمن يترك أربع صلوات، ويقول: يا سيدي، أليس الشغل عبادة؟ الشغل عوض الصلاة؟! أعوذ بالله!!! ولم تشغلك عن فريضة، ولا عن واجب، وابتغيت خدمة المسلمين، وكفاية نفسك وأهلك، وهذه الحرفة مشروعة صدق ولا أبالغ انقلبت إلى عبادة، لذلك قالوا: عبادات المنافق سيئات، وعادات المؤمن عبادات.

محل التوكل ومحل الأخذ بالأسباب :

أيها الإخوة، ما هو الدليل القطعي على أن التوكل أحد أسباب زيادة الرزق؟ بالمناسبة أين محل التوكل؟ لأن التوكل له محل، أين محل الأخذ بالأسباب؟ وأين محل التوكل؟ محل التوكل القلب، محل الأخذ بالأسباب الجوارح، تتطلق لتعمل، المسلمون اليوم عكسوا المحلّين، يتوكل بجوارحه، ويتمنى بقلبه أن يرزقه الله، هو جالس لا يتحرك، لا يعمل، لا يسأل، وبقلبه يتمنى أن يرزق، وكأن القضية قضية معجزة، والآن المسلمون باعتبارهم مؤمنون والله واعدتهم بالنصر في عندهم حلم ساذج أن الله عز وجل يخلق معجزة يدمر إسرائيل، عليك بهم يا رب إنهم لا يعجزونك، أنت ماذا أعدت لهم ألم يقل الله عز وجل:

﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾

(سورة الأنفال الآية: ٦٠)

الخطورة أن تجعل قلبك محل تمنياتك وأن تجعل جوارحك محل توكلك، هذا ليس توكل، بل تواكل، التوكل محله القلب والأخذ بالأسباب محلها الجوارح.

الدليل على زيادة الرزق بالتوكل :

الدليل القطعي على أن التوكل على الله يزيد في الرزق قوله تعالى:

﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾

(سورة الطلاق)

يا إخوتي الشباب، هذه الآية لكم، أنتم على مفترق طرق، أنتم مقبلون على الدنيا، أنا أعلم علم اليقين أن كل شاب يحتاج إلى زواج، هذه سنة الله في خلقه، يحتاج إلى مأوى، يحتاج إلى رزق، هذه أهداف ثلاثة، عمل ترتزق منه، وزوجة سالحة تسرك إن نظرت إليها، وتحفظك إذا غبت عنها، وتطيعك إن أمرتها، عمل وزوجة ومأوى، الطريق إليها:

﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ ﴾

وزوال الكون أهون على الله من أن تنتقي الله ثم لا تجد ما وعدك الله به من رزق وفير، فضع أملك بالله، وخذ بالأسباب، وتوكل على الله.

الآية:

﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴾

(سورة الطلاق)

الوقوف عند كلمة: (مخرجًا): متى تبحث عن مخرج؟ إن رأيت الأبواب كلها مغلقة، قدمت مسابقة فما نجحت، بعثة دراسية ما سُمح لك فيها، قدمت عرضًا لعمل فلم يوافق عليه، الأبواب كلها مغلقة، الله عز وجل يقول:

﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴾

(سورة الطلاق)

بعد أن رأيت الأبواب كلها مغلقة اطرق باب الله عز وجل:

﴿ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ (٣)

(سورة الطلاق)

الشاهد:

﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ (٣)

(سورة الطلاق)

وفي الحديث:

((يَنْزِلُ رَبَّنَا كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حَتَّى يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ — دَقُّوا الْآنَ قَبْلَ الْفَجْرِ — فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأَعْطِيهِ؟ وَمَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟ حَتَّى يَنْفَجِرَ الْفَجْرُ))

[مسلم عن أبي هريرة]

ساعات ما قبل الفجر:

((وَكَوْ يَعْلمُونَ مَا فِي الْعَمَةِ وَالصَّبْحِ لَأَتَوْهُمَا وَكَوْ حَبِوًا))

[متفق عليه]

((مَنْ صَلَّى الصَّبْحَ فَهُوَ فِي ذِمَّةِ اللَّهِ))

[مسلم]

وعن أبي ذر قال:

((جَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتْلُو عَلَيَّ هَذِهِ آيَةَ: ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴾ حَتَّى فَرَغَ مِنْ آيَةِ، ثُمَّ قَالَ: يَا أَبَا ذَرٍّ، لَوْ أَنَّ النَّاسَ كُلَّهُمْ أَخَذُوا بِهَا لَكَفَّتَهُمْ))

[أحمد]

والله إن العالم الإسلامي يعاني من المشكلات ما يعاني، والله يعاني من المشكلات ما لا سبيل إلى وصفه، ويقع في رأس هذه المشكلات الفقر، هناك بلاد إسلامية تعد من أفقر شعوب الأرض، وعندها ثروات لا يعلمها إلا الله:

((يَا أَبَا ذَرٍّ، لَوْ أَنَّ النَّاسَ كُلَّهُمْ أَخَذُوا بِهَا لَكَفَّتَهُمْ، قَالَ: فَجَعَلَ يَتْلُو بِهَا وَيُرَدِّدُهَا عَلَيَّ حَتَّى نَعَسْتُ))

((من انقطع إلى الله كفاه الله كل مؤونة، ورزقه من حيث لا يحتسب، ومن انقطع إلى الدنيا وكنه الله إليها))

[رواه الطبراني في الأوسط]

أيها الإخوة الكرام، أحد أكبر أسباب زيادة الرزق التوكل على الله، والتوكل على الله يعني الحركة، مرّ سيدنا عمر برجل معه جمل أجرب، قال له: >> يا أخ العرب، ما تفعل به ؟ قال: أدعو الله أن يشفيه، قال له: هلا جعلت مع الدعاء قطراناً ؟ <<.

اسأل الطبيب، تحرك.

تصور إنسانا يركب مركبة فتوقفت، خرج من المركبة وهو يقول: يا رب، أنقذنا، لو دعا مليون مرة، نقول له: افتح غطاء المحرك، وانظر أين الخلل، واطلب من الله أن يلهمك أين الخلل، واطلب من الله أن يعينك على إصلاح الخلل، هذا موقف علمي عملي، أما ألا تفعل شيئاً، وتكتفي بالدعاء، فالدعاء من دون سعي لا يقبل، بل هو استهزاء بالدعاء.

أيها الإخوة الكرام، حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم، واعلموا أن ملك الموت قد تخطانا إلى غيرنا، وسيتخطى غيرنا إلينا، فلنخذ حذرنا، الكيس من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله الأماني، والحمد لله رب العالمين.

الخطبة الثانية :

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله صاحب الخلق العظيم، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

الاقتصاد في المعيشة أفضل من بعض التجارة :

أيها الإخوة الكرام، أنا لا أنكر أن النفس إذا أحرزت قوتها اطمأنت، لأن فيها اضطراباً، وهذا الاضطراب يسكنه أن يكون لك رزق يكفيك، وكأن النبي عليه الصلاة والسلام يقول:

((اللهم من أحبني فاجعل رزقه كفافاً))

[الجامع الصغير بلفظ: " إن الله إذا أحب عبداً جعل رزقه كفافاً "، وسند عن علي فيه ضعف]

هناك رزق لا يكفي صاحبه، فهو فقير، وهناك رزق فوق ما يكفي صاحبه، فهو مفتون، فقليل يكفيك خير من كثير يطغيك، والاقتصاد في المعيشة أفضل من بعض التجارة، تجارة فيها مهربات بضربة واحدة تخسر كل شيء، تجارة فيها مواد محرمة، والاقتصاد في المعيشة أفضل من بعض التجارة، فلذلك لا تبحث عن رزق يطغيك، النبي عليه الصلاة والسلام دعا لمن أحبه بالكفاف، أي برزق يكفيه.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مِحْصَنِ الْخَطَمِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سَرْبِهِ، مُعَافَى فِي جَسَدِهِ، عِنْدَهُ قُوَّةٌ يَوْمَهُ، فَكَانَ حَيِزْتَهُ))

[أخرجه الترمذي وابن ماجه]

الصحة طيبة، وأن تعرف الله، ومستقيم على أمره، وعندك زوجة صالحة، وأولاد أبرار، ودخل معقول، فقد حيزت لك الدنيا بحذافيرها، وليس فوق هذه الشروط من شرط مسعد.

لابد من الجمع بين العلاقة الحسنة مع الله ومع عباد الله :

أيها الإخوة، لا بد من أن نجمع بين حسن العلاقة مع الله، وحسن العلاقة مع الأهل والأولاد، والنجاح في العمل والنجاح في الصحة، أربع محطات كبرى أي خلل في إحداها ينعكس على بقية المحطات.

والحمد لله رب العالمين

خطبة الجمعة - الخطبة ١٠٦٩ : خ ١ - أسباب زيادة الرزق ٦ (القناعة) - خ ٢ : النجاح
شمولي مع الله - ومع الأهل وفي العمل .

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠٨-٠٤-١١

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الأولى :

تمهيد موضوع أسباب زيادة الرزق :

١ - سبب اختيار موضوع أسباب زيادة الرزق:

أيها الإخوة الكرام، في أربع خطب سابقة تحدثت عن أسباب زيادة الرزق، وأحد الإخوة الكرام طرح علي هذا السؤال: لماذا اخترت هذا الموضوع بالذات ؟ فقلت له: هناك معلومات دقيقة جداً أن هناك أزمات اقتصادية في العالم كله من دون استثناء.

٢ - لابد أن يكون المال متداولاً بين الناس:

ولأن الله عز وجل في منهجه أراد أن يكون المال متداولاً بين كل أفراد البشر، في قوله تعالى:

﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ﴾ (٧)

(سورة الحشر)

الأصل في منهج الله أن يتقارب الناس في مستوى معيشتهم.

٣ - العالم اليوم بين غني وفقير:

ولكن العالم الآخر جمع الثروات بأيدي قليلة، فالذين يسكنون في شمال الكرة الأرضية لا يزيدون على عشرين بالمئة من سكان الأرض، وهم يملكون تسعين بالمئة من ثروات الأرض، والذين يسكنون في نصف الكرة الجنوبي لا يملكون إلا عشرة بالمئة، نسبتهم ثمانون بالمئة من سكان الأرض، ويملكون عشرة بالمئة من الثروات، فهذا العالم الذي ابتعد عن منهج الله قسم العالم إلى قسمين، عالم يتفنن في إنفاق المال، فقد يشتري أحدهم لوحة زيتية لا تزيد على حجم صغير

بخمسين مليون دولار، وترى شعوباً بأكملها تموت من الجوع، وفي بلاد يتم إعدام عشرين مليون رأس غنم بالرصاص، وتُدفن حفاظاً على مستوى الأسعار المرتفع، ومحاصيل الحليب ومشتقات الحليب أُلقيت في البحر بحجم يزيد على أهرامات مصر حفاظاً على أسعاره المرتفعة.

إن هذا الإنسان إذا ابتعد عن الله يصير وحشاً، ومحاصيل الحمضيات في بلاد بعيدة أُلقيت، ولم يُبَع منها شيء، والزواج تسللوا تحت الأسوار ليأكلوا هذه الحمضيات مجاناً، ففي العام القادم سُمِّم المحصول حتى إذا أكل هذا الزنجي برتقالة يموت.

أيها الإخوة، وضع العالم لم يسبق في تاريخ البشرية أن عانى من قسوة وعنصرية، والإنسان الأبيض يجب أن يعيش وحده، وأن يموت الناس.

متى كانت الأدوية تجرَّب على بني البشر؟ في تاريخ الطب الأدوية الجديدة تجرب على الجرذان والفئران، الآن تجرَّب في دول نامية على الإنسان.

متى تأتي المساعدات إلى بلد يعاني من حرب أهلية، وفي الباخرة أربعة أخماسها نفايات ذرية تلقى في السواحل؟

أيها الإخوة، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((أَبْشِرْكُمْ بِالْمَهْدِيِّ يُبْعَثُ فِي أُمَّتِي عَلَى اخْتِلَافٍ مِنَ النَّاسِ وَزَلْزَلٍ، فَيَمْلَأُ الْأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلًا كَمَا مَلَأَتْ جَوْرًا وَظُلْمًا، يَرْضَى عَنْهُ سَاكِنُ السَّمَاءِ وَسَاكِنُ الْأَرْضِ، يَقْسِمُ الْمَالَ صِحَاحًا، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: مَا صِحَاحًا؟ قَالَ: بِالسَّوِيَّةِ بَيْنَ النَّاسِ...))

[أحمد]

لكن أنا أردت باختيار هذا الموضوع أن هناك أزمات اقتصادية، وقد كنت في مصر فحدثني أحد الإخوة أن سعر كيلو العدس ارتفع من جنيه إلى تسع جنيهات، أسعار عالمية، هذا الارتفاع في الأسعار يمتص كل دخل الطبقة المتوسطة والدنيا، أنا اخترت هذا الموضوع بالذات لأن المؤمن له معاملة خاصة مع كل الأزمات:

﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْتَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً ﴾

(سورة النحل الآية: ٩٧)

اخترت هذا الموضوع لأنه من الله عز وجل؛ من كتابه ومن سنة رسوله، فهذه الخطبة الرابعة، وهناك خطب عديدة تقترب من عشر خطب حول أسباب زيادة الرزق، لأن الدين هو الحياة، ولأن وعد الله بحفظ المؤمن ونصره وإكرامه فوق كل الظروف.

١ - المؤمن راضٍ بما قسم الله له من الرزق:

الموضوع اليوم عن السبب الثالث لزيادة الرزق، ألا وهو القناعة، فالمؤمن راضٍ بما قسم الله له من الرزق، لأنه مؤمن بعدل الله وحكمته فيما قسم من أرزاق، وهناك عشرات من كلمات العوام هي الكفر بعينه، هناك حكمة بالغة في توزيع الأرزاق، ربما لا ندركها، لذلك قال أحد علماء العقيدة: " عقولنا قاصرة عن إدراك حكم الله عز وجل "، لكن هناك حكمة.

٢ - رزق الله لا يسوقه إليك حرص حريص، ولا يرده عنك كراهة كاره:

أيها الإخوة، يقول عليه الصلاة والسلام:

((لا ترضين أحداً بسخط الله، ولا تحمدن أحداً على فضل الله، ولا تدمن أحداً على ما لا يؤتكَ الله، فإن رزق الله لا يسوقه إليك حرص حريص، ولا يرده عنك كراهة كاره))

[الترغيب والترهيب عن عبد الله بن مسعود بسند فيه مقال كبير]

كنت أضرب هذا المثل مئات المرات: بستان مزروع بالتفاح، سبع بستان، الشجرة العاشرة، الغصن الثالث، التفاحة الخامسة، هذه لك، لكن أنت مخيرٌ في طريقة وصولها إليك، هي لك، و لا سمح الله قد تسرقها سرقة، هي لك، وقد تأخذها تسوُّلاً، هي لك، وقد تشتريها بمالك، وهي لك، وقد تأكلها ضيافة، هي لك، لذلك:

((إن رزق الله لا يسوقه إليك حرص حريص، ولا يرده عنك كراهة كاره، وإن الله تعالى بقسطه وعدله جعل الروح والفرح في الرضا واليقين، وجعل الهم والحزن في السخط))

٣ - ليس من مفهومات القناعة الكسل:

سأورد نصوصاً كثيرة حول القناعة، ولكن الذي أتمنى ألا يفهم من كلامي أن تقعد، وأن تتكاسل، وأن تقول: أنا قانع يا رب بما رزقتني، هذا فقر الكسل، أنا أتحدث عن القناعة بعد أن تبذل قصارى جهدك لرفع مستوى معيشتك، تحسن دراستك، تقوم بدورة علمية، تأخذ الدبلوم، تبحث عن وظيفة، يجب أن تستنفذ كل أسباب الرزق، فإذا بلغ جهدك اللانهائي إلى مستوى معين أراد الله لك فالآن ارضَ بما قسمه الله لك، لكن متى ترضى؟ بعد أن تبذل كل ما تستطيع، عندئذ يجب أن تعتقد اعتقاداً جازماً أن الله لو كشف لك بعلمه الأزلي حقيقتك فيما لو أغناك، وجعل لك

دخلاً محدوداً لذبت كالشمعة محبة الله، " إن من عبادي من لا يصلح له إلا الفقر، فإذا أغنيته أفسدت عليه دينه، وإن من عبادي من لا يصلح له إلا الغنى، فإذا أفقرته أفسدت عليه دينه " أخت كريمة تحضر هذه الدروس لها زوج دخله محدود، هي محجبة حجاباً كاملاً، سافر إلى بلد نفطي، وجاءه دخل كبير، اتصل بها أن تأتيه، مكان وجوده إن لم تأتي بالبنطال، وأن يظهر جزء من بطنك للناس فلن تكوني زوجتي.

ماذا قال النبي صلى الله عليه وسلم ؟

((بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ سَبْعًا، هَلْ تَنْتَظِرُونَ إِنَّا فَقْرًا مُنْسِيًا ؟ أَوْ غِنًى مُطْغِيًا ؟))

[أخرجه الترمذي والحاكم في المستدرک عن أبي هريرة]

٤ - العمل المشروع عبادة:

بعد أن تستنفذ كل جهدك، ترفع مستوى دراستك، تعمل عملاً إضافياً، لأن تربية الأولاد يحتاج إلى مال، والمال قوام الحياة، وحينما تعمل عملاً شاقاً، وتؤمّن حاجات أسرتك فأنت والله في عبادة، هذا الذي يستيقظ قبل الفجر، ويذهب إلى عمله ليعمل، وليكسب المال، ليأتي إلى بيته، ويده ممتلئتان بالطعام والشراب والثياب واللباس والألعاب لأولاده الصغار، هو في عبادة، وأن تضع اللقمة في فم زوجتك هي لك صدقة.

اليد العليا خير من اليد السفلى، رأى النبي صلى الله عليه وسلم شاباً يتعبد الله في وقت العمل، قال له: من يطعمك ؟ قال: أخي، قال: أخوك أعبدُ منك.

أمسك النبي صلى الله عليه وسلم يد ابن مسعود، وكانت خشنة من العمل، رفعها، وقال:

((إِنْ هَذِهِ يَدٌ يَحِبُّهَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ))

[ورد في الأثر]

والله الذي لا إله إلا هو حينما أرى أماً يتقن عمله، بل يتفوق في عمله، وكسب منه مالاً، ثم اختار فتاة، هيأ لفنائه زواجا، هي زوجته، أنجب أولاداً فرباهم، لا تزهدوا بالعمل، لا تكن مسلماً كسولاً، لا نقل: كل شيء بيد الله، وهذا ترتيب سيدك، هذا كله كلام يتناقض مع القرآن الكريم، >> مَنْ أَنْتُمْ ؟ قالوا: نحن المتوكلون، قال سيدنا عمر: كذبتم، المتوكل من ألقى حبة في الأرض، ثم توكل على الله <<.

خذ شهادة عليا، نمّ خبرتك، ادخل دورة، ابحث عن وظيفة، ارفع مستوى دخلك، كن أباً ناجحاً، أنا لا أطلبك أن تأخذ المال الحرام لترضي أهلك، لكنني أطلبك أن ترفع مستوى خبرتك ليزداد دخلك لتربي أولادك التربية الصحيحة.

أيها الإخوة، كلمة مؤلمة، لكن أضطر أن أقولها: إذا كنتَ كسولاً ما معك دخل، كلما طلب منك شيء تقول: ما معي، الأولاد عندئذ ينصرفون عنك إلى أصدقائهم الأغنياء، ما الذي جعل هذا الطفل ينسلخ عن أمه وأبيه؟ لأن أباه كسول، لا يعمل، ما معه إلا ثمن طعام وشراب، اشتهى الطفل الكومبيوتر، ما معي، اشتهى شيئاً مشروحاً ليرقى به، ما معي، ماذا تفعل أنت؟ أنا أؤكد لكم أن عملك الذي ترتزق منه، أن حرفتك، وأن مهنتك، وأن وظيفتك، وأن عيادتك، ومكتبك الهندسي، ودكانك كتاجر، وحقلك كمزارع، حرفتك التي ترتزق منها إذا كانت في الأصل مشروعة، وسلكت بها الطرق المشروعة، وابتغيت منها كفاية نفسك وأهلك، ولم تشغلك عن طاعة، ولا عن أداة صلاة، ولا عن طلب علم، انقلبت إلى عبادة، وأنت في محلك التجاري حينما تنصح المسلمين، ولا تبتز أموالهم، تبيعهم بضاعة جيدة بسعر معتدل فأنت في عبادة.

الطرف الآخر الآن يريد إفقار المسلمين، خمس دول إسلامية محتلة، لأن معظمها عندها طاقة، أما في راوندا تم قتل ثمانمئة ألف في أسبوع، الغرب ما تدخل، وقال أحد زعماء الغرب كلينتون: لو تدخلنا لأنقذنا أربعمئة ألف، لكن ما تدخلنا، لماذا لم يتدخلوا؟ ليس هناك بترول، الأمر واضح جداً، أين البترول؟ في دارفور، في أفغانستان، أينما يكون التدخل من أجل حقوق الإنسان، من أجل الديمقراطية يكون البترول، هذا هو الغرب، وهو معذور، هذا شأن الطرف الآخر، لكن نحن لسنا معذورين أن نخضع لخطه.

٥ - العامل في الحلالِ مقدسٌ في الإسلام محترمٌ عند الناس:

أقول لكم أيها الإخوة، تخدم أسرتك، وتخدم أمتك بإتقان عملك، والله الذي لا إله إلا هو حينما أرى أخاً صناعياً متواضعاً محسناً فتح ثمانين بيتاً، عنده ثمانون عاملاً، والله أقدسّه، هذا فتح ثمانين بيتاً، ضرب خمسة، أربع مئة إنسان يأكلون ويشربون بسبب هذا المعمل، أنا أتمنى من الشباب ألا سکون خامل، المسلم السلبي لا يعمل شيئاً، يقول فقط: لا حول ولا قوة إلا بالله، كله ترتيب سيدك، انتهينا، ما هذا الكلام، هل هكذا كان الصحابة الكرام؟ والله لو فهم الصحابة الكرام الدين كما نفهمه لما خرج من مكة للمدينة ووصل إلينا، لكنه وصل إلى أطباق الدنيا بفهم عميق. لك في الحياة دور، أنت أب، أنا لا أطلبك أن تأخذ المال الحرام، ولكن أطلبك أن تتقن عملك كي يزداد دخلك.

أقول هذه الحقيقة: في كل الحرف في أثناء الرواج الاقتصادي أسوء محترف يرتزق، وأسوء بضاعة تباع، أما إذا جاء الكساد فمن الذي يعمل وحده؟ المتقن فقط، يكون مئة إنسان يعمل في

حرفة معينة، تسعين منهم بلا عمل، عملهم من الدرجة الخامسة، أما المتقنون فعندهم مواعيد لشهرين قادمين.

لذلك إتقان العمل جزء من الدين، قلت لكم كثيراً: الآن لا يحترم دينك إلا إذا تفوقت في دنياك، والتفوق بين يديك بالعلم.

قال لي مرة طالب: ماذا أفعل حتى أحمل همّ أمّتي؟ قلت له: تابع دراستك، فقد يأتي خبير في بلاده من الدرجة العاشرة فيأخذ خمسمئة ألف كل شهر، إذا أتقنت عملك نستغني عن خبير، هذا هو الواقع، ففي المعامل الكبرى كومبيوتر صناعي، هذا بقدره قادر يتعطّل كل فترة، هناك لوحة معقدة جداً نرسلها إلى بلاد الغرب فتعود بعد أسبوع، وقد تعطلّ المعمل مع مليوني ليرة ثمن تصليحها، حتى استطاع رجلٌ من هذا البلد الطيب أن يحلّل هذه اللوحة، الورق الذي ترجمها فيه طوله ستة أمتار، ويأخذ عشرة آلاف لإصلاحها، من مليونين إلى عشرة آلاف، الآن هو معتمد في القطر، فأيّ معمل عنده لوحة إلكترونية معطلة، وهي عبارة عن (فيوز) ضعيف خصوصي، يبتزون أموالنا ابتزازاً.

نكون أو لا نكون :

أيها الإخوة، نحن الآن في معركة نكون أو لا نكون، ليست قضية يجب أن ننتصر، بل المعركة معركة وجود، نكون أو لا نكون، هم يفتروننا، وفي بلاد أخرى في العراق تم قتل حتى الآن ثلاثة آلاف وثمانمئة عالم، لا يهمّ إن كان سنياً، أو شيعياً، أو كردياً، أو عربياً، بين طيار، وأستاذ جامعة... يريدون شعباً بلا نجوم، بلا أعلام، بلا علماء، من الذين يطورون الحياة؟ المتفوقون.

هناك خبر دقيق أقوله لكم: العالم الغربي الآن لا يعنى بإنشاء الجامعات، ينشئ جامعة تكلف مليارات فيها عشرة آلاف طالب، الذين يعينهم من هؤلاء الطلاب جميعاً خمسة بالمئة فقط، المتفوقون هؤلاء يحدثون تغيرات جذرية في الحياة في الصناعة، في التجارة، في الفلك، في الطب، في الهندسة، بدل أن ينشئوا جامعات تكلفهم مليارات يأخذون من العالم الثالث المتفوقون، فعند (مايكروسوفت) مثلاً خمسة وثلاثون ألف مهندس قمم في العالم، بجنسية ودخل كبير، واستغنوا عن إنشاء الجامعات، أحياناً الصناعات ذات الربح القليل تترك لنا، نستهلك ماعنا وإمكانياتنا بأرباح هامشية قليلة، فقد آن الأوان أن يصحو المسلمون من غفوتهم، ألا يكونوا خطة يخطط لها أعدائهم.

أيها الإخوة، ما قصدت أبداً أن أقول لك: اقنع بما آتاك الله، وأنت قاعد، فمتى تقنع؟ بعد أن تبذل كل جهدك إما بالدارسة، أو تطوير العمل، أو بالتحديث، أو بشيء يرفع مستوى دخلك. ويا أيها الآباء يجب أن تعلموا أنك إذا كسبت المال الحلال وأنفقتة على أهلك وأولادك فأنت في عبادة، يقول أحد الصحابة: << حبذا المال أصون به عرضي، وأتقرب به إلى ربي >>، ومع ذلك ليس الغنى عن كثرة العرض، ولكن الغنى غنى النفس.

والله أيها الإخوة، ألتقي بإخوة كرام ما معه شيء، والله عنده من غنى النفس ما يملأ به الأرض عزة وإباءً، ليست البطولة أن يكون مالك كثيراً، البطولة أن تعرف ربك، وأن تقوم بدور إيجابي في الحياة، لذلك يجب أن تحترم صاحب الدخل المحدود المستقيم، وألا تصغي إلى إنسان دخله غير محدود، لكنه غير مستقيم، يقول عليه الصلاة والسلام:

((قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ وَرَزَقَ كَفَافًا، وَقَنَّعَهُ اللَّهُ بِمَا آتَاهُ))

[مسلم عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ]

مرة قلت لإنسان: كيف الحال؟ قال: الدخل يغطي كل نفقاتي، قلت له: معنى ذلك قد أصابتك دعوة رسول الله، قلق، بماذا دعا علي؟

((اللَّهُمَّ مِنْ أَحْبَبِي فَاجْعَلْ رِزْقَهُ كَفَافًا))

[ورد في الأثر]

رزق يكفيه، ولا يطغيه.

((مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ، مُعَافَى فِي جَسَدِهِ، عِنْدَهُ قُوَّةٌ يَوْمَهُ فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا))

[أخرجه البخاري والترمذي وابن ماجه عن عبد الله بن محسن]

مرة توفي ملك، جاءني خاطر لطيف، لو عرضنا على هذا الملك أن يعود إلى صحته التامة، لكن على أن يكون خادماً بآلة كاتبه في قصره الملكي، والله لا يتردد لحظة، من ملك إلى خادم بآلة كاتبه، فإذا كنت معافى في جسمك، سمعك، بصرك، صحتك، وعقلك برأسك فهذا هو الفضل من الله.

في فترة من الفترات كلما جاء طفل مع والده أعطيه هدية حلوى، بعد حين أصبح الأطفال أصنافاً عندي، أول طفل لا يقبل الهدية، رُبِّي على العفة، بجهد جهيد، برجاء حار، أستعين بوالده ليأخذ هذه القطعة، هذا رقم واحد، هناك طفل آخر مهذب يأخذها ببساطة، لكن يشكرني عليها، هذا الثاني، وطفل ثالث قبل أن يصل إلي عينه على القطعة، لا يرى أحداً إلا القطعة، يأخذها ويمشي،

الرابع يأتي مرتين ويدور، أما الخامس فهو أطول مني، قال: أين قطعتي؟ نعممة العقل لا تعدلها نعممة إطلاقاً.

فيا أيها الإخوة الكرام، ((قَدْ أُلْحَحَ مَنْ أَسْلَمَ وَرَزِقَ كَفَافًا، وَقَنَّعَهُ اللَّهُ بِمَا آتَاهُ)).

٧ - لا قيمة للدنيا إلا بالإيمان:

كنت في بلدة فزرت عليه القوم بأغنى أحيائها، وزرت جامعا في أفقر أحيائها، سبحان الله! هؤلاء الفقراء طابت نفوسهم بهذا الخبر، قد تكون فقيرا ودخلك محدود، تعمل حاجباً في مدرسة، لكنك مستقيم على أمر الله، أما عند عليه القوم فقلت لهم: أنا في بلدي عندنا حي من أغنى أحياء دمشق، البيت ثمنه مئة وثمانون مليون إلى مئتي مليون، فحينما أضطر أن أعزي أهل هذا البيت أقول في نفسي: من اختار هذا الرخام؟ المرحوم، من اختار هذه الثريات؟ المرحوم، من اختار الطلاء؟ المرحوم، هناك قلت لهم: هكذا الدنيا زائلة، ويبقى العمل الصالح، وهذا الجامع من فضل الله علي منذ خمس وثلاثين سنة أنطلق من حقيقة: لا يضاف على كلمة مسلم كلمة، تحبه فقيراً عفيفاً متواضعاً، والغني سخي، والمتقف يستخدم ثقافته لتأييد هذا الدين، وغير المتقف فطري، مدني، ريفي، متقف، غير متقف، لا يضاف على كلمة مؤمن كلمة، لأن الإيمان طهر قلبه، وما لم نضع كل هذه التوجيهات الاجتماعية تحت قدمنا فلن نفلح، الإنسان يقيم بعلمه وعمله، والدليل الله عز وجل قال:

﴿ يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾

(سورة المجادلة)

المقياس هو العلم، والجاهل حدث ولو كان شيخاً، والعالم شيخ ولو كان حدثاً، أليس كذلك؟ ويقول عليه الصلاة والسلام:

((من قنع بما رزق دخل الجنة))

[الجامع الصغير عن ابن مسعود، وسنده موضوع]

بدأت بالمقدمة، لكن إياكم أن تفهموا أن أقنع وأنا كسول، متى أقنع؟ بعد أن تبذل كل ما تستطيع لتحسين دخلك ومستواك، وتكون علماً في عمالك، بعد ذلك تقنع، تقنع بعد استنفاد الجهد، أمّا إذا ما درس الطالب ثم رسب، وقال: سبحان الله! هكذا ترتيب الله، الله ما كتب لي أن أنجح، هذا طالب كذاب، لو درس دراسة جيدة، وأصيب بمرض حال بينه وبين الامتحان، وقال: حسبي الله ونعم الوكيل، الله ما كتب لي أن أنجح، فهذا صحيح، لا أقبل كلمة: حسبي الله ونعم الوكيل،

هكذا أراد الله لي، إلا بعد استنفاد الجهد، المشكلة في هذا اللقاء أن كل الأدلة على القناعة، لكن متى القناعة؟ ليس قبل استنفاد الجهد، بل بعد استنفاد الجهد، ويقول عليه الصلاة والسلام:

((من رضي بما رزقه الله قرت عيناه))

[ورد في الأثر]

٨ - الرضى من أعلى مقامات المؤمن:

المؤمن راض، والرضا أحد أحوال المؤمن الراقية، فهو راض عن الله، راض عن شكله، راض عن صحته، راض عن أن الله اختاره من هذه الأم وهذا الأب، ليس في الإمكان أبدع مما كان، اختاره أن يأتي في دمشق، وما جاء في شيكاغو، مثلاً، هذه نعمة كبيرة، اختاره في عصر معين، اختاره في الخمسينات، وليس في الثلاثينات.

من رضي بالقليل من الرزق رضي الله منه بالقليل من العمل.

إذا كان عمل الإنسان شاقاً، ودخله محدوداً، ووقته قليلاً، لكن يصلي خمس صلوات، وبالصلاة له صلة بالله قوية، هذا أفضل ألف مرة من واحد فارغ، وهو ينتقل من جامع إلى جامع، ولا يطبق شيئاً، وهو مهووس من جامع إلى جامع، ومن عالم لعالم، سيدي فلان قال ذلك، ما قولك أنت؟ يحدث فتنة، أما إذا كان الواحد مشغولاً برزقه، وأدى صلواته، وحضر درساً واحداً أو درسين قدر إمكانه فهذا أفضل من إنسان ما خلا عالم ما تتلمذ على يديه، ولا يطبق من كلامهم شيئاً.

٩ - الراضي عن قسمة الله ملك حقيقي:

ويقول عليه الصلاة والسلام:

((خير الرزق ما يكفي وخير الذكر الخفي))

[ورد في الأثر]

سأل ملك وزيره: " من الملك؟ الملك يخوف، قال: أنت، قال: لا، الملك رجل لا نعرفه، ولا يعرفنا، له بيت يؤويه، وزوجة ترضيه، ورزق يكفيه، إنه إن عرفنا جهد في استرضائنا، وإن عرفناه جهدنا في إجراره ".

إن الإنسان إذا آتاه الله مأوى صغيراً، وزوجة سالحة، ودخلاً بعد استنفاد الجهد يغطي حاجاته فهو ملك، النبي صلى الله عليه وسلم يقول:

((ارض بما قسمه الله لك تكن أغنى الناس))

[الترمذي عن أبي هريرة]

والآن: من سره أن يكون أغنى الناس — دققوا — فليكن بما في يدي الله أوثق منه بما في يديه.

ترى الواحد عنده قلق للمستقبل، له أرصدة في عدة دول بكل العملات، يخاف أن ينزل الدولار، معه الأورو، لكم له احتياط، وهو قلق، يأتي إنسان ما عنده إلا خمسة آلاف في الشهر، أو عشرة آلاف، ما عنده شيء إطلاقاً، الله عز وجل أعطاه أمناً يفوق الأول، الذي جعل في كل جهة مبالغ طائلة بكل العملات، ومعه جنسية ثانية احتياطاً، ما ترك وسيلة إلا أمنها، وقلبه مفعم بالقلق، ثم يأتي إنسان بعشرة آلاف فقط لا غير، وبيته بالأجرة، ما عنده شيء احتياطي إطلاقاً، لذلك من سره أن يكون أغنى الناس فليكن بما في يدي الله أوثق منه بما في يديه.

((مَا طَلَعَتْ شَمْسٌ قَطُّ إِلَّا بُعِثَ بِجَنبَتَيْهَا مَلَكَانِ يُنَادِيَانِ يُسْمِعَانِ أَهْلَ الْأَرْضِ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، هَلُمُّوا إِلَيَّ رَبِّكُمْ، فَإِنَّ مَا قَلَّ وَكَفَى خَيْرٌ مِمَّا كَثُرَ وَالْهُيَّ))

[أحمد عن أبي الدرداء]

احذروا وساوس الشيطان وتليسه :

تعلمون أن الشيطان ذكي جداً، يوسوس بالكفر فإن رأى المؤمن على إيمان وسوسه له بالشرك، إن رآه على توحيد وسوس له بالكبائر، إن رآه على طاعة وسوس له بالصغائر، إن رآه على ورع فهناك ثلاث ورقات رابحة أخيرة، وسوس له بالتحريش بين المؤمنين، هذا الشيخ لا يفهم اتركه، اذهب إلى هذا.

أنا أقدس شيخاً توفي — رحمه الله — يقول: يا بني، لا تحضر لي إنساناً منتقلاً من جامع لجامع، أحضر لي إنساناً منتقلاً من ملهى إلى جامع، بطولتك ليس أن تنتقل من جامع إلى جامع، تفسد الناس على شيوخهم، أفنع هذا الذي لا يصلي أصلاً، وسوس له بالتحريش بين المؤمنين، هذه ورقة رابحة بيد الشيطان، وهناك ورقة أخيرة الاستغراق في المباحات، ما عنده ولا معصية، ولكن همه الرفاه، هذا الرفاه صار إلهاً يُعبد من دون الله، العالم الغربي كله رفاه، لو دخلنا في الصميم والأعماق فالأساسيات موفرة لكل الناس، لكن التفاوت في الرفاه فقط.

((مَا طَلَعَتْ شَمْسٌ قَطُّ إِلَّا بُعِثَ بِجَنبَتَيْهَا مَلَكَانِ يُنَادِيَانِ يُسْمِعَانِ أَهْلَ الْأَرْضِ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، هَلُمُّوا إِلَيَّ رَبِّكُمْ، فَإِنَّ مَا قَلَّ وَكَفَى خَيْرٌ مِمَّا كَثُرَ وَالْهُيَّ))

[أحمد عن أبي الدرداء]

((مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلْفًا، وَيَقُولُ
الْآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلْفًا))

[البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه]

احذروا الله في إتلافه للأموال المحرمة :

الآن كم من طريقة للإتلاف المال ؟ يقول لك: المصادرة، هناك ألف سبب، وفي القوانين خطأ غير مقصود يذهب كل ماله، سرقت سيارته الساعة الثانية عشرة، افتقدها فلم يجدها، قال: صباحاً سيحرر الضبط، صباحاً استيقظ الساعة التاسعة، تمت بها سرقة كبيرة، ونقلوا فيها أسلحة، وما كان لها ضبط في المخفر، فليس مع الله ذكي، وهناك ألف سبب أن يذهب مالك كله، وأنت بأعلى درجة من اليقظة .
الحديث :

((مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلْفًا، وَيَقُولُ
الْآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلْفًا))

[البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه]

مصادرات، ضرائب غير معقولة، حادث يكلفك.

قال لي أحدهم: ابني استأجر سيارة في العيد، أصيب بحادث، والسيارة غالية، كلفتني ثمانمئة ألف، هذه واحدة.

يقول عليه الصلاة والسلام:

((مَنْ يَسْتَغْفِرْ يُعْفِهِ اللَّهُ، وَمَنْ يَسْتَعِنْ يُوَفِّقْهُ اللَّهُ، وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ
عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ))

[البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه]

هذا خيار المؤمنين القانع، أما الآخرون الذين ذمهم النبي صلى الله عليه وسلم فيقع في رأسهم الطامع، فكن قانعاً، ولا تكن طامعاً.

وإذا أراد الله بعباده خيراً رزقهم الرفق في معاشهم، وإذا أراد بهم شراً رزقهم الخرق في معاشهم.

يمكن أن تأكل في بيتك أطيب أكل بأقل سعر، ويمكن أن تدخل إلى مطعم للمباهاة، يقول لك: العشاء بثمانية وثلاثين ألفاً، هذا فوق طاقة كل الناس، وهو يريد المظاهر، مع أن الطعام في البيت رخيص جداً، وفيه هناة، وأولادك أمامك.

أيها الإخوة الكرام، حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم، واعلموا أن ملك الموت قد تخطانا إلى غيرنا، وسيخطى غيرنا إلينا، فلنتخذ حذرنا، الكيس من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله الأماني، والحمد لله رب العالمين.

* * *

الخطبة الثانية :

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله صاحب الخلق العظيم، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

نجاح المؤمن شمولي :

أيها الإخوة الكرام، مرة ثانية، أتمنى عليكم من أعماقي ألا تعد نجاحك في شأن واحد نجاحاً، أنت مستقيم، هذا نجاح، لك مسجد، هذا نجاح، لكن في عملك مقصر جداً، هذا إخفاق، فهذا النجاح الأول أذهبه الثاني، إذاً: نجاح مع الله في معرفته، وطلب العلم، وحضور مجالس العلم، وأداء الصلوات والعبادات، ونجاح مع الزوجة والأولاد.

١ - النجاح في البيت :

والله أنا عندي انطباع، أرجو أن أكون مخطئاً لكثرة ما ترد إلي اتصالات هاتفية عن مشاكل زوجية، أنا أتصور أن بيوت المسلمين جسيم لا يطاق، والعياذ بالله، قسوة وفضاظة، وضرب وسباب، هذا المسلم في شقاء؟ ألم يقل النبي صلى الله عليه وسلم:

((خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي))

[الترمذي]

لا يكفي أن تتجح مع الله في المسجد، يجب أن تتجح مع زوجتك وأولادك في البيت، هؤلاء أولادك من لهم غيرك؟ هؤلاء هدية من الله، هؤلاء إذا رببتهم تربية عالية فأعمالهم وأعمال ذرياتهم إلى يوم القيامة في صحيفتك.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ

أَمْرٍ إِيمًا كَسَبَ رَهِينٌ (٢١) ﴿

(سورة الطور)

يجب أن تتجح مع الله، ومع أهلك، وأولادك، من أجل أن تسمى ناجحاً.

يجب أن تتج مع صحتك، ترى شخصاً واعياً يمشي كل يوم ساعة، أكله معتدل، أكله مدروس، كله خضار، بعيد عن الأشياء الدسمة.

كفكرة: الدول الغنية جداً نسبة أمراض القلب ثمانية أمثال الدول الفقيرة، قد تفاجؤون من كثرة أكل اللحم، ويعد البروتين النباتي: الحمص والفاصوليا أول بروتين صحي، لا تقلق كثيراً على اللحم، البروتين النباتي الحمص والفاصوليا أول بروتين صحي.

ادرس طعامك، كل شيء نشتريه لا ندرسه، هناك سمون ممنوع استخدامها في بلد المنشأ، لا تصلح طعاماً للبشر، قبل أن تضع في فمك شيئاً هل درست الوضع، نوع الدسم، نوع الطعام، هناك طعام مؤذٍ كله، والله لو يسمح لي الأطباء أن أتجاوز اختصاصي أنا أرى أن ستين بالمئة من أمراض المسلمين بسبب نقص وعيهم الغذائي، كله دسوم وشحوم، ولا حركة، فترى الرجل في الخمسين معه جلطة، معه أمراض، لماذا الأجانب بالسبعين بالثمانين تراه رشيقاً؟ أين الوعي الصحي؟ وعيك الصحي، واعتناك بصحتك وبالرياضة والتدريبات، والأكل المنتظم، والمشي اليومي، هذا جزء من نجاحك.

يجب أن تتج مع الله، ومع أهلك، وأولادك، ومع صحتك.

وفي عملك.

قد تتأخر نصف ساعة، يسمعك المدير كلاماً قاسياً، تبقى شهراً مجروحاً منه، ولكن أنت السبب، العمل مقدس، إذا نجحت في عملك، ونجحت في صحتك، ونجحت مع أهلك وأولادك، ونجحت مع ربك، الآن أهنئك على النجاح، لا يسمى النجاح نجاحاً إلا إذا كان شمولياً، وأن تتج بحقل لا يسمى هذا نجاحاً.

والحمد لله رب العالمين

خطبة الجمعة - الخطبة ١٠٧٠ : خ ١ - أسباب زيادة الرزق ٧ (صلة الرحم) - خ ٢: الجهل
أعدى أعداء الإنسان .

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠٨-٠٤-١٨

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الأولى :

تأديب الله عباده بحبس الأمطار :

أيها الأخوة الكرام، ذكرت لكم في الخطبة السابقة أن السبب الذي حملني على أن أعالج موضوع زيادة الرزق في خطب عديدة هو أن هناك أزمة عالمية تجتاح العالم كله، وأن وعود الله عز وجل فوق الظروف وفوق الأزمات وفوق الحوادث الطارئة، وعد الله عز وجل لا بد واقع، بل إن زوال الكون أهون على الله من ألا يحقق وعوده للمؤمنين، أذكركم ببعض الآيات:

﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْجَوْنَ الْكُوْنُ أَمْطَارًا مَّاءً غَدَقًا لَنفْتَنَهُمْ فِيهِ ﴾

(سورة الجن)

يؤدب الله عباده بحبس الأمطار، هذا البلد الطيب أحياناً ينتج من القمح ما يساوي ستة أضعاف حاجته وأحياناً لا يوجد أمطار أبداً.

﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْهِمْ مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكْلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ ﴾

(سورة المائدة الآية: ٦٦)

ويقاس عليه القرآن الكريم.

﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾

(سورة الأعراف الآية: ٩٦)

وعد الله قائم لكل مؤمن آمن بالله و كفر بالطاغوت :

إياكم أن تقنطوا، أزمة الغذاء عالمية، قد لا تصدقون بعض أسبابها أنهم الآن يصنعون الوقود من الغذاء، من أجل أن يركب الغني المترف طائرة تتحرك بوقود من الغذاء من الذرة، من فول الصويا، من القمح والشعير، يصنعون الوقود للطائرات وللمركبات من غذاء الفقراء، ألم أقل لكم

قبل أنه تمّ إعدام عشرين مليون رأس غنم في بلد يعد الأول في تصدير الأغنام حفاظاً على الأسعار المرتفعة، والعالم يموت من الجوع، ما لم نكفر بالكفر لن نؤمن بالله:

﴿ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ ﴾ (٢٥٦)

(سورة البقرة)

لن تؤمن بالله إلا إذا كفرت بالطاغوت.

أيها الأخوة، الحقائق مرة جداً لكنها تجمد وتعطل إذا طبقت منهج الله عز وجل، كلام دقيق: الحقائق مرة لا يوجد خبر سار، والعالم يمشي في اتجاه الحروب لأن الطرق أصبحت كلها مسدودة، ارتفاع الأسعار يفوق طاقة الغني فكيف بالفقير؟ لكنني والله أو من إيماناً يفوق حدّ الخيال أن وعد الله قائم، وعد الله قائم لكل مؤمن والمؤمن له معاملة خاصة، أنا أتمنى أن يعود الناس جميعاً إلى ربهم وهذه بغيتي والله أما إن لم يستجيبوا، الحد الأدنى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ﴾

(سورة المائدة الآية: ١٠٥)

لذلك كانت هذه السلسلة من الخطب المتعلقة بأسباب زيادة الرزق لنواجه بهذه الحقائق ما ينتظره العالم من أزمة طاحنة ربما انتهت إلى حروب لا يعلم إلا الله مداها.

من أسباب زيادة الرزق :

صلة الأرحام:

أيها الأخوة، الآن السبب الرابع أمضينا خطباً عديدة في أسباب عديدة، اليوم السبب الرابع لزيادة الرزق صلة الأرحام:

((مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبَسِّطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ))

[البخاري، مسلم، أبو داود، أحمد عن أنس بن مالك]

وفي رواية فليبرِّ والديه وليصل رحمه، هذا الحديث في الصحاح.

أيها الأخوة، حديث آخر:

((مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُدَمَّ لَهُ فِي عُمَرِهِ وَيُوسَّعَ لَهُ فِي رِزْقِهِ وَيُدْفَعَ عَنْهُ مِيتَةُ السُّوءِ فَلْيَتَّقِ اللَّهَ وَلْيَصِلْ رَحْمَةً))

[أخرجه أحمد عن علي]

بالدين رأي شخصي لا يوجد، هذا دين الله، كل فكرة طالب بالدليل، أين الدليل ؟ هذا كلام سيد الأنبياء ولا ينطق عن الهوى، ((مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُدَمَّ لَهُ فِي عُمَرِهِ، أَي أَنْ تَزْدَادَ أَعْمَالَهُ الصَّالَةَ وَكَأَنَّهُ عَاشَ مِئَةَ عَامٍ، وَيُوسَّعَ لَهُ فِي رِزْقِهِ وَيُدْفَعَ عَنْهُ مِيتَةُ السُّوءِ فَلْيَتَّقِ اللَّهَ وَلْيَصِلْ رَحْمَةً))

[رواه عبد الله بن أحمد والبخاري والطبراني عن علي بن أبي طالب]

وعن بثرة رضي الله عنها قال لها النبي صلى الله عليه وسلم: يا بثرة اذكري الله عند الخطيئة يذكرك عندها بالمغفرة وأطيعي زوجك يكفك خير الدنيا والآخرة وبري والديك يكثر خير بيتك.

من له أعمالاً طيبة مع أرحامه زاد الله رزقه :

أيها الأخوة، في مفارقة قد تكون محيرة، إنسان معه أعلى شهادة في إدارة الأعمال يتمتع بذكاء لمآح ورزقه محدود، وإنسان آخر بلا علم وبلا نكاح وبلا أخذ بالأسباب رزقه وفير، ما تفسير ذلك ؟ هذا شيء واقع، قال بعضهم: هؤلاء الذين ازداد رزقهم لهم أعمال طيبة مع أرحامهم، أحد أسباب وفرة أرزاقهم أعمالهم الطيبة مع أرحامهم، دقق الآن ولو كانوا عصاة، يجازون على خير عملهم مع أرحامهم رزقاً وفيراً في الدنيا، دائماً وأبداً الله عز وجل حينما يأمر عباده بعمل طيب إن فعل هذا العمل الطيب ابتغاء مرضاة الله له الدنيا والآخرة، ومن فعله عن طيب قلب ولم يقصد به الآخرة له الدنيا قطعاً، قال عليه الصلاة والسلام: إن أعجل الطاعة ثواباً. الطاعات لها ثمار طيبة ومعظم ثمارها بالآخرة إلا أن بعض الأعمال الصالحة شاءت حكمة الله أن يعجل الله ثوابها في الدنيا منها تربية الأولاد.

﴿ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ (٧٤) ﴾

(سورة الفرقان)

منها صلة الرحم، يقول عليه الصلاة والسلام:

((إن أعجل الطاعة ثواباً صلة الرحم وإن أهل البيت ليكونون فجرة فتنمو أموالهم ويكثر

عددهم إذا تواصلوا))

[صحيح عن أبي بكر]

حديث غريب حقيقة لو لم تكن ملتزماً بأوامر الدين، إياكم أن تظنوا أنني أدعو إلى ذلك، لكن هذا قانون الذي يصل رحمه، يهتم بأسرته، بأقربائه، بأخوته، بأخوته البنات، بأولاد عمته، بأولاد خالته، يرفع شؤون العائلة الكبيرة رزقه وفير، بكلام سيدنا محمد عليه أتم الصلاة والتسليم.

((إن أعجل الطاعة ثواباً صلة الرحم حتى إن أهل البيت ليكونون فجرة فتنمو أموالهم ويكثر عددهم إذا تواصلوا، وما من أهل بيت يتواصلون فيحتاجون))

[صحيح عن أبي بكر]

من أطاع الله عز وجل بإخلاص ربح الدنيا والآخرة :

قوانين منهج الله عز وجل منهج موضوعي لو طبقه إنسان غير ملتزم بل لو طبقه ملحد لقطف ثماره، ألا ترى فيمن حولك إنسان لا يصلي لكن عنده عطف على أقربائه يرفع أخواته البنات، يرفع أولاد خالته، أولاد عمته، يهتم بمن حوله فيرزقه الله رزقاً وفيراً مكافأة له، لذلك قول قرأته من أربعين عاماً فيما أذكر ولا أنساه أبداً: ما أحسن عبداً من مسلم أو كافر إلا وقع أجره على الله في الدنيا أو في الآخرة، مستحيل وألف ألف مستحيل أن تقدم عملاً طيباً لأي جهة في الأرض، لأي كائن في الأرض، كافر ملحد حينما تعمل عملاً صالحاً لهذا العمل جزاؤه في الدنيا فكيف إذا كنت مؤمناً؟ كنت مؤمناً تعتقد بالآخرة وترجوها :

﴿ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا ﴾

(سورة الإسراء)

لذلك حينما تطيع الله عز وجل بإخلاص لك الدنيا والآخرة، من هنا طالب العلم يؤثر الآخرة على الدنيا فيربحهما معاً، بينما الجاهل يؤثر الدنيا على الآخرة فيخسرهما معاً.

من تكفل بنفقات من حوله وهبه الله رزقاً وفيراً :

أيها الأخوة:

((ما من أهل بيت تواصلوا إلا أجرى الله عليهم الرزق وكانوا في كنف الله))

[رواه الطبراني عن ابن عباس]

تتفقد أختك زوجها فقير، الوقود ارتفع سعره مثلاً لو تلطفت وأكرمتها بمبلغ من المال، والله أعرف أناساً والله لهم رزق يفوق حدّ الخيال يتفقد أخواته البنات، هذه الأخت زوجها دخله محدود عندها عملية جراحية، يتكفل بها، هذا الذي يتكفل بنفقات من حوله، الله عز وجل (أنا أمام نصوص من عند سيد الخلق وحبيب الحق) يهبه رزقاً وفيراً، لكن ألا تعجبون أن الغرب البعيد عن الله المنحرف، المعاصي والآثام كلها عنده، ألا تعجبون أنهم في حبوحة كبيرة؟ هل تصدقون

أن النبي صلى الله عليه وسلم أنبأ بذلك، أنا مرة كنت بأستراليا سمعت هذه القصة أن امرأة أنجبت ثلاثة توائم، الأسبوع انتهى في المستشفى أرادت أن تغادر منعت، إنك لا تستطيعين العناية بهذه التوائم، أبوها شهراً بأكمله حتى دربوا على العناية بتوائمها، ثم كلفوها أن تعتنى بهم وهي في المستشفى، ليتأكدوا من ذلك فلما انتقلت إلى البيت زاروها في البيت زيارات دورية للتأكد من حسن إدارتها وقيامها بواجباتها تجاه هذه التوائم.

قصة مشابهة تماماً كنت في جنوب السودان في قرية اسمها جوبه هذه أقصى قرية في الجنوب زرنا مستشفى ما فيها شيء امرأة أنجبت ثلاثة توائم حاضنات ما في، الأول مات، لا يوجد حليب في أثنائها من الجوع، لا يوجد دواء الثلاثة ماتوا، بلد غير مسلم وبلد مسلم، هذه الظاهرة أنا والله لا أمدحهم أبداً، لكن في حديث للنبي الكريم يثير الانتباه:

((تَقَوْمُ السَّاعَةِ وَالرُّومُ أَكْثَرُ النَّاسِ فَقَالَ لَهُ عَمْرُو أَبْصِرْ مَا تَقُولُ، قَالَ: أَقُولُ مَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: لَنْ قُلْتُ ذَلِكَ إِنْ فِيهِمْ لَخِصَالًا أَرْبَعًا إِنَّهُمْ لَأَحْلَمُ النَّاسِ عِنْدَ فِتْنَةٍ، وَأَسْرَعُهُمْ إِفَاقَةً بَعْدَ مُصِيبَةٍ، وَأَوْشَكُهُمْ كَرَّةً بَعْدَ فَرَّةٍ، وَخَيْرُهُمْ لِمَسْكِينٍ وَيَتِيمٍ وَضَعِيفٍ، وَخَامِسَةٌ حَسَنَةٌ جَمِيلَةٌ وَأَمْنَعُهُمْ مِنْ ظُلْمِ الْمُلُوكِ))

[مسلم، أحمد عن عمرو بن العاص]

الغرب يتحرك بعقله و يخطط لكل شيء أما نحن فتتحرك بعواطفنا بلا روية ولا منهج :

نحن إذا مصور أساء نغضب ونثور ونتحرك بلا روية وبلا منهج وبلا علم، نقاطع ثم نسمح بكلمات ساذجة قيلت لنا وانتهى الأمر، نحن نتحرك بعواطفنا أما هم يتحركون بعقولهم، يخططون، يحافظون على هدوئهم لكنهم يخططون، إنهم لأحلم الناس عند فتنه وأسرعهم إفاقة بعد مُصِيبَةٍ، هذه المصائب التي تنزل بالمسلمين هل صحنونا؟ لا والله، هل صحنونا من غفلتنا؟ لا والله، هل ترون أيها الأخوة، ما يحصل في غزة؟ الملاهي، الولايم، الحفلات، والرقص، والغناء، والمحطات الخلاعية على قدم وساق، إنهم لأحلم الناس عند فتنه وأسرعهم إفاقة بعد مُصِيبَةٍ. عاشرهم النبي صلى الله عليه وسلم؟ التقى بهم؟ هذه من دلائل نبوته، لا ينطق عن الهوى، وأوشكهم كربة بعد فرّة، الشاهد هنا: وخيرهم لمسكينٍ ويَتِيمٍ وَضَعِيفٍ. نحن نفرح بصندوق العافية إنجاز رائع لكن عندهم الطب كله مجاني، أعلى عملية عشرة ملايين، أحد أختوتنا الكرام اضطر إلى عملية كلفت عشرة ملايين له إقامة هناك أجراها مجاناً.

أيها الأخوة، أي إنسان بلا دخل يقدم طلباً يأخذ راتباً شهرياً إلى أن يتأمن له دخل: وخيرهم لمسكينٍ ويَتِيمٍ وَضَعِيفٍ وَخَامِسَةٌ حَسَنَةٌ جَمِيلَةٌ وَأَمْنَعُهُمْ مِنْ ظُلْمِ الْمُلُوكِ.

أنظمتهم الداخلية فيها حرية، هذا وصف من ؟ وصف رسول الله ألسنا أولى بذلك ؟ وَخَامِسَةً حَسَنَةً جَمِيلَةً وَأَمْنَعُهُمْ مِنْ ظُلْمِ الْمُلُوكِ.

يعني هذا الكلام ذكرني بآية كريمة:

﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ (١٠٥)﴾

(سورة الأنبياء)

الصالحون هنا، الصالحون لإدارتها.

الغرب كل إيجابياته إسلامية لا لأنهم يعبدون الله لكن حياتهم هكذا :

لذلك صدقوا ولا أبالغ أنا زرت بلاداً غربية كثيراً والله كل إيجابياتها إسلامية، لا لأنهم يعبدون الله لكن حياتهم هكذا، يعتنون بالفقراء، بالأيتام، بالضعفاء، بالمرضى، يعني موضوع طبيب يغلط مع مريض، زرت مرة طبيباً في أمريكا أطلعني على أضاير لمرضاه الذين توفوا قال لي: يجب أن نحتفظ بهذه الأضاير خمس سنوات لعل خطأ منا صدر تجاه إنسان توفي، بإمكان أولاده أن يقيموا دعوى ويربحوها بعد موت أبيهم بخمس سنوات، أحياناً يكون في خطأ طبي قاتل يقول لك ترتيب ربك، لا، هناك مسؤولية الدليل:

((مَنْ تَطَبَّبَ وَلَمْ يَعْلَمْ مِنْهُ طِبٌّ قَبْلَ ذَلِكَ فَهُوَ ضَامِنٌ))

[أخرجه أبو داود والنسائي وابن ماجه والحاكم عن عمرو بن شعيب]

هذا منهج، أنا أتمنى أن أوضح لكم هذه المفارقة على كفرهم، وانحرافهم، وتفلتهم لكنهم يحرصون على ضعفائهم، ومساكينهم، وأيتامهم، لذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم والله هذا الحديث لا أفنأ أكرره:

((هَلْ تَنْصُرُونَ وَتُرْزَقُونَ إِلَّا بِضِعْفَانِكُمْ))

[البخاري عن سهل بن سعد]

مساعدة الأقارب و الفقراء من آثار صلة الرحم :

إذا أردنا أن ننتصر على أقوى قوة في الأرض ونحن ضعاف، الطريق عجيب، أن نتصر من هو أضعف منك، الفقير، اليتيم، الضعيف، الذي لا يملك قوت يومه، المرأة الوحيدة، الشيخ الكبير ذي العيال الكثير والدخل القليل. فاطمة بنت عبد الملك بن مروان زوجة عمر بن عبد العزيز دخلت عليه فجأة في مصلاه فرأته يبكي، قالت: " ما لي أراك باكياً ؟ قال: دعيني وشأني، فلما ألحّت عليه قال: ويحك يا فاطمة، إني قد وليت أمر هذه الأمة، ففكرت في الفقير الجائع، والمريض الضائع، والعمري المجهول، واليتيم المكسور، والمظلوم المقهور، والغريب، والأسير،

والشيخ الكبير، والأرملة الوحيدة، وذي العيال الكثير والرزق القليل، فعلمت أن الله سيسألني عنهم جميعاً، وأن خصمي دونهم رسول الله، فخفت ألا تثبت حجتي، فلهذا أبكي."

والله أخ كريم سمع لي خطبة عن صلة الرحم قبل سنوات وهو صادق عندي، والله له قريب لا يعرفه فجاء العيد فسأل عن بيته وذهب لزيارته ما وجده وضع له بطاقة، قال هذا القريب أخلاقه عالية جداً رأى قريبه زاره ردّ له الزيارة، ساكن في بيت تحت الأرض، شمالي، رطوبته عالية، ومع أولاده أمراض مزمنة، قال له: هذا المكان لا يصلح لك ولأولادك، رجل ميسور قال لي والله أعطاني مبلغاً اشتريت بيتاً في الطابق الثالث باتجاه القبلة تدخله الشمس إلى أعماقه، هذه من آثار صلة الرحم.

الدين ليس صياماً و صلاة فقط إنما هو صلة رحم و رعاية اجتماعية :

يا أيها الأخوة نحن مقصرون كثيراً، نحن فهمنا الدين صلاة، وصوم فقط، وأذكار، واستعلاء على الناس، وتوزيع ألقاب، ما فهمنا الدين عمل، ما فهمنا الدين رعاية اجتماعية، ما فهمنا الدين صلة رحم، والله في أغنياء يتفننون في إنفاق الأموال، والله الذي لا إله إلا هو ولهم أقرباء يموتون من الجوع، أنت معك أموال طائلة، يا أيها الأخوة الكرام، أحياناً إنسان يعطي معاش لا يكفي أربعة أيام، خمسة أيام، وينفق في اليوم ما ينفقه الفقير بمئة يوم، مرتاح يصلي ومصحف في السيارة وفي المحل إنا فتحنا لك فتحاً ميبناً، أي فتح هذا؟ كلام فارغ، صار في عندنا صور براءة لا تقدم ولا تؤخر، والله لو اهتم كل واحد منا بأقربائه فقط، من يلوذون به، لكننا في حال غير هذا الحال.

((إن أعجل الطاعة ثواباً صلة الرحم حتى إن أهل البيت ليكونون فجرة فتنمو أموالهم ويكثر عددهم إذا تواصلوا، وما من أهل بيت يتواصلون فيحتاجون))

[صحيح عن أبي بكر]

الغرب خسر الآخرة بفسقه و المسلم خسر الدنيا بتقصيره و الآخرة بمعاصيه :

أعيد على أسماعكم الحديث الذي قاله النبي صلى الله عليه وسلم عن الروم:
((تَقَوْمُ السَّاعَةِ وَالرُّومُ أَكْثَرُ النَّاسِ فَقَالَ لَهُ عَمْرُو أَبْصِرْ مَا تَقُولُ قَالَ أَقُولُ مَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لئن قُلتَ ذلكَ إنَّ فيهمُ لخصالاً أربعاً إنهمُ لأحلمُ النَّاسِ عندَ فتنةٍ وأسرعهمُ إفاقةً بعدَ مُصيبَةٍ وأوشكهمُ كربةً بعدَ فرّةٍ وخيرهمُ لمسكينٍ ويَتيمٍ وضعيفٍ وخامسةٌ حسنةٌ جميلةٌ وأمنعهمُ من ظلمِ الملوكِ))

[مسلم، أحمد عن عمرو بن العاص]

هذه صفات وصفوا بها من قبل سيد العناية الإلهية النبي صلى الله عليه وسلم، قوانين عند الله عز وجل، الآخرة خسروها بفسقهم وفجورهم ومعاصيهم لكنهم ربحوا الدنيا، وأما المسلمون فاتتهم الآخرة والدنيا، فاتتهم الآخرة بمعاصيهم، طبعاً الأعم الأغلب، والدنيا بتقصيرهم، لا حصلوا الدنيا ولا حصلوا الآخرة، يجب أن نصحو أيها الأخوة، لا تقبل أن يكون إسلامك حضور خطبة جمعة في هذا المسجد، والله الذي لا إله إلا هو الدين ليس في المسجد هنا تتلقى التعليمات وتقبض الجائزة فقط، الدين في بيتك، في عندك امرأة ضعيفة متوفي والدها ووالدتها تتفنن في إذلالها أمام أولادها، وتضربها، وتهينها وأنت مسلم، لك شريك ما له اسم في الشركة وثق منك، تخطط تخرجه من الشركة بعدما أخذت خبرته، تصلي أول صف، أنت مسلم ؟

((ترك دائق من حرام خير من ثمانين حجة بعد الإسلام))

[ورد في الأثر]

الله عز وجل لا يحابي أحداً :

سبعمئة ألف دعوى كيدية في قصر العدل، أكثرها كيدية، مسلمون، مدرس عقد زواجه على فتاة وعنده بيت على الهيكل ليس معه مال لكسوته لم يدع طريقة، مضى شهر، اثنين، سنة، سنة، شهران، أهل الفتاة قرروا فسخ العقد ما في أمل، تكلم لأصدقائه عن حاله أحد الأصدقاء أصحاب المروءة قال له عندي بيت فارغ أعيرك إياه إلى أن تكسو بيتك، عاره البيت وتزوج وتمّ العقد وانتهى كل شيء، من ذوقه العالي انتظره أربع سنوات ثم طرق بابه قال له ما الذي حصل ؟ قال له أنا والله منذ وقت طويل كسيته وأجرته، ما هذا الكلام ؟ قال له أنا ما أجرتك البيت أنا أعرتك إعاره، قال أنا مستأجر وهذا الواقع وهذه المحاكم، مدرس تربية إسلامية، وكل أحد إخواننا مقيم هنا في الشام يتوسطوا معه، قال له يا رجل الصلاة في هذا البيت لا تجوز، قال له أنا أصلي في المسجد.

مثل هؤلاء المسلمين يريدون قهراً، يريدون أن يكونوا في الدرجة الدنيا في الحياة، أنا اعتراضى أن واقع العالم الإسلامي لا يرضى الله عز وجل أبداً، والدليل:

﴿ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلِيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ ﴾

(سورة النور الآية: ٥٥)

فإن لم يمكنهم معنى ذلك أن فهمهم للدين، تطبيقهم للدين، عرضهم للدين، لم يرض الله عز وجل، الله لا يحابي أحداً.

أيها الأخوة:

((تَعَلَّمُوا مِنْ أُنْسَابِكُمْ مَا تَصِلُونَ بِهِ أَرْحَامَكُمْ فَإِنَّ صَلَّةَ الرَّحِمِ مَحَبَّةٌ فِي الْأَهْلِ مَثْرَاةٌ فِي الْمَالِ
مَنْسَأَةٌ فِي النَّاتِرِ))

[البخاري، الترمذي عن أبي هريرة]

مَنْسَأَةٌ فِي النَّاتِرِ: في العمر.

((البر يزيد في الرزق))

[صحيح عن ثوبان]

بر الوالدين يزيد في الرزق.

وعن النبي صلى الله عليه وسلم:

((مَا مِنْ ذَنْبٍ أَجْدَرُ أَنْ يُعَجِّلَ اللَّهُ لِصَاحِبِهِ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا مَعَ مَا يَدَّخِرُ لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ
الْبَغْيِ وَقَطِيعَةِ الرَّحِمِ))

[أبو داود، أحمد، الترمذي عن أبي بكرة]

((إِنْ اللَّهُ لِيَعْمُرَ بِالْقَوْمِ الدِّيَارَ، وَيَثْمِرَ لَهُمُ الْأَمْوَالَ وَمَا نَظَرَ إِلَيْهِمْ مِنْذُ خَلَقَهُمْ بَغْضًا لَهُمْ . قِيلَ:
وكيف ذلك يا رسول الله ؟ قال: ' بصلتهم أرحامهم))

[رواه الطبراني عن ابن عباس]

((إِنَّهُ مَنْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنَ الرَّفْقِ فَقَدْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنْ خَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَصَلَّةُ الرَّحِمِ وَحُسْنُ
الْخُلُقِ وَحُسْنُ الْجَوَارِ يَعْمُرَانِ الدِّيَارَ وَيَزِيدَانِ فِي الْأَعْمَارِ))

[منفق عليه عن عائشة]

أعلى صلة رحم أن تأخذ بيد المسلمين إلى الله عز وجل :

أيها الأخوة، آخر شيء إياكم ثم إياكم ثم إياكم أن تفهموا صلة الرحم جاء عيد الأضحى نضع البطاقات في الجيب، نعمل قائمة إن شاء الله ما نجده ما في وقت، نطرق الباب نضع كرت ونمشي، خلاص، هذا المعنى السخيف ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم صلة الرحم أن تزوره على موعد، أن تجلس إليه، أن تحدثه، أن تحاوره، أن تستمع إلى شكواه، كيف وضعه الصحي ؟ لك أصدقاء أطباء، وضعه الاجتماعي، وضعه التربوي، وضعه العلمي، وضعه الاقتصادي، عليه ديون، أنت إنسان قوي، دائماً القوي والغني هو الذي يكلف بادئ ذي بدء أن يبدأ بالصلة، أن تمده بالمال، أن تعين له ابنه عندك في المحل التجاري وابنه بطل وعبء على أبيه وأنت عندك مجال للوظيفة، لما أنت تفكر تزور أقرباءك تحل مشاكلهم أحياناً الدينية، عندهم أخطاء كثيرة دلهم على جامع أنت واثق منه، أعطهم شريطاً، أو حالتهم الاقتصادية بحاجة إلى

دعم مالي، أو مشكلات اجتماعية في خلاف بين الأب والأولاد ادخل وسيطاً، ما لم تفكر تفكيراً جاداً بخدمة من حولك فلا أمل في هذا الدين الذي تعتقه، ما قدمت شيئاً، الناس هل يهتمون بصلاتك؟ صلّ ما تشاء، يهتمهم المعاملة لهم، فيا أيها الأخوة، تصورت أن صلة الرحم تبدأ باتصال ثم زيارة ثم بتفقد ثم بمساعدة وأعلى صلة رحم أن تأخذ بيدهم إلى الله عز وجل. أنا أعرف شخصاً سمع خطبة صلة الرحم فدعا أخواته البنات إلى درس أسبوعي عنده في البيت، أخواته وبنات أخواته، السبب أن إحدى أخواته البنات على خلاف مع زوجها فقدم لها مبلغاً من المال مساعدة لها كي يرأب الصدع بينها وبين زوجها، هذا المبلغ ترك فيها أثراً كبيراً، طلبت منه درساً أسبوعياً هو ما له علاقة بالعلم الشرعي، لكن درس آية وحديث يشرحهم لأخواته وبنات أخواته، أقسم لي بالله بعد حين معظم بنات أخوته تحجبن والتزمن، هذه صلة رحم، اعمل لهم لقاء أسبوعياً، لقاء كل أسبوعين، تفقد أحوالهم، وضعهم المادي، المعنوي، التربوي، الديني، العلمي، الاقتصادي، أنت أقوى يمكن تحل مشكلتهم بتزويج بنت من بناتهم، تحل مشكلتهم بتعين أحد أبنائه موظفاً عندك ممكن، هذا العمل.

فيا أيها الأخوة الكرام، موضوع صلة الرحم السبب الرابع لزيادة الرزق.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم فاستغفروه يغفر لكم، فيا فوز المستغفرين، أستغفر الله.

* * *

الخطبة الثانية :

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله صاحب الخلق العظيم، اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الجهل أعدى أعداء الإنسان :

أيها الأخوة الكرام، أثناء مراجعتي لما أودعته من قضايا يمكن أن نستفيد منها قرأت حكماً أصدرته محكمة الجنايات في حمص على أحد الدجاجلة بالحبس والأشغال الشاقة لمدة خمسة عشر عاماً وحجره وتجريده مدنياً، ماذا فعل هذا الإنسان؟

لا بد من مقدمة؛ زوجته جاهلة تركها جاهلة منعها من درس علم، أخطأت معه لا تعلم حقوق الزوج، فلما أخطأت معه أعرض عنها وتوعدها أن يتزوج عليها امرأة ثانية، أو أن يطلقها، خافت مالها مصدر ثان لجأت إلى بعض الدجاجلة، بعض الدجاجلة أوهموها وابتزوا مالها واغتصبوها، هذا الدجال اغتصب، القرار بحيثياته تجريم المتهم بجرم اغتصاب النسوة، وتصويرهن، وابتزازهن، وجرم الاحتيال، وجرم التهديد، والتعرض للآداب العامة، حيث كان

يقوم بممارسة الدجل باسم الدين ، ويدّعي لقاء الأنبياء والصديقين والصحابه ، وقد استغل ذلك في اغتصاب العشرات من النساء من محافظات حمص و إدلب واللاذقية ودمشق، وقد ذاع صيت المتهم كواحد من أصحاب الكرامات ، هذا الجهل. يجب أن تتعلم الزوجة حقوق زوجها واجباته، ومقدرته على الشفاء من الأمراض المستعصية عبر لقائه المزعوم مع الأنبياء والصحابه ، حيث وقعت في شركه العشرات من النساء وبخاصة المتدينات منهن ، وبعضهن بقيت على قناعة بقدرات المتهم الخارقة بالتواصل مع الصحابة والأنبياء على الرغم من توقيفه ، واعترافه أمام القضاء بالجرم المسند إليه.

طبعاً القصة منذ سنتين، أنا أراجع الأرشيف عندي وجدت هذه القصة وهي مناسبة جداً، هذا الجهل، يجب أن تتعلم الزوجة في قواعد لو أنها أدتها كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لكأنت أسعد زوجة، تجهل القواعد أساءت لزوجها، أعرض عنها، هدها بالطلاق أو بزواج ثان، لجأت إلى الدجاجة، بساذجة.

العلم بداية الطريق لإصلاح الأمم و انتصارنا على أعدائنا :

أيها الأخوة، الجهل أعدى أعداء الإنسان، نحن في عندنا أعداء تقليديون، الاستعمار والصهيونية العالمية، أكبر عدو لنا جهلنا، الجهل أعدى أعداء الإنسان، والجاهل يفعل في نفسه ما لا يستطيع عدوه أن يفعله به، وإذا أردت الدنيا فعليك بالعلم، وإذا أردت الآخرة فعليك بالعلم، وإذا أردتهما معاً فعليك بالعلم، والعلم لا يعطيك بعضه إلا إذا أعطيته كلك، فإذا أعطيته بعضك لم يعطك شيئاً، ويظل المرء عالماً ما طلب العلم، فإذا ظنّ أنه قد علم فقد جهل.

العلم العلم، العلم بداية الطريق لإصلاح الأسر، بداية الطريق لإصلاح الأمم، بداية الطريق لانتصارنا على أعدائنا وما أكثرهم.

والحمد لله رب العالمين

خطبة الجمعة - الخطبة ١٠٧١ : خ ١ - أسباب زيادة الرزق ٨ (الشكر) - خ ٢: شكر من أسدى لكم معروف .

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠٨-٠٤-٢٥

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الأولى :

مقدمة :

١ - من نعم الله الكبرى ثبات خصائص الأشياء:

أيها الإخوة، لازلنا في سلسلة خطب تتمحور حول أسباب زيادة الرزق، ولأن الله سبحانه وتعالى ثبت مليارات القوانين، ثبت خصائص المواد، ثبت دورة الأفلاك، ثبت كل شيء استقراراً للنظام، وتطميناً للإنسان، فلو بدل خصائص الحديد، وأنشأت بناءً من ثلاثين طبقة، فإذا بدل خصائصه انهار البناء، فثبتت خصائص المواد، وثبات خصائص البذور، وثبات خصائص الأفلاك نعمة عظمى، هذه النعمة مؤداها استقرار النظام، استنباط القوانين، التعامل مع الكون تعاملًا علميًا.

٢ - الرزق والصحة متغيران لا ثبات لهما:

لكن لحكمة بالغة حرك شيئين، حرك الصحة، وحرك الرزق، ليكون الرزق والصحة سببين لتربية الإنسان.

وأنكركم بالآيات الثلاث:

﴿ وَالْوَّاسِقَاتُ لَاسْقِيَاتٌ مِّمَّا عَدَقَا ﴾

(سورة الجن)

﴿ وَكَوْنُ أَهْلِ الْقُرَىٰ آمِنًا وَاتَّقُوا لِنَفْسِنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾

(سورة الأعراف الآية: ٩٦)

﴿ وَكَوْنُ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْهِمْ مِّن رَّبِّهِمْ لِأَكْلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ

أَرْجُلِهِمْ ﴾

(سورة المائدة الآية: ٦٦)

ويُقاس عليهما ما في القرآن.

إذًا: في هذه الآيات الثلاث ربط الله الرزق الوفير بالاستقامة، وبالتقوى، وبإقامة منهج الله عز وجل، ولأن العالم كله يشهد أزمت اقتصادية طاحنة لأسباب لا مجال لذكرها الآن، ولأن هذا الدين يصلح أن يكون دين الأمة، ويصلح أن يكون دين الفرد، فإذا استقمت وحدك، وأقمت أمر الله وحدك، وطبقت سنته وحدك فلك معاملة خاصة، لذلك في خطب عديدة تقترب من عشر كنت أعالج في كل خطبة أحد أسباب زيادة الرزق.

من أسباب زيادة الرزق : الشكر :

الآن محور هذه الخطبة الشكر، والآية الواضحة الصارخة:

﴿ لَنْ نَزِيدَكُمْ لَأَزِيدَكُمْ ﴾

(سورة إبراهيم: الآية ٧)

١ - عود نفسك على شكر النعم المألوفة:

عود نفسك إذا استيقظت صباحاً تتمتع بحواس تامة، وبقوة، وبأجهزة سليمة أن تقول: يا رب، لك الحمد، الحمد لله الذي أحياني بعد أن أماتني، النوم موت، وبعده تتمتع بالقوة، ترى، تسمع، تتنطق، تتكلم، جلست إلى الطعام، عندك طعام، ومعك ثمن طعام، قد يكون طعام قوتٍ يكفيك، عندك زوجة أمامك تلبي حاجتك بالرعاية، عندك أولاد، حاول أن تشكر على النعم المألوفة التي لو تبدلت واحدة منها لكانت حياة الإنسان جحيماً لا يطاق.

للتقريب: يكون عند الإنسان هموم لا تعد ولا تحصى، لكن صحته طيبة، أولاده بصحة جيدة، زوجته كذلك، يسكن في بيت، لا سمح الله ولا قدر ولا قدر، وعافاكم الله جميعاً من كل داء لو ظهر ورم في الجسم لنسيت كل هذه الهموم، أليس كذلك؟

مرة مات ملك، قلت في خطبة، وأنا أعني ما أقول: لو عرض على هذا الملك أن يرجع عاملاً على آلة كاتبة في قصره، وأن يعافى من مرضه، والله الذي لا إله إلا هو لا يتردد ثانية واحدة أن ينقلب من ملك إلى عامل على آلة كاتبة على أن يعافى من مرضه الخبيث.

((مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ))

ليس مُلاحقاً، هو حر، له مأوى، معه مفتاح بيت - مُعافى في جسده - سمعه، بصره، قوته، جهاز الهضم، جهاز القلب، جهاز الدوران، الكلتيان .

((مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ، مُعافى في جسده، عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا))

[أخرجه الترمذي وابن ماجة عن عبد الله بن محسن]

٢ - كثرة الشكوى مخالفة للشكر، وهي من طرق الشيطان:

أيها الإخوة، نكون غارقين في نعم لا تعد ولا تحصى، ونشكو، نتعلم الشكوى، لذلك هذه الشكوى من أين تأتي؟ استمعوا إلى هذه الآية الكريمة، يقول الله عز وجل في معرض حديثه عن الشيطان:

﴿لَأَفْعُنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ (١٦) ثُمَّ لَأَتَيْنَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ (١٧)﴾

(سورة إبراهيم)

يكون دخله بالملايين، ثم يقول لك: لا يعاش في هذا البلد، التجارة مقيدة،

﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾

الذي يتأفف، ويتشكى، وينسى نعم الله عليه، ينسى أنه في بلد مسلم مسموح له أن يأتي إلى المسجد، ولا يسأل، هذه نعمة أنتم لا تعرفونها، أما في بلاد أخرى مسلمة والله لو دخلت المسجد مرة واحدة لأصبحت مسؤولاً عن هذا الدخول، ولو أن فتاة ارتدت ثياباً نصف يدها عار، لكن القبة مرتفعة قليلاً، وثوبها إلى ركبته هذه تعد محجبة، ويسرح كل أقاربها من وظائفهم، نحن والحمد لله نسأؤنا محجبات، والحجاب بأعلى درجة الآن، المساجد ممتلئة، هذه نعم لا نعرفها نحن إلا إذا فقدناها، لذلك من أدعية النبي صلى الله عليه وسلم:

((اللهم أرنا نعمك بدوامها لا بزوالها))

ألا تذكرون قبل خمسين عاماً يوم كان هناك توازن بين المعسكرين كيف أن الدول الصغيرة تتمتع بحرياتها، وتأتيها المساعدات بالمليارات، فإذا شحت المساعدات من معسكر غازلت المعسكر الآخر فبادر الثاني إلى إكرامها، الآن هناك العصا فقط من غير حبة جزر، والحمار أحياناً توضع أمامه حبة جزر، والعصا مع صاحبها، الآن العصا فقط تساق بها الشعوب، وتقهر بها، وتؤخذ ثروات الشعوب، ويقتل أبناء الأمة.

٣ - عود نفسك على رؤية الإيجابيات:

أيها الإخوة الكرام، عود نفسك أن ترى الإيجابيات، عود نفسك أن تشكر الله، أنا لا أقول لك: انس همومك، الهموم هموم، والمشكلات مشكلات، لكن لا تغفل عن الإيجابيات. مرة جاءني إنسان يستأذني في تطلق زوجته، أنا أردت أن أستفزه، قلت له: هل تخونك؟ قال: معاذ الله، هي طاهرة شريفة، قلت: هل هي قدرة؟ قال: أعوذ بالله، إنها نظيفة جداً، قلت له: لا تعنتي بك؟ قال: بل تعنتي، هو استحي بحاله، فلم يكمل الحديث، فلا تنس أن زوجتك عفيفة، لا تنس أن زوجتك أمينة، تحسن إدارة البيت، مع أن ثمة خلافات لا تتعامى عن كل ذلك.

هذا الذي دخل المسجد، وأحدث جلبة وضجيجا، وشوش على الصحابة صلاتهم، لما انتهى النبي صلى الله عليه وسلم من صلاته ماذا قال له ؟ فعَنْ الْحَسَنِ أَنَّ أَبَا بَكْرَةَ جَاءَ وَرَسُولُ اللَّهِ رَاكِعٌ، فَرَكِعَ دُونَ الصَّفِّ، ثُمَّ مَشَى إِلَى الصَّفِّ، فَلَمَّا قَضَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَاتَهُ قَالَ: ((أَيُّكُمْ الَّذِي رَكِعَ دُونَ الصَّفِّ ثُمَّ مَشَى إِلَى الصَّفِّ ؟ فَقَالَ أَبُو بَكْرَةَ: أَنَا، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: زَادَكَ اللَّهُ حِرْصًا، وَلَا تَعُدُّ))
 نوه إلى حرصه، وقال له: ((وَلَا تَعُدُّ)).

إن الإنسان الناجح لا يتعمى عن الإيجابيات في حياته، أما الإنسان الذي يشكو لي سوء ظنه بزوجته، يخشى أن تخونه، أراه كالمرجل، الذي عنده زوجة صالحة يسافر مدة طويلة ولا يخطر في باله خاطر سيئ، أليست هذه نعمة كبيرة ؟

الإيجابيات التي لا تنتبه إليها هذه نعم كبيرة جداً.

٤ - إذا أردت الزيادة في كل شيء فاشكر ما أنت فيه:

الآن إذا أردت الزيادة في كل شيء فاشكر ما أنت فيه.

﴿ لَنِّ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ (٧)

(سورة إبراهيم)

إن أردت الزيادة في مكانتك فاشكر أن الله رفع ذكرك، لتزداد مكانتك، إن أردت الزيادة في رزقك فاذكر أن لك نعماً سلبية، وهي أنك معافى، وأقل تحليل يكلفك الآلاف، المرنان بعشرات الألوف، والآن هناك أجهزة حديثة بخمسة وعشرين ألفاً، وأقل حركة صحية تحتاج إلى ألوف، فإذا عافاك الله من كل هذه الأمراض فمعنى ذلك أن معك رزقاً سلبياً وفر الله عليك ألوفاً.

أحد الإخوة الكرام قال لي: الإنسان إذا جاءه طفل معافى فمع هذا الطفل مليون ليرة، قلت له: ما فهمت عليك، اشرح لي ذلك، قال لي: هناك طفل شريانه مكان الوريد، الجراح طلب أربعمئة ألف في لبنان، والمستشفى ثلاثمئة ألف، ونقله بعد الولادة بساعات إلى لبنان بخمسين ألفاً، قال: سبعمئة وخمسون ألفاً دفعت خلال ساعتين، الذي عنده ولد سليم معافى فهذه نعمة كبيرة جداً، وقد يأتي الطفل منغولياً فتصبح حياة الأسرة جحيماً لا يطاق، ابحث عن الإيجابيات، طريق كله حفر ما إيجابياته ؟ هذا الطريق لا تنام فيه إطلاقاً، أما الطرق الواسعة والسريعة فاحتمال النوم قائم، وبعد النوم حادث مروع، وهذه من باب الطرفة طبعاً.

ابحث عن الإيجابيات في واقعك تسعد وتُسعد، ترض وتُرض، لا تنسَ نعم الله:

﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾

(سورة لقمان الآية: ٢٠)

ما هو الشكر؟

على ما أنت ما هو الشكر؟ ما دام الشكر طريق الزيادة، في صحتك إذا شكرت الله عز وجل عليه من أجهزة سليمة ازدادت صحتك، إذا شكرت ربك أن لك دخلاً تعيش به زاد دخلك، إن شكرت ربك على زوجة إجمالاً صالحة تزداد صلاحاً، إن شكرت ربك على أولاد أمامك يحترمونك ازدادوا احتراماً لك:

﴿لَنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ (٧)﴾

(سورة إبراهيم)

اجعل هذه الآية شعارك، ولكن ما الشكر؟

١ - تصوّر النعمة وعزوها إلى الله:

أيها الإخوة، لمجرد أن تتصور أن هذه نعمة من الله فهذا أحد أنواع الشكر، الله عز وجل وفّقني، وثلث شهادة عليا، وفّقني وتعينت بعمل له دخل معقول يغطي نفقاتي، الله عز وجل أكرمني بمأوى قد يكون بمساحة خمسين متراً، لكنه مأوى معك مفتاح بيت، الله عز وجل أكرمني بأولاد صالحين، عود نفسك أن تقول: الله أكرمني، الله وفّقني، الله مكنني، إياك أن تعزو ما أنت فيه إلى قدراتك فتكون من أتباع قارون:

﴿إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي﴾

(سورة القصص الآية: ٧٨)

﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ﴾

(سورة القصص الآية: ٨١)

الابن مريض، حرارته أربعون، أخذته إلى الطبيب، الله عز وجل سمح لهذا الطبيب أن يصف له دواءً مناسباً، وهذا الدواء أزال الداء، إياك أن تعزو شفاء ابنك إلى طبيب، الطبيب عبد، لأن الشفاء بيد الله عز وجل، فإذا أراد الشفاء لإنسان ألهم الطبيب صحة التشخيص والدواء المناسب.

إن الطبيب له علم يدل به إن كان للناس في الآجال تأخير

متى ينفع علم الطبيب؟ إن كان للناس في الآجال تأخير:

حتى إذا ما انتهت أيام رحلته حار الطبيب و خانته العقاقير

كم من إنسان شكّا تعطلَ إحدى كليتيه ؟ فلا بد من استئصالها، ماذا فعل الطبيب الأول ؟ استأصل السليمة.

أيها الإخوة، أنا أقول: حينما تتجح العملية الجراحية، هكذا أقول: والله إذا أراد الله لك الشفاء تكون يد الطبيب بيد الله فتتجح العملية، فعود نفسك أن تعزو الفضل إلى الله، هذا ليس تواضعاً، هذه حقيقة وواقع.

أيها الأخوة، أول مستوى من مستويات الشكر أن تعزى النعمة إلى الله، إلى أن يكون هذا من جبلتك، الله وفقني، الله أكرمني، الله سمح لي أن أدعو له، من أنت ؟ لولا أن الله أطلق لسانك، لولا الله أمدك بذاكرة، لولا أن الله ألقى محبتك في قلوب الخلق فلا أحد يستمع إليك، لذلك من كلام النبي صلى الله عليه وسلم:

((ألم تكونوا ضلّالا فهداكم الله بي))

[أحمد عن أبي سعيد الخدري]

ما قال: فهديتكم.

إذاً: المستوى الأول أن تعزو النعمة إلى الله، وهذه حقيقة، وكاستنباط بعيد إذا قال الله عز وجل:

﴿ وَمَا عَلَّمَاهُ الشِّعْرَ (٦٩) ﴾

(سورة يس)

النبي صلى الله عليه وسلم ليس بشاعر، لو خاطبنا شاعراً كبيراً: من الذي أعطاك هذه الملكة؟ الله عز وجل.

استنباط آخر دقيق:

﴿ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً (٨) ﴾

(سورة النحل)

أكمل الآية:

﴿ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٨) ﴾

(سورة النحل)

إلى من عزي خلق الطائرة؟ كفكرة، إلى الله عز وجل، هو من ألهم، حتى العلماء الكبار المكتشفون يقولون لك: الاكتشاف ومضة وقفزة وتألّق في المجهول، حتى قال بعض العلماء: العبقريّة تسعة وتسعون منها عرق، يعني جهداً، وواحد بالمئة إلهام.

الله عز وجل على الحقيقة يعزى إليه كل شيء، وكل ما أنت فيه من صحة، من زواج، من أولاد، من ذكاء أحياناً من الله، هناك إنسان الله عز وجل آتاه فهما دقيقاً جداً، إذا عزوت كل شيء إلى الله عز وجل فأنت شاكر، هذا أول مستوى، لذلك قال عليه الصلاة والسلام:

((ما أنعم الله على عبد من نعمة فقال: الحمد لله إلا وقد أدى شكرها))

[الجامع الصغير عن جابر بسند فيه ضعف]

دخلت إلى بيتك قل: الحمد لله الذي آواني، وكم ممن لا مأوى له.

نظرت إلى المرأة، ورجلت شعرك، قل: يا رب لك الحمد، الحمد لله يا رب كما حسنت خلقي حسن خلقي، وجه مقبول، ما فيه شيء منفر، والله نحن غارقون في نعم لا تعد ولا تحصى.

سأل ملك وزيره: من الملك؟ قال: أنت، قال: لا، الملك رجل لا نعرفه، ولا يعرفنا، له بيت يؤويه، وزوجة ترضيه، ورق يكفيه، هذا ملك، الملك الذي له بيت صغير ساكن فيه، مدقاً في الشتاء، عنده مروحة في الصيف، وله زوجة يحبها وتحبه، ومعه وظيفة تغطي مصروفه من دون بحبحة، هذا ملك .

قال: له بيت يؤويه، وزوجة ترضيه، ورق يكفيه.

يقول عليه الصلاة والسلام:

((ما أنعم الله على عبد من نعمة فقال: الحمد لله إلا وقد أدى شكرها، فإن قالها ثانية جدد الله

له ثوابها، فإن قالها ثالثة غفر الله له بها ذنوبه))

[الجامع الصغير عن جابر بسند فيه ضعف]

الله عز وجل أكرمني بهذه الشهادة، شهادة عليا في الطب، هذا المستوى الأول.

٢ - أن يمتلأ قلبك محبة لله:

المستوى الثاني: أن يمتلأ قلبك محبة لله، من أعماقك الله أكبر، سبحان ربي العظيم، سبحان ربي العظيم، سبحان ربي العظيم، اسمعوا الآن، سمع الله لمن حمده، يا رب، لك الحمد والشكر

والنعمة والرضا، حمداً كثيراً طيباً، يا رب، غمرتني بفضلك، غمرتني برحمتك، غمرتني بحلمك، غمرتني بتوبتك، سمع الله لمن حمده، يا رب، غمرتني بعطائك، غمرتني بسترک، غمرتني بحلمك، غمرتني برحمتك، غمرتني بحبك، سمع الله لمن حمده.

٣ - أن تشكر جوارحك:

أما المستوى الثالث: يا الله هذا أرقى مستوى، أول مستوى أن تعزو النعمة إلى الله، المستوى الثاني أن يمتلأ قلبك حباً لله على هذه النعم، المستوى الثالث أن تشكر جوارحك، معنى قوله تعالى:

﴿ اَعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا (١٣) ﴾

(سورة سبأ)

إطعام الهرة شكر لله، وكذا إطعام المساكين.

أحد إخواننا الأطباء زارته معلمة عندها إشكال في أسنانها في المقدمة، الكلفة ستون ألفاً، ما تملك المبلغ، قالت له: شكراً، وهي خارجة قال لي: انكسر قلبي من أجلها، معلمة، قال لها: يا أختي، تقبلي مني أن أقدم لك هدية؟ قالت له: جزاك الله خيراً، قال لي: بقيت ستة أشهر أعالجها حتى قومتم لها أسنانها، قال: أنا أعيش ستة أشهر في جنة، لأن هذا العمل لله.

يقول لي طبيب آخر: أذهب إلى مستشفى عام، في العالم كله المشافي العامة فيها إهمال، قال لي: أعامل المرضى كأنهم بأرقى مستشفى، التحليل، الإيكو، المرنان، قال لي: أنا أعيش في جنة، لأن هذا الفقير لا أحد مهتم به إطلاقاً، أنا أهتم به، أهتم بأدق تطورات مرضه.

قال لي مرة أخ جاء من منطقة الزبداني الساعة الثانية عشر ليلاً في الصيف: وجدت امرأة تقف في الطريق تمسك طفلاً، وهي تبكي، وإلى جانبها زوجها، توقفت، خير إن شاء الله؟ حرارته إحدى وأربعون درجة، هم من لبنان في أثناء أحداث الحرب الأهلية، وما يعرفون أحداً في الشام، قال لي: أخذتهم من مستشفى إلى صيدلية مناوبة حتى انخفضت الحرارة، ورجع الوضع طبيعياً، وأوصلتهم الساعة الرابعة إلى البيت، قال: جلست معهم أربع ساعات، أقسم لي بالله قائلاً: طيلة أسبوعين وأنا أعيش في جنة، ألا تريدون أن تعيشوا في الجنة؟ اخذم الناس، ارحم الضعفاء، المريض عاجه، الفقير أطعمه، اليتيم اعتن به، شغله عندك..

ملخص الملخص:

﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا (١١٠) ﴾

(سورة الكهف)

بربكم في أي جيش في العالم هل يستطيع مجنّد غرّ التحق البارحة بقطعة عسكرية، هل يستطيع الدخول على هذا اللواء الكبير بحكم التسلسل العسكري بلا إذن؟ أمامه مئة رتبة، إلا في حالة واحدة يستطيع الدخول على هذا اللواء الكبير بلا إذن؛ إذا وجد ابنه يسبح، وكاد يغرق، فألقى بنفسه في الماء وأنقذه، يقول له: أهلاً وسهلاً، تفضل، اجلس، هاتوا لنا الشاي، أليس كذلك؟

﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا (١١٠) ﴾

(سورة الكهف)

تحب أن تصلي وتبكي في الصلاة؟ تحب أن تشعر أن الله يحبك؟ تحب أن تشعر أن لك ميزة خاصة؟ أنت غالٍ على الله؟ اخدم له عباده، لا تقل له: أنت من أين، هذا عبد الله عز وجل، كن إنسانياً، وادخدم من كان.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((غُفِرَ لِمَرْأَةٍ مُؤَمِّسَةٍ مَرَّتْ بِكَلْبٍ عَلَى رَأْسِ رَكِيٍّ يَلْهَثُ كَادَ يَقْتُلُهُ الْعَطَشُ، فَزَرَعَتْ خَفْهًا، فَأَوْثَقَتْهُ بِخِمَارِهَا، فَزَرَعَتْ لَهُ مِنَ الْمَاءِ، فَغَفِرَ لَهَا بِذَلِكَ))

[البخاري]

باب النجاة مفتوح بين أيديكم جميعاً.

٤ - انظر إلى من هو أسفل منك، ولا تنظر إلى من هو فوقك:

انظر إلى من هو أسفل منك ولا تنظر إلى من هو فوقك، فذلك أجدر ألا تزدري نعمة الله عليك.

أحياناً تشاهد إنساناً معاقاً، وأنت لست معاقاً، تشاهد ابناً عنده مرض التوحد، أنت ابنك عادي، يجب أن تعرف سلبيات من حولك، لكن بأدب، لا تقل: يا رب، لك الحمد، أمامهم، هذا سوء أدب، بينك وبين نفسك، شاهدت إنساناً فقد حاسة من حواسه، يا رب، لك الحمد، تفضلت علي، رأيت إنساناً بلا عقل، يا رب، أنا عندي عقل، يا رب، لك الحمد، إنسان ما عنده ولد، يموت على ولد، أنت عندك عدة أولاد، ما عندك هذه المشكلة، إنسان عنده زوجة وليس مرتاحاً لها، أنت مرتاح لزوجتك، هذه نعمة كبيرة، فحاول دائماً أن تنظر لمن هو أدنى منك، بالمقابل من دخل على الأغنياء خرج من عندهم وهو على الله ساخط، يقول لك: هذه السجادة ثمنها ثلاثة ملايين، أنت ما عندك سجادة بهذا الثمن، عندك سجادة ثمنها ألفان .

مرة دخلت إلى بيت رجل، وأنا لم أدخل بعد قال لي: هذا الطقم إيطالي، الله يهنئك، البلاط أحضرناه بشحن جوي من إيطاليا، ضاقت نفسي منه، قلت له: ما قولك بطبيب قلب جراح؟ قال لي: نعم، وممرض بمستشفى مهمته تنظيف المرضى، قلت له: حالة حادة، ما قولك أستاذ جامعي؟ رئيس قسم؟ أستاذ ذو كرسي؟ وأستاذ في قرية كمعلم ابتدائي يحمل طعامه معه، ما قولك: رئيس غرفة تجارة وبائع صحون في سوق الحميدية ما قولك: رئيس أركان و مجند على الخط الأول في الشتاء، ذكرت له حالات نادرة جداً، اسمع القرآن الكريم:

﴿ انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا (٢١) ﴾

(سورة الإسراء)

حظوظ الدنيا لا معنى لها، وقد تعني العكس، لكن مراتب الآخرة مراتب أبدية:

﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ (٥٤) فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ (٥٥) ﴾

(سورة القمر)

لذلك حاول أن تنظر إلى من هو أدنى منك فذلك أحرى ألا تحتقر نعمة الله عليك، تحبون نصيحة من القلب إلى القلب: في أمر الدنيا عش مع من هم أدنى منك، وفي أمر الآخرة عش مع من هم فوقك، بميزان الآخرة هذا حافظ لكتاب الله، هذا مستقيم تماماً، هذا له أعمال كالجبال، في أمر الآخرة صاحب من هو أرقى منك إيماناً ليقدم لك حوافز، وفي أمر الدنيا صاحب من هو أدنى منك لترى نفسك في نعمة كبيرة.

لو وسعنا الأمر، سافر إلى بلد غربي تجد نظافة، نظاماً، وحضارة، وخدمات، مطارات، طرقاً معبدة، مترو أنفاق، والأمور ميسرة بشكل يفوق حد الخيال، وقد سافرت إلى بلد في إفريقيا بيننا وبين أكبر دولة متطورة حضارياً خمسون ضعفاً، لكن بيننا وبين الدولة الإفريقية ألف ضعف، بلاد ما في عندها شيء إطلاقاً، صيدلية دواء، مطعم، بيوت، كهرباء، ماء، حتى على مستوى الدول انظر لمن هو أدنى منك، فذلك أحرى ألا تحتقر نعمة الله عليك.

الأسعار مرتفعة، لكن في الخارج دماء تسيل، أليس كذلك؟ كل يوم خبر لثلاثين قتيلًا وسبعين جريحاً، أربعين قتيلًا، ثمانين قتيلًا، مئة وعشرة، ومئتي جريح كل يوم، إذا كنت في آمن فهذه نعمة لا يعرفها إلا من فقدوها، فحاول أن تشكر ما أنت فيه.

الأدلة النبوية على زيادة الرزق بالشكر :

أيها الإخوة، الدليل على أن الشكر سبب الرزق الوفير :

الدليل الأول:

يقول عليه الصلاة والسلام:

((ومن أعطي الشكر أعطي الزيادة، لأن الله تعالى يقول: ﴿ لئن شكرتم لأزيدنكم ﴾))

[رواه الطبراني في الصغير والأوسط وفيه محمود بن العباس وهو ضعيف]

الدليل الثاني:

وقال أيضاً:

((ما من عبد أنعم الله عليه نعمة فأسبغها عليه، ثم جعل من حوائج الناس إليه، فتبرم، فقد

عرض تلك النعمة للزوال))

[رواه الطبراني في الأوسط وإسناده جيد عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما]

يقال لك: يا أخي ما أرتاح، هل تحب أن ترتاح؟ تأتي يوم القيامة مفلساً، لو أزعجك الناس ليلاً ونهاراً، لو حملوك فوق ما تطيق، لأن الله جعل حوائج الناس عندك، لأنه أحبك، لأن الله أحب أن يهبك عملاً صالحاً، فجعل حوائج الناس عندك، فمن جعل الله حوائج الناس عنده، وتبرم عرض هذه النعم إلى الزوال، جعلك غنياً، الكل عقد عليك الآمال، يا أخي ما أتحمّل، الله جعلك غنياً كي تنفق.

الدليل الثالث:

حديث آخر: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

((إن لله أقواماً اختصهم بالنعم لمنافع العباد - دققوا الآن - يقرهم فيها ما بذلوا، هناك بيت في منطقة العمارة فيه شجرة ليمون تحمل خمسمئة حبة، وفي هذا البيت تقليد، هذه الحارة كل واحد يلزمه حبة ليمون يطرق الباب، أعطونا ليمونة، امرأة كبيرة وقورة ظاهرة عفيفة جعلت شجرة الليمون هذه وفقاً لكل الحي، فمن طرق الباب تعطيه ليمونة، ماتت هذه الجدة الراقية، جاءت كنة شابة، طرقت الباب، قالت: ما عندنا ليمون، فبيست الشجرة، وانتهت - فإذا منعوها نزعها منهم فحوّلها إلى غيرهم))

[رواه الطبراني في الأوسط والكبير عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، وسنده حسن]

أقسم لي بالله أحدهم في منطقة خان الشيح ثمانية وثلاثون مزرعة، في سنة جدياء سبعة وثلاثون مزرعة جفت آبارها إلا مزرعة واحدة، الرعاة كانوا يدخلون المزارع فيطردهم أصحابها، إلا هو فعلم مجرى لسقي الغنم، فإذا جاء الراعي يدخله مع الغنم ليشرّبوا، هذه المزرعة الوحيدة الذي بئرها ما جف.

((إن لله أقواماً اختصهم بالنعم لمنافع العباد، يقرهم فيها ما بذلّوها، فإذا منعوها نزعتها منهم فحوّلها إلى غيرهم))

[رواه الطبراني في الأوسط والكبير عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما]

الدليل الرابع:

وفي حديث آخر:

((ما أعطي أحد أربعة فمَنع أربعة – مستحيل، إن أعطيت هذه النعمة أعطيت الثانية – ومن أعطي الشكر أعطي الزيادة، لأن الله تعالى يقول: ﴿ لئن شكرتم لأزيدنكم ﴾))

إن تعطِ فهناك زيادة، ومن لوازم العطاء الزيادة، ومن أعطي الدعاء أعطي الإجابة، لأن الله تعالى يقول: ﴿ ادعوني أستجب لكم ﴾، ومن أعطي الاستغفار أعطي المغفرة، لأن الله تعالى يقول: ﴿ استغفروا ربكم إنه كان غفاراً ﴾، وما أوتي أحد التوبة فمُنِعَ التقبل، لأن الله تعالى يقول:

﴿ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ ﴾

[رواه الطبراني في الصغير والأوسط عن عبد الله بن مسعود، وفيه محمود بن العباس، وهو ضعيف]

التوبة معها قبول، والاستغفار معه مغفرة، والدعاء معه إجابة، والعطاء معه زيادة، هذه قوانين.

يقول بعض العلماء: " من عرف نعمة الله بقلبه، وحمده بلسانه، لم يستتمّ حتى يرى الزيادة، لأن الله يقول:

﴿ لئن شكرتم لأزيدنكم ﴾

نعود إلى فقرة مهمة جداً: من دخل على الأغنياء خرج من عندهم وهو على الله ساخط، ما عنده شيء، ادخل على فقير لترى أنك محاط بنعم لا تعد ولا تحصى.

كنت في تركيا فدعيت إلى طعام الإفطار، عندهم عادة رائعة جداً، الطاولة ارتفاعها أربعون سنتمترًا، تجلس على الأرض والطاولة أمامك، على هذه الطاولة قماشة زائدة تضعها على حضنك، فالنبي الكريم رأى في البيت كسيرة ملقاة، مشى إليها، فرفعها، ومسحها، وقال:

((يا عائشة، أحسني مجاورة نعم الله، فإن النعمة إذا نفرت قلما تعود))

[ورد في الأثر]

هناك بقية من خبز، ضع عليه الماء، وضعه على السطح ليؤكل العصافير منه، لا تحاول أن تضع تروح حبة رز واحدة، هذا الأدب مع الله، والله هناك بيوت ما زاد من الطعام يضعونه في القمامة.

آخر شيء في الموضوع:

كفرُ النعمة :

﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾

(سورة النحل)

معنى كفرت بأنعم الله أي: ما شكرت نعم الله، ما شكرت:

﴿ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾

أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم، فاستغفروه يغفر لكم، فيا فوز المستغفرين، أستغفر الله.

* * *

الخطبة الثانية :

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله صاحب الخلق العظيم، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

من أسدى إليكم معروفا فكافئوه ، فإن لم تجدوا فادعوا له :

أيها الإخوة الكرام، كتعقيب على هذا الموضوع الدقيق: عود نفسك أن تشكر، فلو قدّم لك أحدهم باقة ورد فاكتب عندك في المذكرات: " شكرُ فلان "، اتصل به هاتفياً، قل له: شكراً على هذه الباقة، لو قدم لك أقلّ خدمة، لذلك اسمعوا الحديث الخطير:

((ومن أسدى إليكم معروفا فكافئوه، فإن لم تجدوا فادعوا له))

[رواه الطبراني عن الحكم بن عمير]

يستنبط من هذا أن كلمة (جزاك الله خيراً) غير مقبولة منك إذا كان بالإمكان أن تكافئه بما يقابل عمله، النبي عليه الصلاة والسلام قال:

((وَتَهَادَوْا تَحَابُّوا))

[مالك في الموطأ]

قدمت لك خدمة كبيرة قل له: شكراً سيدي، الله يجزيك الخير، لا هذه غير مقبولة ما دام عندك إمكانية أن تقابله بعمل أو بخدمة أو بهدية، يجب أن تكافئ على المعروف، أما إذا ما عندك إمكانية فعندئذ يقبلها الله منك.

كنا في أول الخطبة مع النعم من الله، الآن إذا خدمك شخص، سهّل لك مهمتك، أعانك، وافق لك، عمل معك عملاً طيباً، لا بد من أن تشكره، إما باتصال هاتفي، أو برسالة، أو ببريد إلكتروني، أو بلقاء شخصي، أو بهدية مقابلها، ولما يتهادى المسلمون يتحابون، الهدية تذهب وحرّ الصدر، فعوّد نفسك أن ترد على كل عمل طيب لا بكلمة فارغة، بل بعمل طيب مقابل، هذا توجيه نبوي.

﴿ وَلا تَنسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ﴾ (٢٣٧)

(سورة البقرة)

استعرت كتاباً جلّده، ولا تقل لصاحبه: تعال خذه، فهو جاهز، استعرت حاجة لمّعها، وحسّنها وردّها، لماذا كفر الناس بالعمل الصالح ؟

مرة قال رجل لأولاده أمام مكتبة من الأرض إلى السقف أربعة حيّطان: يا أولادي، إياكم أن تعيروا كتاباً من هذه الكتب بعد موتي، لأنها كلها كتب معارة، يستعير كتاب ولا يرده، ضاع الكتاب، فإذا ما سجلت نسيت من أخذه منك، فأبى شيء استعرتّه ترجعه مجلداً، وحاول أن تشكر دائماً، فما الذي زهد الناس بالخير ؟ لأن الذين يأخذون الخير من الناس إما أنهم يسيئون إليهم، أو لا يُردّ إليهم.

أيها الإخوة، من علامة الإيمان أن تعظم عندك النعمة مهما دقت، إنسان خدمك قدم لك معونة، قدم لك هدية يجب أن تردّ عليه بهدية مماثلة، هذا الإيمان، لا أن تكتفي بالشكر، الشكر لمن كان ضعيفاً، وقدم له رجل قوي هدية، أو غني، لا يقدر أن يكافئه عليها.

((ومن أسدى إليكم معروفا فكافئوه، فإن لم تجدوا فادعوا له))

[رواه الطبراني عن الحكم بن عمير]

[هذا حديث صحيح الإسناد على شرط الشيخين]

حتى تعلموا أنكم قد كافأتموه.

والحمد لله رب العالمين

خطبة الجمعة - الخطبة ١٠٧٢ : خ ١ - أسباب زيادة الرزق ٩ (العمل الصالح) - خ ٢: الدعاء هو العبادة.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠٨-٠٥-٠٢.

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الأولى :

أيها الأخوة الأكارم، لازلنا في موضوع متسلسل حول أسباب زيادة الرزق، ولأن الإنسان في أي زمان ومكان حريص حرصاً لا حدود له على حياته وعلى رزقه، ولأن هناك مخاطر تحيط بالعالم كله بسبب البعد عن الله عز وجل، وهذه المخاطر تصل إلى الرزق، لذلك كانت هذه الخطبة.

حجم الإنسان عند الله بحجم عمله الصالح :

أيها الأخوة، الأجل لا يتغير لكن في آيات تؤكد أنه يطول، العلماء فسروا ذلك بما يلي، إنسان له محل تجاري فتحه عشر ساعات الغلة ألف ليرة، إنسان فتحه خمس ساعات الغلة مليون، المليون يساوي عشر دوام دوام، العمر يطول بالعمل الصالح والدليل لما سيدنا موسى سقى للفتاتين ماذا قال ؟

﴿ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ (٢٤) ﴾

(سورة القصص)

فتبين بهذه الآية أن الغنى غنى العمل الصالح وأن الفقر هو فقر العمل الصالح، والعمل الصالح بيدك، أنت مخير وأسبابه متاحة لك، يعني بإمكان إنسان عاش أربعين عاماً يكون له أعمال صالحة تساوي خمسمئة عام، وفي علماء كبار منهم الشافعي عاش دون الخمسين، في علماء معاصرين ابن باديس غير أمة بأكملها، لذلك العمر زمناً ليس بيدك أما مضموناً بيدك، فبإمكانك أن تطيل عمرك إلى خمسمئة عام بحجم العمل الصالح الذي تفعله في الدنيا، وحجمك عند الله بحجم عملك الصالح.

﴿ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ (١٠) ﴾

(سورة فاطر)

أعظم أعمال الإنسان ما استمر بعد موته :

مرة ثانية حجمك عند الله بحجم عملك الصالح وأعظم الأعمال الصالحة ما استمر بعد موتك،
((إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ
وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ))

[مسلم عن أبي هريرة]

علماء كثر توفاهم الله من سنوات طويلة ودروسهم تبت كل يوم في تفسير القرآن، أليس هذا
العمل مستمراً ؟ الذين ألفوا كتباً إسلامية كبيرة جداً كرياض الصالحين هذا الكتاب المبارك لا
يخلو منه بيت في العالم الإسلامي ألفه الإمام النووي.

((إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، مسجد، معهد،
مستوصف، مستشفى، ميتم، جمعية خيرية، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، دروس تبت، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو
لَهُ))

والله حينما أستمع إلى إنسان توفاه الله وترك ولداً صالحاً والله أقول في أعماق أعماقي هذا
الإنسان لم يمت، هذا الابن استمرار له.

أتمن شيء يملكه الإنسان الوقت فعليه أن يشغله بأعمال صالحة :

البطولة أن تجهد وأنت حي بعمل صالح لا ينتهي عند موتك، بل يستمر بعد موتك، هذه
الصدقة الجارية، مؤسسة، معهد، ثانوية شرعية، كتاب، دروس، شريط، أي شيء، والعياذ بالله
يوجد أشخاص يموتون وأعمالهم السيئة مستمرة من بعدهم أليس كذلك ؟
إذا العمر ليس بإمكانك أن تزيده أما كمضمون بإمكانك أن تعمل أعمالاً تحتاج إلى خمسمئة
عام، هذا معنى بعض الأحاديث أن الله عز وجل ينسأ له في أجله، يعني يرزقه أعمالاً صالحة
تحتاج إلى آجال مديدة.
النبي صلى الله عليه وسلم عاش ثلاثاً وستين عاماً لكن أثره عم الأرض أقسم الله بعمره
التمين قال له:

﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾

(سورة الحجر)

يعني أتمن شيء تملكه الوقت، أنت وقت، أنت بضعة أيام، كلما انقضى يوم انقضى بضع
منك.

عمر الإنسان محدود زمناً أما مضمونه لا حدود له يتسع بقدر عمله الصالح :

أيها الأخوة الكرام، ورد في بعض الآثار: ما من يوم ينشق فجره إلا وينادي يا ابن آدم أنا خلق جديد، وعلى عملك شهيد، فتزود مني فإني لا أعود إلى يوم القيامة.

هذا اليوم سمح الله لك أن تعيشه، كان عليه الصلاة والسلام إذا استيقظ يقول:

((الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَافَانِي فِي جَسَدِي، وَرَدَّ عَلَيَّ رُوحِي، وَأَذِنَ لِي بِذِكْرِهِ))

[الترمذي عن أبي هريرة]

العمر محدود زمناً أما مضمونه لا حدود له يتسع بقدر عملك الصالح، وأعظم الأعمال الصالحة ما استمر بعد موت الإنسان، أما الرزق، يجب أن تعتقد اعتقاداً جازماً من خلال خطب قد تزيد عن عشرين خطبة أنه يتبدل وزيادته بيدك.

أسباب زيادة الرزق :

١ - الاستغفار:

الآن في هذه الخطبة أحد أسباب زيادة الرزق الاستغفار والدليل (بالدين لا يوجد رأي شخصي، نص قرآن أو سنة) قال تعالى:

﴿ وَأَنْ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى (٣) ﴾

(سورة هود)

المتاع الحسن من لوازمه الرزق الوفير.

﴿ وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ (٣) ﴾

(سورة هود)

لذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم، دققوا:

((مَنْ لَزِمَ السُّتْغْفَارَ جَعَلَ اللَّهُ لَهُ مِنْ كُلِّ ضَيْقٍ مَخْرَجًا وَمِنْ كُلِّ فَرْجٍ وَرِزْقَهُ مِنْ حَيْثُ لَأَ

يَحْتَسِبُ))

[أبي داود وابن ماجه والمستدرک للحاکم عن ابن عَبَّاس]

((مَنْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ بِنِعْمَةٍ فَلِيَحْمَدِ اللَّهَ وَمَنْ اسْتَبْطَأَ الرِّزْقَ فَلْيَسْتَغْفِرِ اللَّهَ وَمَنْ حَزَبَهُ أَمْرٌ فَلْيَقِلْ لَأَ

حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ))

[عَنْ الْحَسَنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ]

هذا كلام المعصوم، كلام الأولين والآخرين.

مَنْ لَزِمَ الِاسْتِغْفَارَ جَعَلَ اللَّهُ لَهُ مِنْ كُلِّ ضَيْقٍ مَخْرَجًا :

أصاب الناس قحط في عهد عمر فصعد المنبر فاستسقى فلم يزد على الاستغفار فقط، صعد المنبر واستغفر فقط، فقالوا له يا أمير المؤمنين ما سمعناك استسقيت ؟ أين دعاء الاستسقاء، فقال: لقد طلبت الغيث بمفاتيح السماء التي يستنزل بها المطر ثم قرأ الآية الكريمة:

﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (١٠) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا (١١) ﴾

(سورة نوح)

وقوله:

﴿ وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ (٥٢) ﴾

(سورة هود)

((من استغفر للمؤمنين والمؤمنات كل يوم سبعاً وعشرين مرة كان من الذين يستجاب لهم

ويرزق بهم أهل الأرض))

[رواه الطبراني عن أبي الدرداء]

فالاستغفار أحد أسباب زيادة الرزق، الاستغفار ندم، الاستغفار توبة، الاستغفار عودة إلى الله.

عدم تعذيب المؤمن من قبل الله عز وجل إن أستغفره و تاب إليه :

لذلك:

﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ (٣٣) ﴾

(سورة الأنفال)

في معصية لا سمح الله عز وجل، في تقصير:

﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾

(سورة الأنفال)

أنت في بحبوحتين، أنت في مأمنين، أنت في حرزين، أنت في حصنين، أن تكون مطبقاً لمنهج رسول الله، أو أن تكون نادماً مستغفراً فالاستغفار أحد أسباب زيادة الرزق.

دوام النعمة و بقاؤها مرتبط بشكر الله عز وجل و حمده :

أيها الأخوة، يقول الإمام جعفر الصادق رضي الله عنه: إن كان عليك نعمة فأحبيت بقاءها ودوامها فأكثر من الحمد والشكر.

لك بيت، لك زوجة سالحة، عندك أولاد، لك دخل معين، الله مكنك من حرفة أكثر من الحمد والشكر تستمر هذه النعمة بل تزيد، الله عز وجل يقول:

﴿ لئن شكرتم لأزيدنكم ﴾ (٧)

(سورة إبراهيم)

مفتاح الرزق السعي مع الاستغفار ومفتاح المزيد الشكر :

الآن وإذا استبطأت الرزق، بحثت، ذهبت، قدمت طلبات، دخلت مسابقات، بحثت في بعض الإعلانات حول العمل فلم تجد فرصة عمل مناسبة لك.

قال: وإذا استبطأت الرزق فأكثر من الاستغفار فإن الله تعالى يقول في كتابه:

﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (١٠) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا (١١) ﴾

يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا تعني كل شيء، تعني تجد وظيفة، تجد عملاً، تجد حرفة ناجحة،

الله عز وجل يروج اسمك في عالم التجارة:

﴿ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا (١١) وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَيْنَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا (١٢) ﴾

يا سفيان القول لجعفر الصادق: إذا حزبك أمر من سلطان، يعني في مشكلة كبيرة مع جهة رسمية مصادرة مثلاً، في قضية أو غيره فأكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله فإنها مفتاح الفرج وكنز من كنوز الجنة.

لذلك قال ابن العربي مفتاح الرزق السعي مع الاستغفار. حركة، ومفتاح المزيد الشكر.

عدم الاستجابة للمسلمين لأنهم هان أمر الله عليهم فهانوا على الله :

قصة عجيبة لكنها واقعة رجل أتى الحسن شكا إليه القحط فقال له استغفر الله، الجواب كلمة واحدة، أتاه آخر فشكا إليه الفقر فقال استغفر الله، أتاه آخر فقال له ادع الله أن يرزقني ابناً صالحاً فقال استغفر الله، أتاه آخر شكا له جفاف بساتينه قال له استغفر الله، عجبنا من هذا الكلام فقلنا أذاك رجال يشكون ألواناً ويسألون أنواعاً فأمرتهم جميعاً بالاستغفار، فقال: ما قلت من نفسي شيئاً إنما اعتبرت قوله تعالى حكاية عن نبيه نوح عليه السلام أنه قال لقومه:

﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (١٠) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا (١١) وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ

وَبَيْنَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا (١٢) ﴾

لماذا لا يستجاب للمسلمين ؟ يدعون الله ليلاً ونهاراً والأمور تتردد تعقيداً:

﴿ مَا لَكُمْ نَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴾

السبب أن أمر الله هان عليكم فهنتم على الله،

﴿ مَا لَكُمْ نَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴾

لماذا لا تعظمون أمره، لماذا لا تأخذون أمره ونهيه أمراً جدياً.

من أكثر من الاستغفار كثر الرزق عليه :

أيها الأخوة، إذا تبتم إلى الله كما يقول الإمام جعفر واستغفرتموه وأطعتموه كثر الرزق عليكم، وأسقاكم من بركات السماء، نحن في سنوات محصول القمح ستة ملايين طن، السنة ما في شيء إطلاقاً والعياذ بالله، الحقيقة مؤلمة، إذا تبتم إلى الله واستغفرتموه وأطعتموه كثر الرزق عليكم وأسقاكم من بركات السماء وأنبت لكم من بركات الأرض وأنبت لكم الزرع وأدر لكم الضرع، وأمدكم بأموال وبنين أي أعطاكم الأموال والأولاد وجعل لكم جنات فيها أنواع الثمار. نحن في سنة من السنوات نزل في دمشق ثلاثمائة وخمسين ميليمتر يقول لي أخ كريم خبير بحوض دمشق ثلاثين لأربعين نبع جف منذ ثلاثين سنة عاد وتفجر. مياه منين وصلت إلى برزة، بأي لحظة الله عز وجل يرسل السماء عليكم مدراراً، كنت في بلدة بإفريقيا أمطارها في الليلة الواحدة تساوي أمطار دمشق لسنتين، متنين وأربعين مليمتر في ليلة واحدة.

من أطاع ربه و أخلص نيته استجاب له و فرج عنه :

أيها الأخوة، أناس كثيرون يستغفرون والفقير يزداد، هذه ظاهرة لو أنك حدثت من حولك بمضمون هذه الخطبة حتماً يقول لك أحدهم لا، أنا أستغفره ليلاً ونهاراً والأمور تزداد تعقيداً بماذا تجيبه ؟ قال أبو علي التنوخي في كتاب الفرج بعد الشدة شكا إلى علي بن أبي طالب كرم الله وجهه شدة لحقت به، وكثرة في العيال، فقال له : عليك بالاستغفار، فإن الله عز وجل يقول: استغفروا ربكم إنه كان غفاراً الآيات فعاد إليه، فقال : يا أمير المؤمنين إني قد استغفرت الله كثيراً وما أرى فرجاً مما أنا فيه، فقال : لعلك لا تحسن أن تستغفر، قال : علمني، قال : أخلص نيتك، وأطع ربك، وقل : اللهم إني أستغفرك من كل ذنب قوي عليه بدني بعافيتك، يعني يا رب أنا عصيتك بعافيتك، عافيتني فعصيتك.

قل : اللهم إني أستغفرك من كل ذنب قوي عليه بدني بعافيتك، أو نالته قدرتي بفضل نعمتك، معي مال بالمال عصيتك يا رب وأنت رزقتني هذا المال، أو بسطت إليه يدي بسابغ رزقك، أو اتكلت فيه عند خوفاً منك على حلمك، أو عولت فيه على كرم عفوك، اللهم إني أستغفرك من كل ذنب خنت فيه أمانتي، أو بخست فيه نفسي، أو قدمت فيه لذاتي، أو آثرت فيه شهواتي، أو سعيت فيه لغيري، أو استغريت فيه من تبعني يعني أغريت من تبعني بهذه المعصية أو غلبت فيه بفضل حيلتي فلم تغلبنني على فعلي إذ كنت سبحانه كارهاً لمعصيتي، لكن سبقك علمك في اختياري واستعمالي مرادي، وإيثاري فحلمت عني فلم تدخلني فيه جبراً ولم تحملني عليه قهراً، ولم تظلمني شيئاً، يا أرحم الراحمين، يا صاحبي عند شدتي، يا مؤنسي في وحدتي، يا حافظي في نعمتي، يا ولي في نفسي، يا كاشف كربتي، يا مستمع دعوتي، يا راحم عبرتي، يا مقيل عثرتي، يا إلهي بالتحقيق، يا ركني الوثيق، يا جاري اللصيق، يا مولاي الشفيق، يا رب البيت العتيق، أخرجني من حلق المضيق إلى سعة الطريق وفرج من عندك قريب وثيق، واكشف عني كل شدة وضيق واكفني ما أطيق وما لا أطيق، اللهم فرج عني كل هم وغم، وأخرجني من كل حزن وكره، يا فارح الهم وكاشف الغم ويا منزل القطر ويا مجيب دعوة المضطرين، يا رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما، صلِّ على خيرتك من خلقك محمد النبي صلى الله عليه وسلم وآله الطيبين الطاهرين، وفرج عني ما قد ضاق به صدري وعيل منه صبري وقلت فيه حيلتي وضعفت له قوتي، يا كاشف كل ضرر وبلية ويا عالم كل سر وخفية يا أرحم الراحمين أفاض أمري إلى الله، إن الله بصير بالعباد، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وهو رب العرش العظيم، قال الأعرابي : فاستغفرت بذلك مراراً فكشف الله عني الغم والضيق ووسع علي في الرزق وأزال المحنة.

العاجز من يتكاسل في طلب ما يريد من الله عز وجل :

أيها الأخوة الكرام، وصفة نبوية في الصحاح
 ((يَنْزِلُ رَبَّنَا كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حَتَّى يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ، فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي
 فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأَعْطِيهِ؟ وَمَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟ حَتَّى يَنْفَجَرَ الْفَجْرُ))

[مسلم عن أبي هريرة]

الله عز وجل ينتظر في وقت السحر قبيل أذان الفجر: هل من مستغفرٍ؟ هل من تائبٍ؟ هل من سائلٍ؟ هل من داعٍ؟ حتى ينفجر الفجر.

من هو الكسول، من هو العاجز، من هو الأحمق، من هو الغبي ؟ الذي يتكاسل أن يطلب من خالق السماوات والأرض والله ينتظرك، أنت في الصلاة تقول سمع الله لمن حمده، هو يسمعك الآن اطلب منه.

٢ - الدعاء:

إن الله يحب الملحين بالدعاء، إن الله يحب من عبده أن يسأله شسع نعله إذا انقطع، إن الله يحب من عبده أن يسأله ملح طعامه، إن الله يحب من عبده أن يسأله حاجته كلها، الأمر بيده على كل شيء قدير، جسمك بيده، صحتك بيده، أهلك بيده، أولادك بيده، من هم فوقك بيده، أعداؤك بيده، الطغاة بيده:

﴿ مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونَ * إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَّتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾

(سورة هود)

الدعاء سلاح المؤمن فعليه الإكثار منه :

الدعاء سلاح المؤمن:

﴿ قُلْ مَا يَعْجَبُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ ﴾

(سورة الفرقان الآية: ٧٧)

ما معنى أن تدعوه ؟ أيها الأخوة الكرام، أنا أعني ما أقول المسلمون مقصرون في الدعاء في دعاء شكلي في دعاء باللسان في دعاء والاعتماد على غير الله، في دعاء مع الشرك:

﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴾

(سورة يوسف)

في دعاء مع الخوف من غير الله، في دعاء والأمل متعلق بغير الله، كل هذه الأدعية لا قيمة لها، ولا وزن لها ولا يستجاب لها، أما حينما تعقد الأمل على الله وحينما تؤمن أن يد الله تعمل وحدها وأن الله بيده كل شيء:

﴿ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ أَعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ﴾

(سورة هود الآية: ١٢٣)

من دعا الله مع الخوف من غيره لا يستجاب له أبداً :

حينما تؤمن أن كل حركة وسكنة بيد الله، حينما تؤمن أنه لا معطي إلا الله ولا مانع إلا الله، ولا رافع إلا الله ولا خافض إلا الله، ولا معز إلا الله ولا مذل إلا الله، حينما تؤمن أن كل الأصنام التي في الأرض، أن كل الطغاة في الأرض لا يستطيعون فعل شيء إلا إذا سمح الله، حينما تجعل علاقتك كلها بالله، حينما تعقد الأمل على الله، حينما تتوكل على الله، حينما لا ترى يداً تعمل في الكون إلا الله، حينما توحد يصح دعاؤك وإذا صح دعاؤك استجاب الله لك فقويت عقيدتك، قويت عقيدتك، إياك أن تدعو الله وأنت معتمد على زيد أو على عبيد، إياك أن تدعو الله وأنت ترى أن خلاصك بيد زيد أو عبيد، أو أن زيدا أو عبيداً إن شاء رفعك وإن شاء خفضك، فنقول يا رب الدعاء ليس له معنى إطلاقاً.

أنا أغنى الأغنياء عن الشرك، أنا أغنى الأغنياء عن الشرك، إن الله عز وجل لا يقبل العمل المشترك ولا يقبل على القلب المشترك.

التوحيد أساس الدعاء :

ينبغي أن يرى الله قلبك خالياً إلا من الاعتقاد به، ألا يرى في قلبك شريكاً له عندئذ لا يقبل عليك، ألا يراك معتمداً غيره، ألا يراك تخاف من غيره، التوحيد، التوحيد أساس الدعاء حينما ترى أنه لا إله إلا الله وما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن وحينما ترى أن الله في السماء إله وفي الأرض إله، حينما ترى أن هؤلاء الطغاة عصي بيد الله يحركهم كما يريد، حينما تقتدي بنبي كريم تحدى أقوياء أمته فقال:

﴿ مِنْ دُونِهِ فَكَيْدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونَ * إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾

(سورة هود)

شروط الدعاء المقبول :

حينما توحد يصح دعاؤك وإذا صح دعاؤك يستجاب لك.

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ﴾

(سورة البقرة الآية: ١٨٦)

أقرب إلينا من حبل الوريد، يحول بين المرء وقلبه:

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ (١٨٦) ﴾

(سورة البقرة)

١ - الإخلاص:

إذا دعان حقيقة.

٢ - الإيمان :

إذا آمن بي حقيقة، إذا آمن بوجدانيتي حقيقة، إذا آمن بأني فعال لما أريد حقيقة، إذا آمن أن الخير والشر بيدي لا بيد خلقي.

٣ - الاستجابة لله:

أنت حينما تودع، وإذا دعوت صادقاً يستجاب لك، وما أمرك أن تدعوه إلا ليجيبك، وما أمرك أن تستغفره إلا يغفر لك، وما أمرك أن تتوب إليه إلا ليتوب عليك:

﴿ وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا (٢٧) ﴾

(سورة النساء الآية: ٢٧)

من دعا الله فهو مؤمن بوجوده و قدرته :

الدعاء سلاح المؤمن بل إنني أفهم قوله تعالى حينما يقول:

﴿ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ (٢٣) ﴾

(سورة المعارج)

كيف دائمون ؟ تأكل وتشرب وتمشي في الطريق تؤسس عملاً تدرس، كيف دائمون ؟ بالدعاء، الدعاء صلة، ((الدعاء هو العبادة)) . ((الدعاء مخ العبادة)) .

[أخرجه الترمذي عن أنس]

﴿ قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ (٧٧) ﴾

(سورة الفرقان)

ما معنى أنك تدعو الله ؟ المعنى الحتمي أنت لا يمكن أن تخاطب جهة غير موجودة، يكون مجنوناً إذا دخل إلى بيت ما فيه أحد، فلان ما قولك ؟ كيف صحتك ؟ ليس معقول، أنت لا تخاطب جهة غير موجودة، فإذا دعوت الله فأنت حتماً موقن بوجوده، وأنت لا تخاطب جهة لا تسمعك فإذا دعوت الله فأنت حتماً موقن بأنه يسمعك، وأنت لا تخاطب جهة ضعيفة لا تستطيع حل مشكلتك عليك مليونين دين لا تأتي على طفل في الحضانة تقول له معك هذا المبلغ ؟ تكون مجنوناً، أنت لا تدعو إلا جهة موجودة وتسمعك وقادرة على تلبيةك، وأنت لا تدعو جهة قوية

تسمعك وقادرة لكنها لا تحبك، ما في إنسان يطلب من عدوه قرض، إذاً أنت حينما تدعو الله مؤمن بوجوده، ومؤمن بسمعه، مؤمن بقدرته، مؤمن بأنه يحبك، الذي يدعو الله معنى مؤمن، الدعاء هو العبادة لذلك قال تعالى:

﴿ قُلْ مَا يَعْْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ ﴾ (٧٧)

(سورة الفرقان)

ما من شيء يقوي إيمان الإنسان بالله كالدعاء :

فقد كذبتم، إذاً لمجرد أنك مؤمن وموحد تدعو الله عز وجل، الآن صدقوا أيها الأخوة، ما من شيء يقوي إيمانك بالله كالدعاء، تدعوه بينك وبينه، الأمور تسير بشكل آخر لمصلحتك استجاب الله دعائك، الله عز وجل أعطاك دليلاً واقعياً عملياً يقينياً قطعياً صارخاً حاداً أنه سمعك واستجاب لك، لا يزداد إيمانك إلا بالدعاء، اجعل الدعاء ديدنك في هذه الحياة أسأله كل حاجتك، قبل أن تخرج من البيت اللهم إني أعوذ بك من أن أضل أو أضل، أو أضل أو أضل، أو أن أجهل أو أن يجهل علي، قبل أن تقوم بعمل اللهم إني تيرأت من حول وقوتي، والتجأت إلى حولك وقوتك يا ذا القوة المتين.

قبل أن تتزوج اللهم ارزقني زوجة صالحة، أنت حينما تجعل الدعاء ديدنك كل يوم كل ساعة في دخولك في خروجك قبل أن تنام بعد أن تستيقظ، قبل أن تقبل على عمل إنك بهذا تعبر عن إيمانك بالله وجربوا مع أن الله لا يجرب، جرب أن تتحرك بالدعاء، ومستحيل وألف ألف مستحيل أن يخيب الله ظنك، أنا عند حسن ظن عبدي بي فليظن بي عبدي ما يشاء.

من آمن أن الله على كل شيء قدير استجيب له :

حدثني رجل سافر إلى الساحل عن طريق الجبال أوقف مركبته في رأس جبل والوادي من أعماق الوديان، وذهب ليأتي بالطعام ابنه حرك السيارة فانحدرت في الوادي المتوقع معه خمسة أولاد وزوجته أنهم سيموتون جميعاً فدعا الله دعاءً من أعماق أعماق قلبه أن ينجي الله أهله وأولاده استقرت في قعر الوادي وزوجته وأولاده سالمون، الله كبير.

حينما تؤمن أنه على كل شيء قدير، يجب أن تقبلوا مني أنا معي أدلة مرض خبيث بالدرجة الخامسة، ممكن ينحسر نهائياً، أعرف رجلاً قبل خمسة وعشرين سنة أجمع الأطباء على أن هذا الورم لا دواء له والمصير الموت المحقق في أقرب وقت، لا يملك إلا الدعاء والآن والله معافى، صديقي أعرفه جيداً، الله عز وجل شفاه، الدعاء سلاحك، إنسان أحياناً يكون له صلة مع قوي يمشي بالعرض، الله قال لك الإله العظيم أنا معك، عبدي كن لي كما أريد أكن لك كما تريد، كن

لي كما أريد ولا تعلمني بما يصلحك، أنت تريد وأنا أريد فإذا سلمت لي فيما أريد كفيتك وما تريد، وإن لم تسلم لي فيما أريد أتعبتك فيما تريد، ثم لا يكون إلا ما أريد.

الاستقامة أساس الدعاء :

إله عظيم ينتظرك، ينتظر أن تدعوه، ما في عمل توافر عمل، ما في رزق يأتيك رزق، ما في امرأة سالحة للزواج يختار الله لك امرأة تسرك إن نظرت إليها، وتحفظك إذا غبت عنها، وتطيعك إن أمرتها.

علق أملك بالله عز وجل:

((إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا...))

[مسلم عن أبي هريرة]

لا تستطيع أن تدعوه إلا إذا استقمت على أمره، هنا العقبة:

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ (١٨٦) ﴾

(سورة البقرة)

أيها الأخوة الكرام، ضعوا رحالكم في باب الله، ضعوا همومكم عند الله، ضعوا طلباتكم عند الله، ضعوا كل همومكم عند الله:

((مَنْ جَعَلَ الْهُمُومَ هَمًّا وَاحِدًا هَمَّ آخِرَتِهِ كَفَاهُ اللَّهُ هَمَّ دُنْيَاهُ))

[ابن ماجه عن عبد الله بن مسعود]

((اعمل لوجه واحد يكفك الوجوه كلها))

[أخرجه ابن عدي والديلمي عن أنس]

والدعاء مخ العبادة وأحد أسباب زيادة الرزق الاستغفار والدعاء.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم فاستغفروه يغفر لكم، فيا فوز المستغفرين، أستغفر الله.

* * *

الخطبة الثانية :

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله صاحب الخلق العظيم، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

هناك صنفان من الناس مستثنون من شروط الدعاء :

أيها الأخوة الكرام، لكن كاستثناء من شروط الدعاء:
﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ (١٨٦)

(سورة البقرة)

لكن العلماء استنبطوا من آيات كثيرة أن هناك صنفين من الناس مستثنون من شروط الدعاء.

١ - المضطر:

من هما ؟ المضطر:

﴿ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ ﴾ (٦٢)

(سورة النمل)

المضطر ولو لم يملك شروط الدعاء المستجاب يستجيب الله له لأنه رحيم.

٢ - المظلوم:

المظلوم لو لم يملك شروط الدعاء المستجاب يستجيب الله له بعدله، فالمضطر يدعو الله كيفما كان وضعك مستقيم غير مستقيم، محسن مسيء، الآن ادعُ الله لأنه ليس لك غيره.

﴿ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ ﴾ (٦٢)

(سورة النمل)

علينا أن نتقي دعوة المظلوم و لو كان كافراً :

الثاني المظلوم دققوا الآن: اتقوا دعوة المظلوم، ولو كان كافراً، فإنها ليس بينها وبين الله حجاب، إياك أن يدعو عليك مظلوم ولو كان كافراً، لأنه عبد من عباده الله عز وجل يقول:

﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ﴾ (٨)

(سورة المائدة)

إياك أن يحملك عداؤك لكافر، لمحمد على أن تظلمه، إياك كافر ملحد، فإن الله يسمع دعاءه، الظلم ظلمات يوم القيامة، يروى أن أحد أكبر المقربين لهارون الرشيد اسمه خالد البرمكي، أقوى إنسان في هذه الدولة رأى نفسه فجأة في السجن فزاره أحدهم قال له ما حالك ؟ قال لعل دعوة مظلوم أصابتي.

إياك ودعوة المظلوم مؤمن غير مؤمن، من دينك من غير دين، ما له علاقة له حق، الحق أحق أن يودى، تغش هذا الإنسان تبيعه بضاعة فاسدة هذا ما فيه دين، لا:

﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ (٨)﴾

(سورة المائدة)

إن عدلتم معه قربتموه إليه وقربتموه إليكم.

بطولة المسلم أن يكون محسناً ليدخل الناس في هذا الدين أفواجاً :

يهودي ادعى أن هذا الدرع له وهو لسيدنا علي وقفا أمام القاضي، القاضي هو الذي عينه أمعك شهود يا أمير المؤمنين؟ قال معي أولادي، قال غير مقبول أولادك، من أولاده؟ الحسن والحسين، لا يشهد ابن لأبيه، ممنوع بالقضاء فحكم القاضي لهذا اليهودي بالدرع، فأسلم. ليس معقول أمير مؤمنين والدرع له والشهود أولاده الوحيدون، فالقاضي نفذ الشرع وحكم له بالدرع:

﴿اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ (٨)﴾

(سورة المائدة)

هذا البعيد إذا أنصفته قد يسلم، قد يحبك، والله حدثني أخ سائح يوناني بتركيا في أيام الصيف ازدحام شديد ما في فنادق ولا أربع نجوم ولا ثلاثة ولا اثنين ولا نجمة طرق باب في مجال توجرنى غرفة عندك؟ قال له تكرم البيت كله لك، قال له عندي بيت ثاني، هيا له عشاء وطعام الفطور، أين البيت الثاني؟ ما عنده بيت ثانٍ نام هو وأهله تحت الشجرة، فلما رآه صباحاً دخل في الإسلام الآن أكبر داعية، ما هذه الأخلاق الأمور غير معقدة، كن مع الناس كاملاً يحبك الناس يحبوا دينك يحبوا إسلامك، يدخلون في دين الله أفواجاً، وبالمقابل صلِّ واعمل كل سنة عمرة وكل مالك حرام وغش الناس يخرجون من الدين أفواجاً، البطولة أن تكون كاملاً، أن تكون محسناً، والله حدثوني عنه الآن أنه من أكبر الدعاة، هو غير مسلم معقول إنسان يضيفني لا يعرفني والساعة الثانية عشرة ما في مكان ينام، هيا له غرفة النوم وطعام العشاء والإفطار حتى يرضى، قال له أنا عندي بيت ثانٍ، صباحاً وجده نائماً هو وزوجته وأولاده تحت الشجرة، هي المنطقة ريفية وجميلة والدنيا صيف ما في مشكلة، لكن كيف أقتعه أن ينام عنده وما أخذ منه شيء طبعاً، فكان سبب إسلامه.

أسيرة وقعت في يد المسلمين عاملوها معاملة هي حاقدة كثيراً، ترى أن الدين تخلف، جهل، إرهاب، دين قتل، عاملوها معاملة صعب وصفها لكم، استفزتهم بكل أنواع الاستفزاز تخلع ثيابها أمامهم فيهربوا لا ينظرون إليها، تطلب حاجات نادرة يؤمنوها لها، فلما أفرجوا عنها بعد شهرين بحسب اتفاق معين عقدت مؤتمراً صحفياً وأول كلمة قالتها أشهد أن لا إله إلا الله وهي الآن من كبيرات الدعاة في بريطانيا، بيدك إقناع الناس بالإسلام بالإحسان ليس بالكلام، بالعدل، بالإنصاف.

أيها الأخوة الكرام، نحن مقصرون كثيراً هؤلاء الذين أساؤوا للنبي عليه الصلاة والسلام لأننا أسأنا له قبلهم فأخذوا عنا فكرة غير صحيحة، فتوقعوا أن النبي مثل أتباعه، هذا ما قاله الرسام الدانمركي قال ظننته كأتباعه، هكذا ظنّ نحن أسأنا إليه، نحن مقصرون، إياكم أن تتهموا جهة أخرى، من علامات التوفيق أن نتهم أنفسنا، نحن مقصرون، طبق هذا الدين، استقم كما أمر الله يدخل الناس في دين الله أفواجاً، وطبق شعائره وابتعد عن الاستقامة والعمل الصالح يخرج الناس منه أفواجاً.

والحمد لله رب العالمين

خطبة الجمعة - الخطبة ١٠٧٣ : ١ - أسباب زيادة الرزق ١٠ (العبادات) - خ ٢: البورصة
والحالة التأميرية على صغار المستثمرين .

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠٨-٠٥-١٦

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الأولى :

أيها الأخوة الأكارم، لازلنا في الموضوع المتسلسل الأسباب التي وردت في القرآن والسنة
من أجل زيادة الرزق، والإنسان حريص على حياته وحريص على رزقه وقد جعل الله الحياة
والرزق متغيرين، تتغير الحياة بالمرض ويتغير الرزق بالزيادة والقلّة.

تقنين الله على عباده تقنين تأديب لا تقنين عجز :

أولاً أيها الأخوة، لا يليق بكمال الله وقدرته وغناه أن يقنن على العباد تقنين عجز هذا شأن
البشر، نقل الموارد فيقننون، نقل الموارد فيرفعون الأسعار، نقل الطاقة فيقطعون التيار
الكهربائي، نقل المياه فيقطعون المياه، هذا شأن البشر لكن شأن خالق البشر أنه إذا قنن على عباده
تقنيه تقنين تأديب وتقنين تربية، لا تقنين عجز والدليل أن الله عز وجل يقول:

﴿ وَالْوِاسِقَاتُ عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقِينَاهُمْ مَاءً غَدَقًا لَنفْتَنَهُمْ فِيهِ ﴾

(سورة الجن)

﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمَنْ تَحْتِ
أَرْجُلِهِمْ ﴾

(سورة المائدة الآية: ٦٦)

﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾

(سورة الأعراف الآية: ٩٦)

خزائن كل شيء بيد الله سبحانه وتعالى :

التقنين إذا تقنين تأديب لا تقنين عجز والدليل:

﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ ﴾

(سورة الحجر)

دليل آخر:

﴿ وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ (٢٧) ﴾

(سورة الشورى)

إذاً كل شيء عند الله خزائنه، مرة كنت في العمرة وقعت تحت يدي مجلة علمية رصينة، طالعت فيها بحثاً لفت نظري، هذا البحث أنه تم اكتشاف سحابة في الفضاء الخارجي يمكن أن تملأ محيطات الأرض كلها ستين مرة في اليوم الواحد بالماء العذب:

﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ ﴾

(سورة الحجر)

الله عز وجل ثبت مليارات القوانين رحمة بالإنسان :

والحقيقة الثانية أيها الأخوة، أن الله عز وجل رحمة بنا ثبت مليارات القوانين، أنت تتركب الآن مصعداً، هذا الحبل الرفيع الذي يحمل هذه الغرفة بركابها ما الذي يجعلك تطمئن لركوب المصعد؟ خصائص الحديد الثابتة، الفولاذ المضفور أمتن عنصر في الأرض، أحياناً في مصاعد عبر الجبال غرفة كبيرة يركبها سبعون أو ثمانون إنساناً على حبل معلق، ما الذي يجعلك تطمئن؟ أن القوانين ثابتة، الشروق ثابت، الغروب ثابت، الحديد حديد، الفولاذ فولاذ، الذهب ذهب، الفضة فضة، البذور بذور، ثبات القوانين، ثبات الخصائص، ثبات السنن، من نعم الله العظمى صار في نظام، صار في استقرار، لكن الإنسان إذا غفل عن الله عز وجل الله العظمى صار في قضيتين كبيرتين، قضية الصحة وقضية الرزق، إذاً قد يحرم المرء بعض الرزق بالمعصية.

أسباب وفرة الرزق :

الآن في هذه الخطبة الحديث عن العبادات، الصلاة والصوم والحج والزكاة والصدقة، أي الصلاة والصوم والحج والزكاة أي الصدقة، نكتفي من هذه العبادات لا بتعريفاتها ولا بخصائصها ولا بأركانها ولا بواجباتها، نكتفي بالأدلة المتعلقة بأن هذه العبادات إذا أدت كان الرزق وافراً.

١ - الصلاة:

((كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا نزل بأهله الصيف أمرهم بالصلاة ثم قرأ ' { وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا }))

[رواه الطبراني في الأوسط ورجاله ثقات عبد الله بن سلام رضي الله عنه]

وفي بعض الأحاديث:

والنبي عليه الصلاة والسلام كان إذا حزبه أمر بادر إلى الصلاة.

هذه نصيحة من سيد الخلق، ضاق الرزق، الموارد قليلة، الأسعار ارتفعت، القلق عمّ، الحياة تكاد تتعطل، ارتفاع السعر:

((كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا نزل بأهله الصيف أمرهم بالصلاة ثم قرأ ' { وَأْمُرْ أَهْلَكَ
بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا }))

[رواه الطبراني في الأوسط ورجاله ثقات عبد الله بن سلام رضي الله عنه]

وكان عليه الصلاة والسلام إذا أصابته خصاصة أي فقر نادى أهله يا أهلاه صلوا صلوا. هذه نصيحة ما في وظيفة الطرق مسدودة، الأبواب مغلقة، قدمت لأعمال كثيرة كلها رفضت، بادر إلى الصلاة اسأل ربك رزقاً وفيراً، تعامل معه مباشرة، اسأله.

٢ - الصيام:

أيها الأخوة، ننتقل إلى الصيام:

((خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في آخر يوم من شعبان، فقال: أيها الناس قد أظلمكم شهر عظيم، شهر مبارك، شهر فيه ليلة خير من ألف شهر، جعل الله صيامه فريضة، وقيام ليله تطوعاً، من تقرب فيه بخصلة من الخير، كان كمن أدى فريضة فيما سواه، ومن أدى فيه فريضة، كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه - دققوا الآن - وهو شهر الصبر، والصبر ثوابه الجنة، وشهر المواساة (تواسي إخوانك الفقراء)، وشهر يزداد فيه رزق المؤمن (أنت بالصيام أيضاً تستدر الرزق من الله عز وجل)، من فطر فيه صائماً كان مغفرة لذنوبه، وعتق رقبته من النار، وكان له مثل أجره من غير أن ينتقص من أجره شيء. قالوا: ليس كلنا نجد ما يفطر الصائم. فقال: يعطي الله هذا الثواب من فطر صائماً على تمر، أو شربة ماء، أو مذقة لبن،.. ومن أشبع فيه صائماً، سقاه الله من حوضي شربة لا يظمأ حتى يدخل الجنة . وهو شهر أوله رحمة، وأوسطه مغفرة، وآخره عتق من النار، من خفف عن مملوكه غفر الله له، وأعتقه من النار، واستكثروا فيه من أربع خصال: خصلتين ترضون بهما ربكم، وخصلتين لا غنى بكم عنهما، فأما الخصلتان اللتان ترضون بهما ربكم، فشهادة أن لا إله إلا الله، وتستغفرونه، وأما اللتان لا غنى بكم عنهما، فتسألون الله الجنة، وتعوذون به من النار، ومن أشبع فيه صائماً، سقاه الله من حوضي شربة لا يظمأ حتى يدخل الجنة))

[إسناده ضعيف ورد في صحيح ابن خزيمة في باب فضائل شهر رمضان عن سلمان الفارسي]

صار الصلاة والصيام أحد أسباب وفرة الرزق، لذلك:

((إن الله تعالى قال يا موسى إني افترضت الصيام على عبادي، يا موسى جعلت ثوابكم من صيامكم أن أعتقكم من النار، وأن أحاسبكم حساباً يسيراً، وما عشتم في أيام الدنيا أن أوسع لكم الرزق وأخلف لكم من النفقة وأفيلكم من العثرة))
لكن طبعاً الصيام الذي أراده الله، أما الصيام الحديث صيام السهر على المسلسلات، صيام الاختلاط والولائم والسهر حتى الفجر، ليس هذا الصيام الذي أراده الله عز وجل الصيام كعبادة.

٣ - الحج :

أيها الأخوة، والحج:

((تَابِعُوا بَيْنَ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ، فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ الذُّنُوبَ وَالْفَقْرَ، كَمَا يَنْفِي الْكَبِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ وَالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، وَلَيْسَ لِحَجَّةٍ مَبْرُورَةٍ ثَوَابٌ إِلَّا الْجَنَّةُ))

[أخرجه الترمذي صحيح عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه]

و:

((تَابِعُوا بَيْنَ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ فَإِنَّ مَتَابَعَةَ مَا بَيْنَهُمَا تَزِيدُ فِي الْعُمْرِ وَالرِّزْقِ وَيَنْفِيَانِ الْفَقْرَ وَالذُّنُوبَ كَمَا يَنْفِي الْكَبِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ))

[رواه أحمد والطبراني في الكبير عن عامر بن ربيعة رضي الله عنه]

وقوله صلى الله عليه وسلم تنفيان الفقر أي تزيلانه وهو يحتمل أن يكون الفقر الظاهر.
أيها الأخوة،

((كثرة الحج والعمرة تمنع العيلة))

[عن أم سلمة]

خدمة الناس تعد من أرقى العبادات :

لكن أنا أريد أن أبين بعض الانزلاقات، أحياناً إنسان عنده أولاد لا يزوجهم وعنده واجبات لا يؤديها لكنه مغرم أن يحج كل عام، نقول له: لا، الحج مرة في العمر وكل خمس سنوات مرة لا يوجد مانع، أما أن تهمل أولادك، أن تعيق زواجهم، أن تقصر في واجباتك، يقول بعض الفقهاء: للإمام الحق أن يمنع نافلة أدت إلى ترك فريضة.

ابن المبارك حينما رأى طفلة صغيرة تأخذ طيراً ميتاً من القمامة وتعود إلى البيت به تحقق من الموضوع، فإذا أسرة تكاد تموت من الجوع، تأكل من القمامة ما كان ميتاً، أعطى هذه الأسرة كل ما يملك وعاد ولم يحج، هكذا فهم العبادة.

((لأن أمشي مع أخ في حاجة خير لي من أن أعتكف في مسجدي هذا))

[الطبراني عن ابن عمر]

ترك دانق من حرام خير من ثمانين حجة بعد حجة الإسلام، حينما تفهم الدين على أن خدمة الناس تساوي أرقى العبادات والقصة معروفة ذكرتها كثيراً، كان ابن عباس رضي الله عنهما معتكفاً في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى في المسجد رجلاً تبدو عليه الكآبة، فسأله مالك؟ فقال: ديون لزممتي ما أطيق سداها، فقال ابن عباس: لمن؟ فقال لفلان، فقال ابن عباس أتحب أن أكلمه لك؟ فقال الرجل إذا شئت، فقام ابن عباس ليخرج من معتكفه، فقال أحد المعتكفين: يا بن عباس أنسيت أنك معتكف؟ فقال ابن عباس: لا والله ما نسيت ولكني سمعت صاحب هذا القبر يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم، والعهد به قريب، ودمعت عيناه سمعته يقول:

((والله لأن أمشي مع أخ في حاجته، خير لي من صيام شهر واعتكافه في مسجدي هذا))

[الطبراني عن ابن عمر]

العبادات من أسباب زيادة الرزق إذا أديت بما يرضي الله عز وجل :

حينما تفهم الدين فهماً آخر، حينما تفهم أن ترك دانق من حرام خير من ثمانين حجة بعد الإسلام، أنا أقول إن الصلاة التي أَرادها الله، أي صلاة تزيد الرزق؟ حينما قال النبي عليه الصلاة والسلام:

((أَتَدْرُونَ مَنْ الْمُفْلِسُ؟ قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ لَأَ لَهُ دِرْهَمٌ وَلَا دِينَارٌ وَلَا مَتَاعٌ، قَالَ: الْمُفْلِسُ مَنْ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ يَأْتِي بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ عَرَضَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيَقْعُدُ فَيَقْتَصُّ هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أَخَذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ))

[مسلم عن أبي هريرة]

الصلاة التي معها استقامة، معها وقوف عند الحلال والحرام، معها التزام كامل، الصلاة حينما تكون تاجاً يكون الالتزام أخلاقياً.

أي صيام؟

((من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه))

[متفق عليه عن أبي هريرة]

لكن الله عز وجل لا يرضى منا أن نصوم وأن نكذب، أن نصوم وأن نغتاب:

((من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه))

[أخرجه البخاري وأبو داود والترمذي وابن ماجه عن أبي هريرة]

((كم من صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش))

[أخرجه النسائي وابن ماجه من حديث أبي هريرة]

أي حج ؟ الحج الحلال بمال حلال:

((من حج بمال حرام، ووضع رجله في الركاب، وقال: لبيك اللهم لبيك ينادى أن لا لبيك ولا

سعديك وحجك مردود عليك))

[ورد في الأثر]

٤ - الزكاة:

هذا الصيام والصلاة والحج والزكاة:

﴿ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَلَ مِنْكُمْ إِنْكُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ {٥٣} ﴾

(سورة التوبة الآية: ٥٣)

من أدى الصلاة والصيام والحج والزكاة بما يرضى الله وسع له في رزقه :

اعذروني أنا أذكر هذه الاستثناءات لأن الصلاة التي يرضى الله عنها والتي يقبلها:
((ليس كل مصل يصلي، إنما أتقبل صلاة ممن تواضع لعظمتي، وكف شهواته عن محارمي،
ولم يصر على معصيتي، وأطعم الجائع، وكسا العريان، ورحم المصاب، وآوى الغريب كل ذلك
لي))

[أخرجه الديلمي عن حارثة بن وهب]

هذه الصلاة التي أرادها الله عز وجل، الصلاة كما ينبغي تزيد في الرزق:

﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ (١٣٢) ﴾

(سورة طه)

أي صيام ؟

((من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه))

[متفق عليه عن أبي هريرة]

((من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه))

[متفق عليه عن أبي هريرة]

((مَنْ حَجَّ لِلَّهِ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ كَيَوْمٍ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ))

[متفق عليه أبي هريرة رضي الله عنه]

أيها الأخوة الكرام، عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: قال عليه الصلاة والسلام:
((كثرة الحج والعمرة تمنع العيلة))، والعيلة هي الفقر و:

((...صوموا تصحوا وسافروا تستغنوا))

[رواه الطبراني عن أبي هريرة]

ولا أزال أذكر هذا الحديث بشكل كثيف إن العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه.

محل تجاري في غض بصر عن النساء مرزوق، محل تجاري في إطلاق بصر، في حديث غزل مع النساء، هذا المحل لا يرزق، أي صناعة شرعية صاحبها مرزوق وإلا الله عز وجل كما أنه قادر إذا أعطى أدهش قادر إذا أخذ أدهش.

ما خالطت الصدقة مالاً إلا أفسدته :

الآن الصدقة، أيها الأخوة:

((ما خالطت الصدقة - أو قال: الزكاة - مالاً إلا أفسدته))

[رواه البزار عن عائشة]

يوجد مال لم تدفع زكاته، الآن في مئة وسيلة حريق، مصادرة، ضريبة فوق طاقة الإنسان، يوجد أناس كلفوا بالضرائب تكليفاً سببت لهم هذه التكاليف أزمة قلبية وماتوا فيها، الله عز وجل عنده أدوية لا تعد ولا تحصى، الذي يبخل هناك إتلاف للمال بطريقة أو بأخرى.

((ما خالطت الصدقة - أو قال: الزكاة - مالاً إلا أفسدته))

[رواه البزار عن عائشة]

الدار مرهونة بجزر مغتصب فيها، حجر مغتصب بالدار رهن بخراجه، ومال فيه زكاة لا تؤدي هذا المال قد يتلف.

((حصنوا أموالكم بالزكاة وداووا مرضاكم بالصدقة وأعدوا للبلاء الدعاء))

[رواه الطبراني عن عبد الله بن مسعود]

وقوله حصنوا أموالكم بالزكاة أي بإخراجها فإنه كما قال عليه الصلاة والسلام دققوا: ما تلف مال في بر أو بحر إلا بحبس الزكاة، وعندني والله مئات القصص.

الصدقة تطوع والزكاة فريضة :

الآن ننتقل إلى موضوع الصدقة، تحدثت عن الزكاة، والزكاة في القرآن جاءت باسم صدقة:

﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ (١٠٣) ﴾

(سورة التوبة)

أي تؤكد صدقهم، وجاءت باسم الزكاة، أما الصدقة لها معنى آخر والدليل:

﴿ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ (١٧٧) ﴾

(سورة البقرة)

وبعد ذلك:

﴿ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ (١٧٧) ﴾

(سورة البقرة)

إيتاء الزكاة شيء ودفع الصدقة شيء آخر، الصدقة تطوع، والزكاة فريضة.

الصدقة قرض لله عز وجل سيضاعفه لك أضعافاً كثيرة :

الله عز وجل يقول في موضوع الصدقة:

﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾

(سورة البقرة الآية: ٢٤٥)

أي عمل صالح كلفك مالاً وأنت قد دفعت زكاة مالك هذا من الصدقة، هو قرض لله عز وجل، والله عز وجل سوف يرد لك هذا القرض أضعافاً مضاعفة، هذا أقوى دليل، وفي حديث آخر يقول عليه الصلاة والسلام في بعض خطبه:

((يَا أَيُّهَا النَّاسُ تَوَبُّوا إِلَى اللَّهِ قَبْلَ أَنْ تَمُوتُوا وَبَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ قَبْلَ أَنْ تُشْغَلُوا وَصَلُّوا الَّذِي بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ رَبِّكُمْ بِكَثْرَةٍ ذَكَرَكُمْ لَهُ وَكَثْرَةَ الصَّدَقَةِ فِي السِّرِّ وَالْعَنَانِيَةِ تَرْزُقُوا وَتَنْصَرُوا وَتُجْبِرُوا))

[ابن ماجه عن جابر بن عبد الله]

المنفق يخلف الله عليه أضعافاً مضاعفة والممسك يتلف الله ماله :

الآن الصدقة أحد أسباب زيادة الرزق كما قال بعض الشعراء: وداوها بالتي كانت هي الداء. أنت فقير ادفع صدقة على نية أن ترزق، والآية الكريمة:

﴿ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ ﴾ (٣٩)

(سورة سبأ)

أما الشيطان:

﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٢٦٨) ﴾

(سورة البقرة)

النبى صلى الله عليه وسلم قال لقيس بن سلع الأنصاري رضي الله عنه أنفق ينفق الله عليك ثلاث مرات.

((مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ إِلَّا مَكَانٌ يَنْزِلَانِ فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلْفًا وَيَقُولُ الْآخَرُ اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلْفًا))

[منفق عليه عن أبي هريرة رضي الله عنه]

المنفق يخلف الله عليه أضعافاً مضاعفة والممسك يتلف ماله:

((إِنَّ مَلَكًا بِيَابٍ مِنْ أَبْوَابِ السَّمَاءِ يَقُولُ مَنْ يُقْرِضُ الْيَوْمَ يُجْزَى عَدَاً وَمَلَكًا بِيَابٍ آخَرَ يَقُولُ اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلْفًا وَعَجَلٍ لِمُمْسِكٍ تَلْفًا))

[منفق عليه عن أبي هريرة رضي الله عنه]

النبى صلى الله عليه وسلم في حديث صحيح يخاطب أبا بكر الصديق يقول له:

((ثَلَاثَةٌ أَفْسِمُ عَلَيْهِنَّ وَأُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا فَاحْفَظُوهُ قَالَ: مَا نَقَصَ مَالُ عَبْدٍ مِنْ صَدَقَةٍ وَلَا ظَلَمَ عَبْدٌ مَظْلَمَةً فَصَبِرَ عَلَيْهَا إِلَّا زَادَهُ اللَّهُ عِزًّا وَلَا فَتَحَ عَبْدٌ بَابَ مَسْأَلَةٍ إِلَّا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ بَابَ فَقْرٍ))

[حديث حسن صحيح عن أبي كبشة الأماري]

من تصدق مبتغياً وجه الله عز وجل زاده الله كثرة :

عندما يأخذ قراراً يمد يده و يسأل الناس وليس مضطراً ضرورة قصوى، إذا جعل من السؤال طريقاً للرزق فتح الله عليه باب فقر.

وما فتح رجل على نفسه باب صدقة يبتغي بها وجه الله إلا زاده الله كثرة.
وفي الحديث القدسي عدي:

((أَنْفَقُ أَنْفَقُ عَلَيْكَ))

[منفق عليه أبي هريرة رضي الله عنه]

وفي حديث آخر:

((قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَنْفَقُ أَنْفَقُ عَلَيْكَ، وَقَالَ يَدُ اللَّهِ مَلَأَى لَنَا تَغْيِضُهَا (أي لا تنقصها) نَفَقَةً سَخَاءً (أي مستمرة) اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ))

[منفق عليه أبي هريرة رضي الله عنه]

النبى صلى الله عليه وسلم يخاطب أسماء بنت أبي بكر:

((لَأُتَوَكَّى فَيُوكَى عَلَيْكَ))

[متفق عليه عن أسماء رضي الله عنها]

يعني المال بكيس أحياناً يربط الكيس، يا أسماء لَأُتَوَكَّى فَيُوكَى عَلَيْكَ قَلل يقلل عليك.

من أنفق ماله بلا حساب أعطاه الله بلا حساب :

قصة رمزية لعلي ذكرتها في بيت بأحد أحياء دمشق في ليمونة تحمل أكثر من خمسمئة حبة، لكن بهذا البيت امرأة صالحة جداً ما طرق أحد باب هذا البيت وطلب حبة إلا لبت رغبته منذ أربعين سنة، توفيت هذه المرأة الصالحة وجاءت زوجة ابنها أول سائل طردته بعد هذا يبست هذه الليمونة، شيء عجيب أعرف منطقة فيها سبع عشرة مزرعة كان الرعيان يدخلون أغنامهم إلى هذه المزارع، الكل أغلق الأبواب وطرد الرعاة إلا مزرعة واحدة بنت لهم ساقية لشرب الغنم، يقسم لي أحد أقربائي بالله أن سبع عشرة مزرعة جفت آبارها إلا هذه المزرعة التي كان صاحبها يسقي منها الأغنام.

((لَأُتَوَكَّى فَيُوكَى عَلَيْكَ))، لا تبخل، إذا أعطى أدهش، وفي رواية يا أسماء أنفقي ولا تحصي فيحصي الله عليك، أنفق بلا حساب وعندئذ يعطيك الله بلا حساب، هذا رأي شخصي لأحد العارفين بالله قال: الذي يأذن لزوجته بالتصدق بما جرت به العادة هذا مرزوق طبعاً، ليس من حق الزوجة أن تتصدق بمال زوجها إلا بإذنه، لكن في أزواج عندهم كرم إلا إذا في سائل أعطيه، طبعاً بالمعقول، أحياناً سائل يسأل رغيف خبز، حاجة طعام، فالزوجة التي يأذن زوجها لها أن تتصدق من ماله بحسب اجتهادها هذا زوج صالح ولعل الله عز وجل يرزقه رزقاً وفيراً.

مشكلات الإنسان من صنعه و بإمكانه أن يزيلها بتأدية العبادات كما أراده الله تعالى :

أيها الأخوة الكرام، ذكرت في هذه الخطبة الصلاة التي أراده الله، والصيام الذي أراده الله، والحج الذي أراده الله، والزكاة التي أراده الله، العبادات الشعائرية أحد أسباب الرزق، بل أحد أسباب زيادات الرزق، والأمر بين أيديكم والإنسان مخير، ودائماً مشكلة الإنسان منه وبيده أن يزيلها.

في الأعم الأغلب مشكلتك منك وبيدك أن تزيلها بطاعة الله والصلح معه، وأصعب مشكلة يواجهها العالم اليوم مشكلة والله مفتعلة صدقوا كيف مفتعلة؟ أنت أحياناً في نظام اقتصادي متى ترتفع الأسعار عشرة أضعاف؟ في عندنا احتماليين اقتصاديين أن يزداد المستهلكون عشرة أمثال، أو أن يقل الإنتاج إلى العشر فقط، أما بلا سبب الأرض هي هي، والأرزاق هي هي، والثروات الزراعية هي هي، والأمطار هي، والبشر هم هم، فجأة في أي مكان في العالم الآن خمسة أضعاف عشرة أضعاف، ما الذي حصل؟ في أدمغة مخططة لإيقاع الفقر في البشر حتى يبقوا هم

المسيطرون، دائماً في إحصاء أن عشرة بالمئة من سكان الأرض تملك تسعين بالمئة الآن من ثروات الأرض.

((تمتلئ الأرض ظلماً وعدواناً))

[ابن ماجه عن عبد الله بلفظ قريب منه]

من استثمر ماله بطريقة غير شرعية دمره الله دماراً كاملاً :

أوضح مثل أضعه بين أيديكم طبعاً هذا المثل صدر فيه قرار من مجمع الفقه الإسلامي سوق البورصة، الحديث الآن ليس عن شرعيته موضوع طويل لكن ما الذي يحصل ؟ هناك حيتان في هذه الأسواق يطرحون أسهمهم فجأة الأسعار تهبط، أما صغار المستثمرين الذي معه مليون، خمسمئة ألف، لا يملك سواهم، يرى الأسعار بدأت تهبط يخاف يعرض أسهمه للبيع، يزداد السعر هبوطاً إلى أن يصل السعر إلى النهاية الصغرى، هؤلاء الحيتان يشترون كل هذه الأسهم بهذه الطريقة، يأخذون من صغار المستثمرين كل أموالهم، يعني خمسة آلاف مليون تنتقل من صغار المستثمرين إلى الحيتان، وبعدئذ يرفعون الأسعار، هذه اللعبة تتم كل عدة أشهر في بعض البلاد الإسلامية دخل للمستشفيات سبعة وثلاثين ألف إنسان، بسبب البورصة في ستين مليار خسر الناس، يوجد دراسة عندي أن كل أموال النفط استردها الغربيون بسوق البورصة، يعطوك ثمن النفط هذه السداجة بعقول المسلمين، أنت تحت رحمتهم يرفعوا السعر تفرح، ثم ينزل السعر تخاف تباع، هذه لعبة تتم كل شهرين ثلاثة مرة، الذهب يطلع، مرة ينزل، وصل برميل النفط بعمل مفتعل إلى دون تكلفته أذكر تماماً تكلفة استخراج البرميل ثمانية ونصف دولار، وصل إلى ستة ونصف، اليوم مئة وعشرين، النفط قل ؟ ما قل، الاستهلاك زاد ؟ لا ما زاد، لكن في حيتان تلعب بهذه المقاييس ونحن تابعون لهم هذه مشكلة، أكثر الناس وضعوا مالهم في البورصة، مسكين قلبه واقف، يتابع الأسعار، اعمل عملاً شريفاً يؤكد جهدك وذكاءك لا أن تبقى تحت رحمتهم، تحت رحمة الاتصالات الهاتفية كم السعر اليوم ؟

أيها الأخوة الكرام، المال قوام الحياة، والله عندي قصص لا تعد ولا تحصى عن دمار إنسان دماراً كاملاً، لأنه حينما استثمر ماله بطريقة غير مشروعة لم يستشر ولم يسأل.

أيها الإخوة الكرام، حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم، واعلموا أن ملك الموت قد تخطانا إلى غيرنا، وسيخطئ غيرنا إلينا، فلنخذ حذرنا، الكيس من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله الأماني، والحمد لله رب العالمين.

* * *

الخطبة الثانية :

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله صاحب الخلق العظيم، اللهم صلّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

تأمر البورصة على صغار المستثمرين :

أيها الأخوة الكرام، التعليق على أسواق البورصة ليس حكماً شرعياً في قسم حلال، لكن الآن ليس الموطن موطن شرح تفاصيل الأحكام الشرعية أما الذي يحصل هكذا، هناك قرار من مجمع الفقه الإسلامي يصف هذه الحالة التأميرية على صغار المستثمرين ودائماً الحيتان يزدادون غنى، و متوسط الدخل بهذه الأنظمة الغربية على حياتنا يزدادون فقراً.

أيها الأخوة الكرام، الرزق بيد الله وأنت حينما تطيع الله عز وجل في كسب الرزق فالقوانين ثابتة، أما إذا صار في توجه إلى مخالفة الشرع في كسب الرزق، في مطبات كثيرة جداً، مطبات كبيرة وساحقة، مرة شركة استثمارية لبعض البلاد العربية المبالغ التي خسرتها العقل لا يصدقها ودمرت كل المودعين فيها، إذا كانت شركة غير منهجية، قوامها غير صحيح، غير شرعي، فاحذر أن تكون أحد الضحايا، والضحايا أكثر.

والحمد لله رب العالمين

خطبة الجمعة - الخطبة ١٠٧٤ : خ ١ - أسباب زيادة الرزق ١١ (قراءة القرآن الكريم) - خ ٢ :
العبادة (عبادة الهوية وعبادة الظرف) .

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠٨-٠٥-٢٣

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الأولى :

الأسباب التي وردت بها آيات قرآنية أو نصوص نبوية صحيحة في زيادة الرزق :

أيها الأخوة الأكارم، لازلنا في الموضوع المتسلسل الأسباب التي ورد بها نص قرآني أو نبوي صحيح في زيادة الرزق، ولأن الإنسان أي إنسان حريص على حياته وعلى رزقه، وهناك مؤشرات على مستوى العالم كله أن هناك محاولة لإفكار الشعوب لصالح الحيتان الكبيرة في العالم الغربي، والإنسان حينما يجوع يضعف، وقد قال الإمام علي رضي الله عنه: كاد الفقر أن يكون كفراً.

لذلك لازلنا في هذا الموضوع حول الأسباب التي وردت بها آيات قرآنية أو نصوص نبوية صحيحة في زيادة الرزق.

١ - قراءة القرآن الكريم:

من هذه الأسباب قراءة القرآن الكريم، وقد يعجب السامع ما علاقة قراءة القرآن الكريم
بزيادة الرزق ؟

يقول النبي صلى الله عليه وسلم:

((إن البيت الذي يقرأ فيه القرآن يكثر خيره))

[رواه البزار عن أنس بن مالك رضي الله عنه]

ويوسع على أهله وتحضره الملائكة وتهجره الشياطين. هل هناك أوضح من ذلك ؟

((والبيت الذي لا يقرأ فيه القرآن يقل خيره))

[رواه البزار عن أنس بن مالك رضي الله عنه]

يضيق على أهله ويقل خيره وتهجره الملائكة وتحضره الشياطين.

إنك إذا قرأت القرآن الكريم اقتربت من الله، وإذا اقتربت منه اقتربت من طاعته وإذا أطعته كافأك بسعة الرزق:

((إن القرآن غني لا فقر بعده ولا غنى دونه))

[رواه أبو يعلى وفيه يزيد بن أبان الرقائشي وهو ضعيف عن أنس بن مالك رضي الله عنه]

وروى الإمام الغزالي قصة أن رجلاً لازم باب عمر رضي الله عنه، ضاق به ذرعاً قال يا هذا هاجرت إلى عمر أم إلى الله؟ هذه المشكلة تقع في كل وقت، إنسان ينسى الله يرى الشيخ كل يوم كل يوم، استقمت ما صار معي شيء، أدت الصلوات الخمس وقيام الليل ما ارتزقت، لا يرى الله يرى الشيخ، هذا خطأ كبير، قال هاجرت إلى عمر أم إلى الله؟ تعلم القرآن فإنه يغنيك عن بابي، فغاب حتى ففده عمر فوجده يتعبد فقال قرأت القرآن فأغناني عن عمر، فقال وما وجدت فيه؟ قال وفي السماء رزقكم وما توعدون، فبكى عمر رضي الله عنه.

أول نقطة في هذه الخطبة أن قراءة القرآن توسع الرزق.

٢ - الصلاة على النبي عليه الصلاة والسلام:

البند الثاني الصلاة على النبي عليه الصلاة والسلام، أيها الأخوة، أحد أصحاب رسول الله سُمرة رضي الله عنه قال كنا عند النبي عليه الصلاة والسلام إذ جاءه رجل فقال يا رسول الله ما أقرب الأعمال إلى الله عز وجل؟ قال: صدق الحديث وأداء الأمانة، قلت: يا رسول الله زدنا، قال صلاة الليل وصوم الهواجر، قلت: يا رسول الله زدنا قال: كثرة الذكر والصلاة على تنفي الفقر، قلت يا رسول الله زدنا قال من أم قوم فليخفف فإن فيهم الكبير والعليل والضعيف وذا الحاجة. وفي حديث آخر:

((من قرأ القرآن وحمد الرب وصلى على النبي عليه الصلاة والسلام فقد طلب الخير من مكانه))

[ورد في الأثر]

أنت حينما تصلي على النبي، تذكر كماله، تذكر ورعه، تذكر استقامته، تذكر حبه لله، فإذا اقتديت به وسع الله عليك في الرزق.

حديث آخر:

((عن أبي بن كعب رضي الله عنه: قلت: يا رسول الله، إنني أكثر الصلاة عليك، فكم أجعل لك من صلاتي؟ قال: ما شئت، قلت: الربع؟ قال: ما شئت، وإن زدت فهو خير لك، قلت: النصف؟ قال: ما شئت، وإن زدت فهو خير لك، قلت: الثلثين؟ قال: ما شئت وإن زدت فهو خير لك، قلت: أجعل لك صلاتي كلها؟ قال: إذن تكفي همك، ويغفر لك ذنبك))

[أخرجه الترمذي عن أبي بن كعب رضي الله عنه إسناده حسن]

هذا كلام المعصوم، هذا كلام سيد الأنبياء والمرسلين، هذا كلام الذي لا ينطق عن الهوى.

من أيقن بالموت رضي بما هو فيه :

أيها الأخوة، يوجد مفهوم سلبي كي ترضى بالرزق قال ذكر الموت، مرّ النبي عليه الصلاة والسلام بمجلس من مجالس الأنصار رآهم يمزحون ويضحكون، طبعاً مزاحاً بريئاً ومشروعاً لكنه أراد أن يعظهم، قال:

((أكثروا ذكر هادم اللذات - يعني الموت - فإنه ما كان في كثير إلا قلله، ولا قليل إلا جزأه))

[رواه الطبراني عن عبد الله بن عمر]

أنت حينما تفكر أن نهاية الحياة الموت، وأنه ينتقل المرء من القصر إلى القبر فإذا كان في بحبوحة كبيرة رآها زائلة، وإن كان في قلة رآها مؤقتة.

لذلك ورد في بعض خطب النبي عليه الصلاة والسلام: أن هذه الدنيا دار التواء لا دار استواء، ومنزل ترح لا منزل فرح، فمن عرفها لم يفرح لرخاء، ولم يحزن لشقاء.

لا يدخل ذكر الموت بيتاً إلا رضي أهله بما قسم لهم.

يعني بالنهاية،

((من أصبح منكم آمناً في سربه،))

يعني ما في عليه مذكرة بحث غير ملاحق، غير مطلوب للعدالة.

((من أصبح منكم آمناً في سربه، معافى في جسده، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا

بحدافيرها))

[أخرجه البخاري والترمذي وابن ماجه عن عبد الله بن محسن]

هذا البند في الخطبة طابعه سلبي، إنك إن أيقنت أنك سوف تموت ترضى بما أنت فيه.

أيها الأخوة، أحد أسباب زيادة الرزق عدم النوم بعد صلاة الفجر فقد قال عليه الصلاة والسلام:

((الصبحة تمنع الرزق))

[رواه أحمد وفيه إسحاق بن أبي فروة وهو ضعيف عن عثمان رضي الله عنه]

وفي رواية تمنع بعض الرزق، والحديث المألوف والمشهور:

((بورك لأمتي في بكورها))

[رواه أبو يعلى والطبراني في الكبير عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه]

أرخصُ شيء عند المسلمين الوقت و أثقلُ شيء عند الغرب العمل :

الذي يؤلم أشد الألم أن الغربيين في أوروبا وفي أمريكا وأستراليا تبدأ الحركة الكثيفة بدءاً من الساعة الخامسة صباحاً، كنت قبل أسبوع في مدينة في فرنسا والله الساعة التاسعة مساءً ما وجدت إنساناً في الطريق، ولا إنسان في مدينة كبيرة ينامون باكراً لترتاح أجسامهم وينهضون باكراً إلى أعمالهم ليركزوا في أعمالهم، نحن أحق بهذا منهم، نحن للساعة الواحدة، اثنتين، ثلاثة، لا يوجد شيء يبدأ قبل الساعة الثانية عشرة ثاني يوم لا في المكاتب ولا في المحلات التجارية، كل شيء إلى الآن لم يأت المعلم، الساعة الثانية عشر ما في حركة، هؤلاء الذين يعمل الواحد منهم ثماني ساعات في بلاد نامية لا يعمل الإنسان أكثر من سبع وعشرين دقيقة وفي بلد آخر سبع عشرة دقيقة وفي بلد آخر أقل من دقيقة، لا تصدق أن تستطيع أمة يعمل أفرادها بالدقائق أن تنتصر على أمة يعمل أفرادها ثماني ساعات يومياً، فلذلك أحد أسباب زيادة الرزق عدم النوم بعد صلاة الفجر، أنا لا أمنع هذا إطلاقاً لا يوجد حكم شرعي، إذا إنسان صلى الفجر في جماعة واستلقى ساعة أو ساعتين، المقصود أن تباكر إلى الرزق.

بين صلاة الفجر وطلوع الشمس وقت بركة و تجل و رحمة :

أحد علماء دمشق ألف أكبر موسوعة فقهية عشرين جزءاً في الفقه تقريباً وأكبر موسوعة في تفسير القرآن أقسم لي بالله أن هذين الكتابين الكبيرين ألفهما ما بين الساعة الرابعة صباحاً والساعة الثامنة.

وأنا أقول لكم والله الذي أنجزه أحياناً بعد صلاة الفجر إلى الساعة الثامنة يزيد عن أربعة أضعاف ما أنجزه أثناء اليوم. بورك لأمتي في بكورها.

عود نفسك أن تتام باكراً، تتام باكراً تستيقظ على صلاة الفجر وكأنك حصان، هذا وقت
البركة، وقت التجلي، وقت الرحمة

((وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي الْعَنَمَةِ وَالصَّبْحِ لَأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبَوًّا))

[متفق عليه عن أبي هريرة]

((من صلى الفجر في جماعة فهو في ذمة الله حتى يمسي، ومن صلى العشاء في جماعة فهو
في ذمة الله حتى يصبح))

[أحمد]

السيدة فاطمة مرّ بها النبي عليه الصلاة والسلام وهي مضجعة فقال يا بني قومي أشهدي
رزق ربك ولا تكوني من الغافلين، فإن الله يقسم أرزاق الناس ما بين طلوع الفجر إلى طلوع
الشمس.

مرة ينبغي أن ألتقي مع إنسان قال الساعة السادسة صباحاً في مكتبه لفت نظري الساعة
السادسة صباحاً ! هذا وقت لم يألف الناس أن يلتقوا به، قال: أنا كنت صغيراً وكان أبي يوقظني
لصلاة قيام الليل كل يوم، فألفت هذه العادة أنا قبل الفجر بساعة أستيقظ وأبقى إلى المساء وأنام
باكراً.

لو أخذ إنسان قراراً بالسهرة، قيل وقال وكلام فارغ وغيبية ونميمة حتى الساعة الواحدة في
معظم الأيام تقوته صلاة الفجر، وإذا إنسان فاتته صلاة الفجر كم بال الشيطان في أذنه وفي حديث
يقول عليه الصلاة والسلام: إذا صليتم الفجر فلا تناموا عن طلب أرزاقكم فإن هذه الأمة قد بورك
لها في بكورها.

والدعاء النبوي اللهم بارك لأمتي في بكورها، وكان عليه الصلاة والسلام إذا بعث سرية أو
جيشاً بعثهم أول النهار.

لا تناموا على طلب أرزاقكم فيما بين صلاة الفجر وطلوع الشمس، باكروا طلب الرزق
والحوائح فإن الغدو بركة ونجاح.

٤ - التوسعة على الأهل:

أيها الأخوة، بند آخر من أسباب زيادة الرزق التوسعة على الأهل، التوسعة على العيال أحد
أسباب زيادة الرزق، يقول عليه الصلاة والسلام: إن مفاتيح الرزق بإزاء العرش ينزل الله للعباد
أرزاقهم على قدر نفقاتهم.

من يوسع على من حوله يوسع الله عليه، الذي يتولى ما تحتاجه أخواته الفقيرات يوسع الله عليه، الذي يتولى جيرانه يوسع الله عليه، الذي يتولى الفقراء والمساكين يوسع الله عليه، بقدر ما تتفق يأتيك الرزق، تضيق يضيق عليك، توسع يوسع عليك.

الله عز وجل يرزق عباده على قدر نفقاتهم :

ينزل الله للعباد أرزاقهم على قدر نفقاتهم فمن كثر الله له، ومن قل الله له والحديث القدسي:

((قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَنْفَقْ أَنْفَقْ عَلَيْكَ، وَقَالَ يَدُ اللَّهِ مَلَأَى لَنَا تَغْيِضُهَا (أَي لَا تَنْقُصُهَا) نَفَقَةً سَخَاءً (أَي مُسْتَمِرَّةً) اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ))

[متفق عليه أبي هريرة رضي الله عنه]

حديث آخر:

وبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الزبير إمساك فجذب عمامته إليه فقال:

((يَا بَنَ الْعَوَامِ أَنَا رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكَ وَإِلَى الْخَاصِّ وَالْعَامِّ، يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَنْفَقْ أَنْفَقْ عَلَيْكَ وَلَا تَرُدْ فَيَسْتَدَّ عَلَيْكَ الطَّلَبُ، إِنْ فِي هَذِهِ السَّمَاءِ بَابًا مَفْتُوحًا يَنْزِلُ فِيهِ رِزْقٌ كُلِّ امْرَأٍ بِقَدْرِ نَفَقَتِهِ أَوْ صَدَقَتِهِ وَنِيَّتِهِ، فَمَنْ قَلَّ قَلَّ لَهُ وَمَنْ كَثَرَ كَثَرَ لَهُ))

[كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال عن ابن عباس]

وفي حديث آخر عن عمران بن حصين قال:

((أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِطَرْفِ عِمَامَتِي فَقَالَ: يَا عِمْرَانُ إِنْ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَحِبُّ الْإِنْفَاقَ وَيَبْغِضُ الْإِقْتَارَ، فَأَنْفَقْ وَأَطْعَمْ، وَلَا تَصْرُ صِرًا فَيَعْسِرَ عَلَيْكَ الطَّلَبُ))
((السَّخَاءُ شَجَرَةٌ مِنْ أَشْجَارِ الْجَنَّةِ أَغْصَانُهَا مُتَدَلِّياتٌ فِي الدُّنْيَا فَمَنْ أَخَذَ بَعْصَنَ قَادَهُ ذَلِكَ الْغَصْنَ إِلَى الْجَنَّةِ، وَالْبَخْلُ شَجَرَةٌ مِنْ شَجَرِ النَّارِ أَغْصَانُهَا مُتَدَلِّياتٌ فِي الدُّنْيَا فَمَنْ أَخَذَ بَعْصَنَ مِنْهَا قَادَهُ ذَلِكَ الْغَصْنَ إِلَى النَّارِ))

[رواه الدار قطن في الأفراد، والبيهقي عن علي، وابن عدي عن أبي هريرة]

((أَنْفَقْ أَنْفَقْ عَلَيْكَ))

[متفق عليه عن أبي هريرة رضي الله عنه]

((أَنْفَقْ بِلَالًا، وَلَا تَخْشَ مِنْ ذِي الْعَرْشِ إِقْلَالَ))

[رواه الطبراني عن ابن مسعود]

أيها الأخوة، عندنا بند آخر حسن الخلق أحد أسباب زيادة الرزق:

((حسن الخلق وكف الأذى يزيدان في الرزق))

[عن أنس]

الحليم مرزوق، العفو مرزوق، الكريم مرزوق، المنصف مرزوق،

عن عبادة بن الصامت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول:

((إذا أراد الله بقوم بقاء أو نماء رزقهم القصد والعفاف، وإذا أراد الله بقوم اقتطاعاً فتح لهم أو فتح عليهم باب خيانة))

[ورواه أحمد وغيره عن عبادة بن الصامت]

أيها الأخوة الكرام، الأمانة تجر الرزق، دققوا هذا قانون: الأمين موثوق يتمنى الناس أن يشاركونه، يعطيه الناس أموالهم ليتجر فيها، أكبر ثروة تملكها على الإطلاق أن تكون أميناً، أمانتك سبب وفرة الرزق في حديث آخر:

((الأمانة غنى))

[الجامع الصغير عن أنس]

بالمعنى المادي، بحقل الأعمال التجارية الموظف الأمين مطلوب، وراتبه مرتفع ومركزه قوي وينمو باستمرار،

((الأمانة غنى))

الوفاء والصدق يجران الرزق، إذا شخص يعمل بشركة، وفيّ لصاحب الشركة، لم يضع وقت الدوام إطلاقاً، الوفاء والصدق يجران الصدق و

((الأمانة غنى))

ومن يحرم الرفق يحرم الخير.

((مَنْ يُحْرَمِ الرَّفْقَ يُحْرَمِ الْخَيْرَ كُلَّهُ))

[مسلم عن جرير بن عبد الله]

وهذا الكلام موجه للشباب.

بند سابع من بنود هذه الخطبة أن النكاح أحد أسباب زيادة الرزق، وقد لا يفهم الإنسان هذا المعنى، هو بضائقة، داوها بالتي كانت هي الداء، هو بضائقة أنت حينما تطلب العفاف الله عز وجل يفتح لك أبواب الرزق، يأتيك رزقك ورزق حليتك، الأدلة:

يقول عليه الصلاة والسلام فيما رواه ابن عباس:

((التمسوا الرزق بالنكاح))

أنت حينما تفكر أن تتزوج امرأة صالحة تسترها وتجبر خاطرها، أنت الآن مرزوق.

((تزوجوا النساء فإنهن يأتيكن بالمال))

[صحيح على شرط الشيخين عن عائشة]

يعني تأتي ومعها رزقها، والآية الكريمة أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فشكا إليه الحاجة والفقر فقال عليك بالباءة. شكا إليه الفقر ما معه قال عليك بالزواج.

وعن عمر رضي الله عنه قال عجبت لرجل لا يطلب الغنى بالباءة (بالزواج)، والله تعالى يقول: (افهموها فهماً خاصاً هذه الآية) **إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ (قبل الزواج) يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ (بعد الزواج).**

حق المسلم على الله أن يرزقه إذا طلب العفاف :

في الجامع الصغير عدة أحاديث تبدأ بكلمة حق، حق الوالد على ولده، حق الولد على أبيه، حق الزوجة على زوجها، حق الزوج على زوجته، حق المسلم على المسلم، حق أحاديث كثيرة لكن في حديث واحد إذا قرأه الشاب ينبغي أن يقشع جلده، حق المسلم على الله أن يرزقه إذا طلب العفاف.

وقال عليه الصلاة والسلام:

((ثلاثة حق على الله عونهم المجاهد في سبيل الله والناكح يريد أن يستعفف والمكاتب يريد

الأداء))

[صحيح عن أبي هريرة]

و عن أبي بكر رضي الله عنه عن النبي أنه قال:

((أطيعوا الله فيما أمركم به من النكاح))

أنت حينما تتزوج تطيع الله، الدليل:

﴿ وَأَنْكَحُوا النَّيَامِيَّ مِنْكُمْ (٣٢) ﴾

(سورة النور)

من وثق بالله عز وجل رزقه الله من حيث لا يعلم :

أمر إلهي تزوجوا أيها الشباب، أطيعوا الله فيما أمركم به من النكاح ينجز ما وعدكم به من الغنى.

﴿ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ (٣٢) ﴾

(سورة النور)

عن جابر رضي الله عنه قال جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم يشكو إليه الفاقة فأمره أن يتزوج.

صار عندنا مجموعة من الأحاديث.

((ثلاث من فعلهن ثقة بالله واحتساباً كان حقاً على الله أن يعينه وأن يبارك له، من سعى في فكاك رقبة ثقة بالله واحتساباً كان حقاً على الله أن يعينه وأن يبارك له، ومن تزوج (يقول لك ما عندي بيت ما عندي عمل، كيف أقدم على الزواج؟ نقول لك أقدم على الله (ثقة بالله...))

[رواه الطبراني عن جابر بن عبد الله]

كل هذه الأحاديث وتلك الآية ينبغي أن تكفيك أن تثق بالله:

((.....من تزوج ثقة بالله واحتساباً كان حقاً على الله أن يعينه وأن يبارك له، ومن أحيا أرضاً مية ثقة بالله واحتساباً كان حقاً على الله أن يعنيه وأن يبارك له...))

[رواه الطبراني عن جابر بن عبد الله]

عليك بذات الدين تربت يداك :

أما من يتزوج ؟ حديثان:

إذا تزوج الرجل المرأة لدينها وجمالها، بدأ بدينها والجمال مطلوب، كان ذلك سداداً من عوز.

أما الحديث الذي يقصم الظهر:

((من تزوج امرأة لعزها لم يزد الله إلا ذلاً، ومن تزوجها لمالها فقط ما همه أمر دينها لم يزد الله إلا فقراً، ومن تزوجها لحسنها لم يزد الله إلا دناءة، ومن تزوجها لم يتزوجها إلا ليغض بصره أو يحصن فرجه أو ليصل رحمه برك الله له فيها وبارك لها فيه))

[رواه الطبراني عن أنس بن مالك]

عليك بذات الدين تربت يداك.

أيها الأخوة الكرام، هذه بنود سبعة في زيادة الرزق، وأرجو أن يكون هناك خطبتان حول هذا الموضوع المتسلسل، فإذا جمعنا هذه الموضوعات كلها أعتقد أكثر من اثني عشر موضوعاً نكون قد عرفنا كيف يزداد الرزق، وهذه وعود إلهية وزوال الكون أهون على الله من ألا يحقق وعوده للمؤمنين

أيها الأخوة الكرام، حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم، واعلموا أن ملك الموت قد تخطانا إلى غيرنا، وسيخطى غيرنا إلينا، فلنتخذ حذرنا، الكيس من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله الأماني، والحمد لله رب العالمين.

* * *

الخطبة الثانية :

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله صاحب الخلق العظيم، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وعلى صحابته الغر الميامين أمناء دعوته وقادة ألويته وارض عنا وعنهم يا رب العالمين .

الفرق بين عبادة الهوية و عبادة الظرف :

أيها الأخوة الكرام، في موضوع العبادة كنت أذكر كثيراً أن هناك عبادة الهوية، الغني له عبادة، والعالم له عبادة، والقوي له عبادة، والمرأة لها عبادة، هذه عبادة الهوية، وهناك عبادة الظرف، عندك مريض العبادة الأولى العناية بالمريض، عندك ضيف العناية الأولى إكرام الضيف، عندك ابن عنده امتحان أتمنى على الأسر الواعية أن تلغي أكثر برامجها في هذا الشهر، زيارات طويلة، وسهرات مديدة، واحتفالات ولائم، أوقفوا هذه النشاطات، وهيئوا أجواء لأولادكم، كونوا ساهرين على دراستهم وعلى توفير الأجواء لهم، أخفضوا كل صوت يزعجهم، هذه حضارة الأمة بشبابها، الأمة بعلمائها، امتحان الشهادة الثانوية، امتحان الشهادة الإعدادية،

امتحانات الجامعة، هذا الطالب مستقبه بنجاحه، علامة واحدة يمكن أن يكون في دمشق مع أهله والإنفاق صفر صار بحلب يحتاج إلى نفقات مواصلات واستئجار بيت علامة واحدة، أنا أرى من باب عبادة الظرف، هذا الشهر لو تجمد الولايم والسهرات واللقاءات والنزهات ويهياً لأولادنا وشبابنا الأجواء الدراسية.

على كل شخص أن يهين لأولاده جواً دراسياً لأن أولادنا أمل الأمة :

الذي يخشى الله أو يحب الله أو عنده سلوك حضاري ليغلق كل أجهزة المذياع والتلفزيون، صوت لا يصل إلى أي مكان آخر، أما هذا الذي يترنم بأي أغنية يحبها أين هو ؟ هذا الذي يتغنى بغير القرآن لا يستمع فقط يريد أن يسمع، أحياناً هناك احتفالات تبقى للساعة الرابعة صباحاً، يأتون بفرق موسيقية ومغنيين لخمسة متر لا أحد ينام، هذا سلوك غير حضاري، غير إسلامي، غير أخلاقي، هناك مريض، هناك متألم، هناك طالب يدرس، أنا أتمنى في هذا الشهر القادم أن تعدل برامج الأسر تعديلاً جذرياً، أن نهين لطلابنا، قد يقول شخص منكم أنا ما عندي أولاد عندهم امتحان ؛ والجيران هذا الجار أليس له حق عليك ؟ عنده ولدان بالكفاءة وواحد بالبالوريا أليس له حق عليك ؟ ما عندك شيء لا يصير، صوت مرتفع ومذياع وتمثيليات للساعة الثانية ليلاً وأنت مرتاح هذا لا يجوز يا أخوان،.

أتمنى أن تهيووا لأولادكم في هذا الشهر جو دراسي، أحياناً هناك مشكلات تحدث في البيت لو توجل إلى بعد الامتحان.

ابنك ملك الأمة والأمة بحاجة إليه :

إذا نشب خلاف حاد بين الزوج وزوجته في أيام الامتحان صدقوا قد ينال الابن علامات أدنى بكثير لأنه مشوش مضطرب، هذه أمه وهذا أبوه، فإذا في خلافات عائلية، لقاءات حميمة، في سهرات، في ندوات، في مشاريع، في ولائم كله جمده ابنك أولى، ابنك ملك الأمة والأمة بحاجة إليه، بحاجة إلى ابن منفوق كما أن الأمة بحاجة إلى من يموت في سبيلها.

أقسم لكم بالله هي في أمس الحاجة إلى من يعيش في سبيلها، المعركة حضارية، معركة نكون أو لا نكون، لما الابن تهين له جواً دراسياً جيداً يأخذ علامات عالية، يدخل فرعاً محترماً، فرعاً يدر عليه رزقاً وفيراً وينفع أمته به، تكون أنت بهذا الشهر ضبطت أمورك وجمدت نشاطاتك، أوقفت حفلاتك مراعاة لابنك وهو أتمن شيء في حياتك، وهو يتألم أشد الألم حينما أرى تفلتاً في فتح المذياع أو فتح الأغاني وفتح التمثيليات إلى ساعة متأخرة من الليل، أو أن احتفالاً أو عرساً أو كتاباً للساعة الواحدة ليلاً، فرق النشيد لممتي متر يصل صوتها، في بيوت، طبعاً في العالم الآخر الغربي تحس ما في إنسان في البيت تكون الساعة الثامنة صباحاً الطرقات

ممثلة بلا صوت، إطلاق بوق السيارة في مؤاخذة كبيرة جداً، جو الصخب جو همجي، جو الهدوء جو حضاري، جو إسلامي، الهدوء والسكينة، أتمنى عليكم من أعماقي، تقول لي ما عندي ولد في المدرسة، غيرك عندهم، جارك عنده خمسة أولاد في عندهم فحص، فهذا الشهر شهر دراسة وأنت من عبادة ربك حينما توفر لأولادك أو لأولاد جيرانك جواً مناسباً للدراسة.

الاهتمام بالشباب في المرتبة الأولى :

أنا معلوماتي الدقيقة آلاف الطلاب يرسبون لأنهم تأخروا عن الامتحان، لماذا تأخروا؟ أهلهم نائمون والابن درس دراسة مطولة حتى الساعة الثانية، ما استيقظ صباحاً، خسر العام الدراسي كله، يجب أن يكونوا الأهل يقظين هم يوقظونهم يهيئون لهم الطعام المناسب، حاجاته الأساسية، يوصلونه إلى الامتحان بسيارتهم، هذا الذي أتمناه عليكم أن تعتنوا بأولادكم، بصراحة لم يبق في أيدي المسلمين من ورقة رابحة إلا أولادهم، والأولاد هم المستقبل، والأولاد يحتاجون إلى أعمال وإلى بيوت وإلى زوجات، والشباب يجب أن يكون الاهتمام بهم في المرتبة الأولى. أيها الأخوة الكرام، إني داع فأمنوا:

والحمد لله رب العالمين

خطبة الجمعة - الخطبة ١٠٧٥ : خ ١ - أسباب زيادة الرزق ١٢ (الهجرة) - خ ٢: الإعجاز العلمي في السنة (الشمس).

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠٨-٠٦-١٣

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الأولى :

أسباب زيادة الرزق :

١ - الهجرة:

أيها الأخوة، لازلنا في موضوع أسباب زيادة الرزق، ولعل هذا الموضوع هو الموضوع الأخير، في مقدمة فقرات هذا الموضوع موضوع الهجرة، يعني أن تسافر، أن تترك بلداً إلى بلد آخر، فالإنسان قد يسافر بحثاً عن الرزق وهذا سفر مشروع، وقد يسافر فراراً بدينه وهذا عمل عظيم يؤجر عليه الإنسان بل ينجو بهذا العمل من عذاب الله يوم القيامة لقوله تعالى:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (٩٧) ﴾

(سورة النساء)

شيء مخيب، يعني أنت من أجل المال تبقى في مكان تخسر أولادك، تخسر أهلك، تخسر بناتك، من أجل المال.

أشقى الناس من حصل أكبر ثروة و خسر أولاده :

أيها الأخوة، لو حصل الإنسان أكبر ثروة في الأرض وخسر أولاده فهو أشقى الناس، أولادك امتداد لك، لذلك حينما تترك مكاناً تتحقق فيه مصالحك وتنمو فيه أموالك وأنت في قمة النجاح لكنك خفت على أولادك.

من أقام مع المشركين برئت منه ذمة الله، وأنا سافرت كثيراً حينما أخاطب هؤلاء الذين أقاموا إقامة دائمة في بلاد الغرب حينما أذكر لهم أولادهم تتقطع نياط قلوبهم، مرة كنا في مؤتمر في بلاد الغرب وقام أحد العلماء وقال: إن لم تضمن أن يكون ابن ابن ابنك ثلاثة أجيال مسلماً فلا ينبغي أن تبقى في هذه البلاد، ثم عقد مؤتمر للأطباء في دمشق والمؤتمرون جميعاً من أمريكا أطباء سوريون مقيمون هناك، أحدهم زوج ابنته وأجرى عقد قران ودعاني لحضوره، وألقيت فيه كلمة ذكرت أمام هؤلاء المئة مؤتمر بمؤتمر طبي هذه المقولة التي قالها بعض العلماء، فبعد أن انتهيت من إلقاء كلمتي وانتهى الحفل تقدم أحد الأطباء ودمعة على خده قال لي: ابن ابن ابني؟ قلت له نعم، قال: أنا ابني غير مسلم، ما في داعي تقول ابن ابن ابني، ابني ليس مسلماً.

من هاجر في سبيل الله وعده الله عز وجل بمكافأة كبيرة :

لذلك الإنسان حينما يكون في بلد مصالحة محققة، دخله وفير، أنا أقول دائماً على الشبكية إذا في جنة في الدنيا على الشبكية فقط هناك، ومع ذلك لو وصلت هذه الصورة إلى الدماغ لأصبحت هذه البلاد جحيماً لا يطاق، لأن الإنسان يخسر فيها أهله وأولاده، أنا لا أقول بالتعميم المطلق، لا بد من حالات استثنائية نادرة جداً لا تزيد عن ثلاثة بالمئة، لذلك الله عز وجل وعد من هاجر في سبيل الله فراراً بدينه، وحفاظاً على إيمان أولاده، وحفاظاً على بناته، وحفاظاً على مستقبلهم، وعاد إلى بلد قد يكون بلداً نامياً فيه مشكلات لا تعد ولا تحصى، الدخل قليل، المتاعب كثيرة، هذا شأن البلاد النامية، الذي يعود إلى بلده ليقوم فيها، ويحفظ أولاده، وأهله، وبناته، له عند الله مكافأة وردت في هذه الآية:

﴿ وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَافِعًا كَثِيرًا وَسَعَةً (١٠٠) ﴾

(سورة النساء)

أي يكافئه الله عز وجل بثروة طائلة وبدخل كبير.

العقل من وزن بين الدنيا والآخرة لا بين بلاده و البلاد الأخرى :

أحد أسباب زيادة الرزق أن تدع بلداً لا تستطيع أن تقيم فيه شعائر الله إلى بلد يمكن أن تقيم فيه شعائر الله، وأنا أقول لأخوتي الكرام الذين أرادوا أن يقيموا إقامة دائمة في بلاد الغرب لا توازن بين تلك البلاد وبين بلادك النامية، وزن بين الدنيا والآخرة، أنت حينما ترى ابنك صالحاً يؤدي الصلوات، يعتز بدينه، يعظم كتاب الله، ينتمي إلى هذه الأمة، أنت تدخل على قلبك من السرور ما لا يوصف، فلذلك الحديث الشريف له عدة روايات من هذه الروايات:

((من أقام مع المشركين فقد برئت منه الذمة))

[أخرج ابن المنذر عن جرير بن عبد الله البجلي]

أقول لكم أنا سافرت كثيراً الحياة هناك أقوى من أي دعوة إلى الله، أينما ذهبت التقلت والتعري والإباحية وكأن البشر عاشوا كالحوانات، وما من تعريف جامع مانع لكلمة العولمة كأن نقول معناها الحيونة، أن يعود الإنسان إلى حيوانيته، الشيطان يعري والرحمن يستر:

﴿ يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ﴾ (٢٦)

(سورة الأعراف)

أما الشيطان:

﴿ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتَهُمَا ﴾ (٢٧)

(سورة الأعراف)

من عاد إلى بلده بعدما كان في رفاه لا يوصف حفاظاً على دينه وأولاده ربح كل شيء :

لذلك أيها الأخوة، أنت حينما تكون في بلاد فيها رفاه لا يوصف، وفيها دخول فلكية، وفيها استقرار، وفيها حرية، وفيها ديمقراطية كما يزعمون، وجميع مصالحك محققة، وبلاد جميلة جداً كأنها جنة الله في الأرض، حينما تضع تحت قدمك كل هذه الخصائص، وتعود إلى بلد ينمو في صعوبات، في أزمات سكن، في أسعار مرتفعة، فرص العمل قليلة، وتعود إلى هذه البلاد من أجل إرضاء الله، ومن أجل إنقاذ أولادك مكافأة الله كبيرة:

﴿ وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَآغِمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ﴾ (١٠٠)

(سورة النساء)

والله أيها الأخوة، خلال لقاءاتي الكثيرة مع أفراد الجاليات الإسلامية في بلاد الغرب والشرق سمعت العجب العجيب، سمعت العجب العجيب حتى إن بعض الجاليات حينما ودعتني قالت لي: أبلغ أخوتنا في الشام أن مزابل الشام خير من جنات أستراليا، قلت لما؟ قال: لأن ابنك في الشام امتداد لك أنت مسلم وابنك مسلم، لكن أولادنا ونحن في أعلى درجات اليقظة احتمال أن يعتنق الإلحاد خمسون بالمئة واحتمال أن ترى في آذانهم قرطاً في الأذن اليمين والمعنى سيء جداً، خمسين بالمئة، أو أن ترى في الأذن اليسار قرطاً والمعنى أسوأ خمسون بالمئة، وأن ترى في كلا الأذنين قرطين فالمعنى أسوأ وأسوأ شاذون، هذا كلام أخ كريم غيور قال لي أبلغ أخوتنا في الشام هذه الحقيقة.

من أقام في بلد يستطيع أن يقيم فيه شعائر الله فقد ربح الدنيا والآخرة معاً :

أيها الأخوة، أقم في بلد تستطيع أن تقيم فيه شعائر الله، أقم في بلد تستطيع أن تصلي في المسجد، وأن تستمتع إلى خطاب ديني يملأ عقلك وقلبك، أقم في بلد تستطيع أن تحجب بناتك ولا أحد يسائلك، أقم في بلد من حولك على شاكلتك، أخوك وأختك، وابن أخيك، وابن أختك، وخالك، وعمك، مسلمون يصلون، نساؤهم محجبة، يؤمنون بالله.

والله حدثني أخ من أستراليا أقسم لي بالله أن التقليد هناك المتزمت الذي يعيش وراء العصر إن رأى ابنته تتزين في أحد الأيام ينصحها بالأحمر فقط، إلى هنا وصلوا، وصلوا في الغرب إلى الشذوذ الذي أقرته القوانين، من يصدق أن سفير أحد أكبر الدول في العالم له شريك ليس له زوجة، وأقيم له حفل وداع في عاصمة بلده هو وشريكه، يعني الشذوذ دخل في الاعتراف القانوني، فنحن في بلاد لا تعرفون فضلها إلا إذا غادرتوها، على الشبكية هناك متاعب كثيرة أما لو وصلتكم إلى بلاد بعيدة ترون المجتمع كالحوانات تماماً يأكل ويشرب ويتمتع، لكن في بلادنا هناك إنسان معه رسالة يسعى لهداية أولاده، يسعى لهداية جيرانه، يسعى لهداية الخلق، غيور على هذا الدين، هذه نعمة لا يعرفها إلا من فقدها.

العاقل من ترك بلداً تتحقق فيه مصالحه إلى بلد يستطيع أن يقيم فيه شعائر الله :

فيا أيها الأخوة، أحد أول وأكبر أسباب زيادة الرزق أن تدع بلداً تتحقق فيه مصالحك إلى بلد تستطيع أن تقيم فيه شعائر الله، هذه هجرة في سبيل الله، وصدقوا أيها الأخوة، أن أحد الأخوة الكرام الذين كانوا يقيمون في بريطانيا قال لي: أنا عدت إلى هذا البلد وضمنت أولادي وزوجته داعية والله عز وجل وفقه، قال لي: لي زميل بقي هناك حينما شبت بناته عن الطوق وتفلتن كشأن المجتمعات، هناك بقيت الأم إلى جانب بناتها واختلفت مع زوجها، الخلاف تفاقم إلى أن ترك البيت وعاش وحده في بيت، كان يزوره من حين إلى آخر، قال لي: مرة رأيت قارورة حليب أمام البيت لم تؤخذ، في اليوم الثاني زرته قلقاً عليه رأيت قارورتين، في اليوم الثالث أخبرت الشرطة فإذا هو ميت من أيام ثلاثة مات وحده، قال لي أنا عدت إلى هذه البلد وزوجته داعية وأولاده زوجهم، أولادهم مستقيمون والحمد لله، ما من إنسان رجع إلى بلده إنقاداً لأولاده، وإنقاداً لمستقبلهم إلا أكرمه الله عز وجل بعمل ورزق وفير، أحد أسباب زيادة الرزق: أن تهاجر من بلد حققت فيه مصالحك إلى بلد لا تعرف ما إذا كنت توفق إلى عمل أو إلى غير عمل.

أيها الأخوة الكرام، شيء آخر الرزق يزداد بطلب العلم، سمعت من أحد العلماء ولم أقرأ ذلك أن الذي حمل أبو حنيفة النعمان على طلب العلم حديثاً وصل إليه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه:

((من طلب العلم تكفل الله له برزقه))

[مسند الشهاب وقال المناوي في فيض القدير يجوز الاحتجاج به]

أنت حينما تطلب العلم وتقتنع من وقتك الثمين وقتاً لطلب العلم، حينما تحضر درس علم، حينما تقرأ كتاب في الفقه، حينما تحفظ كتاب الله حينما تلتزم في مسجد هذا وقت أنت اقتطعته من وقت فراغك من وقت راحتك مكافئة الله عز وجل على من طلب العلم أن يوسع الله عليه في رزقه، هذا الحديث:

((من طلب العلم تكفل الله له برزقه))

[مسند الشهاب وقال المناوي في فيض القدير يجوز الاحتجاج به]

هذا سبب آخر، الهجرة في سبيل الله تزيد في الرزق، وطلب العلم يزيد في الرزق، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

((من غدا في طلب العلم صلت عليه الملائكة وبورك له في معيشته ولم ينقص من رزقه وكان عليه مباركاً))

[السلسلة الضعيفة للألباني موضوع ٣٢٨]

من طلب العلم تكفل الله برزقه :

الله عز وجل حينما تطلب العلم يكافئك بمكافأة أخرى، يسمح لك بإلقاء العلم، يجعلك داعية، يقنع الناس بدعوتك، تكون في حال ثم تصبح في حال آخر.

((من طلب العلم تكفل الله له برزقه))

[مسند الشهاب وقال المناوي في فيض القدير يجوز الاحتجاج به]

من غدا في طلب العلم صلت عليه الملائكة وبورك له في معيشته، دققوا هم في مساجدهم والله في حوائجهم، ألا تحب أن يتولى الله لك أمرك، هم في مساجدهم والله في حوائجهم.

((من غدا في طلب العلم صلت عليه الملائكة وبورك له في معيشته ولم ينقص من رزقه وكان عليه مباركاً))

[السلسلة الضعيفة للألباني موضوع ٣٢٨]

عن أنس بن مالك رضي الله عنه:

((من انقطع إلى الله كفاه الله كل مؤونة ورزقه من حيث لا يحتسب))

[رواه الطبراني في الأوسط عن عمران بن حصين]

وعندي والله مئات القصص تؤكد هذه الحقيقة، من طلب العلم تكفل الله له برزقه.

إذاً إذا هاجرت في سبيل الله من أجل إنقاذ نفسك وأهلك وأولادك أو إذا طلبت العلم، أيها الأخوة: أما الحديث القدسي الذي ينبغي أن تقشعر منه الأبدان:

((من شغله ذكرى عن مسألتي أعطيته فوق ما أعطي السائلين))

[من الدر المنثور عن عمر بن الخطاب]

عبدي، كن لي كما أريد أكن لك كما تريد، كن لي كما أريد ولا تعلمني بما يصلحك، عبدي أنت تريد وأنا أريد فإذا سلمت لي فيما أريد، كفيئك ما تريد، وإن لم تسلم لي فيما أريد، أتعبتك فيما تريد، ثم لا يكون إلا ما أريد.

٣ - الإتفاق على طلاب العلم:

أيها الأخوة، من أسباب زيادة الرزق دققوا أن تنفق على طلاب العلم، وهذه البلدة والله لا أبالغ هي البلدة الأولى التي ترعى طلاب العلم.

من كان له شريك متفرغ للدعوة إلى الله وأتاح له أن يطلب العلم فله نصف الأجر :

لذلك أحد أسباب زيادة الرزق أن تنفق على طلاب العلم، وعندي قصة والله سمعتها قبل أيام لا أزال أذكرها في كل دقيقة، أخ كريم أنشأ ثانوية شرعية أنفق عليها من ماله لسنوات طويلة رزقه الله رزقاً غطى كل هذه النفقات بل أضعاف مضاعفة منها، أحد أسباب زيادة الرزق أن تنفق على طلاب العلم، طالب من الطلاب في هذا المسجد، الله أكرمني واعتيت به، حضرت مؤتمراً في القاهرة (مؤتمراً إسلامياً كبيراً) وألقيت كلمة هذا البلد الطيب، فإذا هو إلى جوارى مندوب دولة غينيا كان طالباً من طلاب العلم هنا، عاد إلى بلده يحمل دكتوراه وارتقى إلى منصب رفيع وعينته حكومته مندوباً لبلدها في هذا المؤتمر، أنت إذا أنفقت على طلاب العلم الله يكافئك في الدنيا قبل الآخرة، طالب العلم من إفريقيا، من آسيا، من تركيا، من بلاد فقيرة، إذا أسكنته في غرفة أكرمته، كان الأجر معقول أو أقل من معقول، وعاونته في بعض الأثاث كله محفوظ عند الله، وهذا البلد سمعته طيبة جداً في رعاية طلاب العلم، الشاهد:

كان عليه الصلاة والسلام قد التقى بأخوين في الله أحدهما يأتي إلى مجلس رسول الله والثاني يعمل وكلاهما شريك، يبدو أن الذي يعمل شكا إلى النبي عليه الصلاة والسلام شريكه الذي لا يعمل فأجابه لعلك ترزق به.

هذا شاهد لطالب العلم قال لشريكه: لعلك ترزق به، أي طالب العلم فقط يتعلم ليعلم، يتعلم ليعم الخير.

فذلك إذا هناك شريكان أحدهما متفرغ للدعوة إلى الله والثاني يعمل مكانه، الثاني له أجر، بل له نصف الأجر، لأنه أتاح للأول أن يتفرغ لطلب العلم، الشاهد: لعلك ترزق به.

٤ - إكرام الفقراء والضعفاء والمحرومين:

الآن أول شاهد الهجرة في سبيل الله، والشاهد الثاني طلب العلم، والشاهد الثالث الإنفاق على طلاب العلم، والشاهد الرابع: إذا أكرمت الضعفاء والفقراء والمحرومين، يقول عليه الصلاة والسلام:

((هَلْ تُنْصَرُونَ وَتُرْزَقُونَ إِلَّا بِضِعْفَانِكُمْ))

[البخاري عن مصعب بن سعد]

تتصرون و ترزقون، إن أردتم أن تتنصروا على من هو أقوى منكم فليكن همكم إكرام الضعفاء والفقراء.

٥ - مهادة الطعام:

أيها الأخوة: هناك تفاصيل دقيقة منها: مهادة الطعام، أنا أذكر حينما كنت صغيراً أن في الأحياء عادة إسلامية راقية جداً ؛ أن هذا البيت طبخ فيقدم صحناً إلى جاره، و الجار طبخ يقدم صحناً إلى جاره، هذه مهادة الطعام، و أحياناً يلمح أهل الحارة أن جارهم معه ضيف كل شخص يقدم صحناً، هذا الضيف وجد أمامه أنواع متنوعة من الطعام، هذا التكافل، فذلك ابن عباس رضي الله عنه يروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن:

((تهادوا الطعام بينكم فإن ذلك توسعة في أرزاقكم))

[السلسلة الضعيفة للألباني موضوع ١٣٧٩]

آخر موضوع في هذه الموضوعات أن المداومة على الطهارة أحد أسباب الرزق، ورد عن أحد أصحاب رسول الله أنه جاء رجل إلى النبي عليه الصلاة والسلام فقال: إني سأتلك عما في الدنيا والآخرة، فقال عليه الصلاة والسلام: سل عما بدا لك، فسأله عن أمور كثيرة و من جملتها سأله قال: أحب أن يوسع الله عليّ في الرزق؟ فقال له النبي الكريم: دم على الطهارة يوسع الله عليه في الرزق، أي النظافة و لعلي أوسع المعنى، النظافة المادية و المعنوية.

بيت نظيف لا يوجد فيه اختلاط، ليس فيه معاص، ليس فيه آثام، الآن محل تجاري نظيف، مظهره نظيف، و الشباب أعفة، تدخل إنسانة يغضون عنها البصر، لا يحاورونها حواراً غزلياً، لا يملؤون أعينهم من محاسنها، يوجد حياء، يوجد أدب، تؤدى فيه الصلوات، محل نظيف بالمعنى المادي و المعنوي، محل مرزوق، بيت نظيف ليس فيه لقاءات مختلطة، لا يوجد فيه أغان تصدح، لا يوجد فيه محطات فضائية فاضحة، ليس فيه غيبة، ليس فيه نميمة، بيت نظيف بيت مرزوق، محل نظيف، محل مرزوق.

أيها الأخوة، بهذا تنتهي هذه السلسلة من الخطب التي تمحورت حول موضوع واحد و هو أسباب زيادة الرزق، هذه الأسباب بين أيديكم و أنا لا أكتمكم أن هناك أزمة عالمية في ارتفاع أسعار المواد الغذائية و الله مفتعلة، يفتعلها العالم الغربي ليركع الشعوب و لكن المؤمن لا يركع، لا يركع مهما كان العدو قوياً، إنه يعتمد على الله عز وجل.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم فاستغفروه يغفر لكم، فيا فوز المستغفرين، أستغفر الله.

* * *

الخطبة الثانية :

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى صحابته الغر الميامين و على آل بيته الطيبين الطاهرين.

الشمس في مكانها والأرض تدور حولها و حول نفسها من آيات الله عز وجل :

أيها الأخوة، استمعت اليوم إلى حديث من عالم متخصص بالإعجاز العلمي وقد لفت نظري بشكل لا يصدق هذا الحديث الشريف ؛ الذي يؤكد أن هناك إعجازاً علمياً في السنة أيضاً، النبي عليه الصلاة والسلام سئل عن الشمس، لا تتسوا أن البشرية جمعاء لآلاف السنين، لعشرات آلاف السنين، لمئات آلاف السنين، ترى أن الشمس هي التي تتحرك على الشبكية وفق هذه العين تشرق وترتفع وتغيب، أما بعد تقدم علم الفلك ووصول الإنسان إلى الفضاء، تبين أن الشمس في مكانها والأرض تدور حولها، تدور حول نفسها دورة ينشأ منها الليل والنهار، وحول الشمس دورة تنشأ من هذه الدورة الفصول الأربعة، فعلى شبكية العين الشمس تشرق وترتفع وتصل إلى قبة السماء ثم تنحرف نحو الغرب وتغيب، مع تقدم علم الفلك ثبت أن الشمس هي في مكانها والأرض تدور حول نفسها، أنا لا أصدق أن هذه الحقيقة عرفت إلا في زمن متأخر قبل خمسين عاماً، أما أن يقول النبي عليه الصلاة والسلام حينما سئل عن الشمس قال: هي على رسلها لا تبرح ولا تزول، في مكانها لا تبرح ولا تزول ثم يقول تشرق على قوم فيقولون أشرقت وتغرب عن قوم فيقولون غربت.

القوم على هذه الأرض تدور الأرض فإذا وصلت إلى مكان تقابل الشمس يقول أهل هذا البلد أشرقت، وإذا وصلت إلى مكان تغرب فيه الشمس يقولون غربت والشمس هي هي.

الإعجاز العلمي في السنة من دلائل نبوة النبي عليه الصلاة والسلام :

هذه الحقيقة مستحيل على إنسان أن يعرفها إلا أن يكون هناك وحي من الله عز وجل:

﴿ لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى (١٨) ﴾

(سورة النجم)

الشمس هي على رسلها لا تبرح ولا تزول، ولكن تشرق على أناس فيقولون أشرقت وتغرب عن قوم فيقولون غربت.

هذا الحديث ومئات الأحاديث الأخرى التي يجمعها عنوان واحد الإعجاز العلمي في السنة من دلائل نبوة النبي عليه الصلاة والسلام، يعني بعد أن وضعت مقاييس المطر في كل بقاع الأرض، وبعد الحسابات الدقيقة لمئات السنين تبين أن التهطل المطري في الأرض لا يزيد ولا ينقص، لكن الأمطار تتوزع من مكان إلى آخر المجموع الكامل ثابت، أن تقرأ حديثاً عن رسول الله يقول النبي عليه الصلاة والسلام:

((ما عام بأمطر من عام))

[الجامع عن ابن مسعود]

هذا من دلائل نبوة النبي عليه الصلاة والسلام.

أن يقول الربع الخالي صحراء لكن تحت الرمال في مدن وفي آثار بساتين وآثار أنهار، أما أن يقول النبي عليه الصلاة والسلام ستعود بلاد العرب جنات وأنهار، هذا من دلائل نبوة النبي عليه الصلاة والسلام، يعني هناك مجموعة كبيرة تصل إلى مئتي حديث فيها إعجاز علمي، بمعنى أن الله كشف له بعض الحقائق التي لم تكن معروفة من قبل.

والحمد لله رب العالمين

الفهرس

- الدرس ٠١ - خ١ - أسباب زيادة الرزق ١ (أنواع الرزق) ١
- الدرس ٠٢ - خ١ - أسباب زيادة الرزق ٢ (الرزق في القرآن والسنة) ١٣
- الدرس ٠٣ - خ١ - أسباب زيادة الرزق ٣ (التقوى) ٢٧
- الدرس ٠٤ - خ١ - أسباب زيادة الرزق ٤ (الأسباب التي تقلل من الرزق) ٣٨
- الدرس ٠٥ - خ١ - أسباب زيادة الرزق ٥ (التقوى - التوحيد - الصدق ٥٠
- الدرس ٠٦ - خ١ - أسباب زيادة الرزق ٦ (القناعة) ٦١
- الدرس ٠٧ - خ١ - أسباب زيادة الرزق ٧ (صلة الرحم) ٧٤
- الدرس ٠٨ - خ١ - أسباب زيادة الرزق ٨ (الشكر) ٨٥
- الدرس ٠٩ - خ١ - أسباب زيادة الرزق ٩ (العمل الصالح) ١٠٠
- الدرس ١٠ - خ١ - أسباب زيادة الرزق ١٠ (العبادات) ١١٥
- الدرس ١١ - خ١ - أسباب زيادة الرزق ١١ (قراءة القرآن الكريم) ١٢٧
- الدرس ١٢ - خ١ - أسباب زيادة الرزق ١٢ (الهجرة) ١٣٩
- الفهرس ١٤٩